صورة الملك فاروق

في الأدب العبري المعاصر

إعداد

أحمد بسيوني



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسـم الكتاب : صورة الملك فاروق في الأدب العبري المعاصر

المــــؤلف : أحمد بسيوني

رقـم الإيداع : ٢٠١٦/١٧٠٨٦

الطبعة الأولى ٢٠١٧

مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com


بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى المثل والقدوة

إلى روح الفريق الشهيد / عبد المنعم رياض

أهدي هذا الكتاب

أحمد بسيوني سعيد



الفهرس

■■ مقدمة

تحتل حرب فلسطين أهمية خاصة فى وجدان الشعب العربى؛ لأنها الحرب التى نتج عنها قيام الكيان الصهيونى على جزء عزيز من الأراضى العربية ، وهى دولة فلسطين ، ذلك الكيان الذى غرسته القوى الاستعمارية فى قلب المنطقة العربية من أجل تفتيتها وإضعافها ، وإعاقة نهضتها، فالدول الاستعمارية تعلم أن العالم العربى غنى بالثروات الطبيعية والعناصر البشرية والعقول المثقفة القادرة على النهوض به فى سنوات قليلة ، كما أن العالم العربى يمتلك كثيراً من عوامل الوحدة مثل وحدة الدين واللغة والتراث الإسلامى، ولعل تجربة « محمد على » باشا فى مصر كانت خير برهان على ذلك، ففى غضون سنوات قليلة استطاع «محمد على » تكوين إمبراطورية مصرية، واشتركت الدول الاستعمارية جميعها من أجل الوقوف أمام طموحاته وتوسعاته؛ لذلك سعت الدول الاستعمارية إلى إضعاف العالم العربى عن طريق وجود هذا الكيان الذى يسعى إلى التوسع وبسط سيطرته الاقتصادية والعسكرية على حساب دول المنطقة وتقوم بتقديم الدعم المادى والعسكرى له، من أجل ضمان إضعاف الدول العربية وعدم تفرغها لتحقيق استقرارها ونهضتها .

وقد خاضت الشعوب العربية العديد من الحروب ضد هذا الكيان الذى يحمى المصالح الاستعمارية فى المنطقة العربية، وفقد العرب خيرة أبنائهم ومناطق غالية من أراضيهم فى خضم هذه الحروب، ودولة فلسطين لها أهمية خاصة بين الدول العربية،سواء من الناحية الدينية أو من الناحية الجغرافية أو من الناحية الاقتصادية.

فمن الناحية الدينية تحتوى فلسطين على الأماكن المقدسة للديانات السماوية

الثلاث (اليهودية / المسيحية / الإسلام) فهى بمثابة مهد الديانات السماوية.

ومن الناحية الجغرافية تحتل فلسطين موقعاً مهما واستراتيجياً بين قارات العالم الثلاث (آسيا / أفريقيا / أوروبا) وتمر بها أهم الطرق التجارية بين هذه القارات ، كما أنها قريبة من قناة السويس أهم الطرق الملاحية فى العالم ؛ لذلك أصبحت فلسطين مطمعاً للدول الاستعمارية، وفيها قرر الصهاينة إنشاء دولة إسرائيل.

وعلى الرغم من دخول قوات تمثل الدول العربية فى الحرب ضد العصابات الصهيونية (الهاجاناه / اتسل / ليحى) والمتطوعين اليهود الآخرين من جميع دول العالم ، إلا أن النصر كان حليف هذه العصابات الصهيونية بسبب عدم التنسيق بين الدول العربيةوالخلافات العميقة التى كانت تعانى منها الدول العربية، وأيضاً بسبب التحيز الغربى للكيان الصهيونى وإمداده بالأسلحة والمعدات والكوادر العسكرية التى قامت بتكوين الجيش الإسرائيلى وتدريبه ، وكانت الهزيمة من نصيب الدول العربية، واستطاع الصهاينة السيطرة على أراضى أضافتها لمساحة الأراضى التى خصصتها لها الأمم المتحدة عندما أصدرت قرار التقسيم، وهو الأمر الذى يحثنا إلى دراسة هذه الحرب جيداً، وكشف أسرار هذه الحرب وماحدث فيها من تقصير حتى نستخلص العبر والدروس ، ولاتتكرر مآسى هذه الحرب مرة أخرى، والرواية محل الدراسة هى رواية للأديب الإسرائيلى« رام أورين » الذى بدأ نجمه فى السطوع فى الأوساط الأدبية الإسرائيلية ، وهى قصة تاريخية تحكى دور الجيش المصرى خلال حرب فلسطين، كما سردت تفاصيل عن أحوال الجالية اليهودية فى مصر فى فترة ما قبل قيام الحرب .

تدور أحداث الرواية حول أحداث دخول الجيش المصرى إلى أرض فلسطين من أجل مقاومة الدولة الصهيونية الوليدة ،ويسرد المؤلف أوضاع الحكم فى مصر فى هذه الحقبة ، ويتحدث عن حياة الملك « فاروق » حاكم مصر فى هذه الفترة ومولده وزواجه ،أظهرت الرواية الملك « فاروق » بأنه رجل فاسد لاهم له سوى

إرضاء رغباته من المأكل والمشرب والجنس ، وأنه كانت له عشيقات كثيرة،من بينهم امرأة يهودية تدعى « ليلى كوهين » ، وقد ركزت الرواية على دور الجاسوسة اليهودية «يولندا هرمر» فى التجسس على مصر لصالح إسرائيل ، وعلى اهتمام « بن جوريون » بها ومدحه لها ، كما أشارت الرواية أنها كانت على علاقة بالقصر الملكى ، كما ألقت الرواية الضوء على أحوال الجالية اليهودية فى مصر فى هذه الفترة ، وعن روح التسامح التى سادت المجتمع المصرى وطوائفه المختلفة بغض النظر عن الديانة ، ومشاركة المصريين لليهود فى أفراحهم وأعيادهم .

أظهرت الرواية تدخل الإنجليز فى شئون مصر الداخلية وسيطرتهم الكاملة على أمور الحكم ، وخضوع الملك « فاروق » لهم ، كما أظهرت رغبة الملك «فاروق» فى أن يكون خليفة للمسلمين ، وأنه اتخذ قراراً منفرداً من أجل خوض الحرب،على الرغم من معارضة قادة الجيش الذين أعلنوا أن الجيش غير مستعد لخوض الحرب فى هذه الفترة.

أظهرت الرواية دور الطائفة اليهودية فى تدعيم الحركة الصهيونية ، وقيام اليهود بالتجسس على أحوال الحكومة والشعب المصرى لصالح إسرائيل،مما حث الحكومة المصرية على القيام بحملة اعتقالات للعديد من أعضاء الوكالة اليهودية فى مصر، كما تظهر الرواية محمد نجيب فى صورة القائد الحريص على حياة جنوده،فى حين أن جمال عبد الناصر وباقى الضباط الأحرار كان همهم الأكبر هو القيام بانقلاب وتغيير نظام الحكم .

أظهرت الرواية بعض الانتصارات التى قام بها الجيش المصرى أثناء الحرب ، مثل الاستيلاء على مستوطنتى يد (موردخاى/ نيتسانيم).

أظهرت الرواية أن العصابات الصهيونية كانت تعانى من نقص شديد فى المعدات والأسلحة ، وأن « جولدا مائير » قامت بدور كبير فى جمع التبرعات وحشد التأييد لدولة إسرائيل ، ودائما مايستغل الصهاينة أحداث الكارثة النازية

من أجل استدرار العطف العالمى، وجمع الأموال وحشد التأييد لصالح إسرائيل .

كما أظهرت الرواية الدور المحورى الذى قامت به الولايات المتحدة والدول الغربية فى تدعيم ومد إسرائيل بالأسلحة والمعدات التى كان لها أثر كبير فى قلب موازين الحرب وترجيح كفة إسرائيل .

كما تحدثت الرواية عن الخلافات بين الدول العربية ، وعدم التنسيق بينها ، التى كانت سبباً رئيسياً فى هزيمة القوات العربية، وفى نهاية الرواية أظهرت نتائج حرب فلسطين التى أدت إلى قيام الضباط الأحرار بثورة يوليو التى نتج عنها رحيل الملك « فاروق » عن مصر، وتغيير نظام الحكم فى مصر .

وقد أخرج الأديب الإسرائيلى«رام أورين»هذه الرواية عام ٢٠٠٤ أى بعد قيام إسرائيل بـ٥٦ عاماً ، وفى نفس الوقت بعد اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الثانية (٢٠٠١) بثلاث سنوات، وفيها يذكر المؤلف بالدور الذى قامت به الحكومة المصرية فى حرب فلسطين ويشير أن هدف الجيش المصرى كان دخول مدينة تل أبيب،أى استئصال القوة اليهودية فى مهدها والقضاء عليها،فهو يرسل رسالة إلى اليهود بأن مصر هى الخطر الأكبر الذى يهدد إسرائيل،ويريد أن يحذرهم من استمرار وجود هذا الخطر بالرغم من معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل ، وهو بذلك يقوم بربط الماضى بالحاضر من أجل تذكير الأجيال الشابة التى لم تعش حرب فلسطين بالدور الذى لعبته مصر فى الماضى من أجل تدمير اليهود وربطه بما يحدث فى الحاضر ، حتى يستفيد اليهود من دروس الماضى ويأخذوا حذرهم.

الفصل الأول

مصر قبل حرب فلسطين

الإشارة إلى كراهية اليهود للبريطانيين

يحاول الكاتب رسم صورة ضعيفة لليهود قبل بدء الحرب من أجل رسم صورة بطولية لهم، حيث يزعم أنهم انتصروا على الجيوش العربية المسلحة بالمعدات الثقيلة على الرغم من قلة معدات اليهود وتسليحهم.

جلس« أفراهام شفرتسشتين » في مقهى « بلزم » وأكل آيس كريم من داخل كأس معدني بارد ، كان يبلغ من العمر ثمانية وعشرين عاما ، جميل القامة ووسيم ، مقاتل من الهاجاناه ، الذين أخذوا أجازة ذات مساء من قادة الفصائل في نتانيا ، حملقت عيناه في المحتفلين، وكان قلبه ثقيلاً ، تحرك فكره نحو صديقته « روحاما أرديتي » من طبريا ، التي اجتازت في هذا الوقت تدريبات سلاح في البالماح ، شوقه إليها زاد من شعوره بالوحدة .

بجواره في المقهى، جلست في نفس الليلة مجموعة من الجنود البريطانيين من الفرقة السادسة المحمولة جوا، كانوا يرتدون على رؤوسهم قبعات حمراء ، شربوا بيرة ونظروا للجماهير التي مرت عليهم بالغناء والرقص ، بعض الشباب الذين حملوا علماً أزرقاً– أبيضاً ، صرخوا تجاههم : « جيد أننا تخلصنا منكم ، اذهبوا إلى بلدكم .

جندي بريطاني سكران رد بصيحة : « لماذا أنتم فرحين لهذه الدرجة ؟ أليس في اليوم الذي سنخرج فيه من هنا ، ستدخل كل الجيوش العربية ويقومون بإغراقكم في البحر ، أنتم ستشتاقون إلينا» .

أصوات غاضبة ارتفعت من الجماهير .

صرخ شخص تجاه البريطاني «نحن سنحارب »، وهو أجاب بسخرية : بماذا ستحاربون ؟ بعدد من البنادق الحقيرة ؟ ماذا ستستطيعون أن تفعلوا أمام الدبابات، الطائرات والمدافع التي يمتلكها العرب ؟ أنتم لاتفهمون أنهم

سينتصرون عليكم بسهولة .

صورة الملك فاروق فى الأدب العبرى

أظهرت الرواية صورة سيئة للملك « فاروق » حيث أشار أن كل اهتمامه كان منصباً على الشهوات والنساء، وأنه يقضى الليالى فى الأندية الليلية يسمع الأغانى ويعجب بالمطربات ، وأنه كان يعشق امرأة يهودية تدعى« ليلى كوهين ».

بصوت منغم عذب غنت المطربة ليلى كوهين « سأراك فى أحلامى » الأغنية المشهورة للموسيقار « بينج كروسفى »، وجنت كعادتها تصفيق حاد وهتافات تشجيعية !!

من على يمين المسرح ، فى غرفة خاصة ، جلس الملك « فاروق » الذى يبلغ من العمر سبعة وعشرين عاما ، وداعبت عينيه المطربة ، بجواره جلس ثلاثة حراس مسلحين بوجوه صامتة ، الملك نفسه كان لديه مسدسين مشحونين – أحدهما فى جيبه ، والآخر فى متناول اليد على المائدة ، لقد كان خائفاً أن يقوموا باغتياله .

كانت له زوجة شرعية وثلاث بنات وعشيقات كثيرات فى جميع أنحاء المدينة، لكن ليليان كوهين كان لها النصيب الأكبر من محبته ، الحقيقة أنها كانت يهودية وهو مسلم، لم تزعجه ، عدة مرات فى الأسبوع كان يهرب إلى غرفته الخاصة فى فندق الأهرامات، كى يشاهدها ، بعد ذلك اعتاد على اصطحابها فى سيارته وأن يقضى معها الليل فى الشقة الفاخرة التى اشتراها لها فى حى الزمالك، قدم لها هدايا غالية الثمن، وأرسل إليها باستمرار صناديق الويسكى والشمبانيا ،وقامت ببيعهم فى السوق السوداء .

ولد « فاروق » فى قصر عابدين بالقاهرة لأبيه الملك « فؤاد » ولأمه الملكة «نازلى» ، ابن وحيد بعد أربع بنات ، فى عمر الرابعة عشر أرسل إلى مدرسة داخلية فى انجلترا ولكن دراسته كانت الشيء الأخير الذى أثار اهتمامه .

أنفق أموالاً كثيرة فى المحلات الفاخرة فى لندن حيث تردد بشغف وراء الفتيات فى المدينة ،و فى عام ١٩٣٦ عندما بلغ من العمر ستة عشر عاما ، توفى والده واستدعى للعودة إلى القاهرة من أجل أن يرث عرش المملكة .

استقبلت مصر ولى العهد بحماس وبحب لا نهاية له ، ملايين الفلاحين امتلأت بهم القطارات والطرق المؤدية إلى العاصمة من أجل مشاهدة مراسم التتويج .

وعلى أضواء الشوارع وزع رجال البلاط الملكى اللحوم مجاناً للجماهير ، وترددت أصداء أصوات المدافع فى الجو الحماسى الذى جاء من الصحراء . فاروق سافر إلى بيت النواب بالمقطورة الذهبية ، مرتدياً ملابس بألوان حمراء – بيضاء – خضراء ، وحزام لسيف مرصع بالماس، على جانبى المقطورة ركض جنود الحرس الملكى بملابس ذهبية .

زواج الملك فاروق من الملكة فريدة

بعد مرور عدة أشهر بادرت أم فاروق (الملكة نازلى) بخطبة مناسبة لابنها، العروس الموعودة كانت « فريدة » البالغة من العمر سبعة عشر عاماً، فى مراسم الزفاف الفاخرة قدم فاروق إلى زوجته عقد من الماس غالى الثمن ، ممثلو الطائفة اليهودية قدموا هدية – صندوق ذهبى به فصول المزامير منحوتة على أوراق من الذهب ، أرسل«هتلر » سيارة « مرسيدس » فاخرة، وموسولينى – تمثال قديم للقيصر الرومانى ديقلديانوس .

البريطانيون كانوا هم المسيطرين الحقيقيين على مصر منذ ١٩٣٦، حولوا فاروق إلى لعبة بلا إرادة، لكن يبدو أن هذا الأمر لم يقلقه ، أمور الدولة لم تأخذ حيزاً مهما فى جدوله اليومى، العالم كان مليئاً ومكدساً بالمتع، وهو أدمنها بفرحه، شهوة الأكل التى ازدادت فى أعقاب حادثة طريق التى أخلت بمهام دور الغدد فى جسده، لم تعرف الشبع، فى وجبات الإفطار كان يأكل بنهم الأسماك واللحوم، البيض

والفاكهة ويشرب أكواب من القهوة لاعدد لها .الخبز كان ممنوعا من أكله ، حتى لايسمن أكثر من ذلك .

ليس أكولاً فقط، أيضا النساء كانت على أفضلية أولوياته، لقد تردد بلهفة وراء كل امرأة أعجبته، بما فى ذلك نساء السفارات الأجنبية ، كانت له مجموعة مفاتيح بألوان مختلفة ، ناسبت أقفال شقق النساء التى اعتاد التردد عليها بصفة دائمة، ذات مرة تنكر فى شكل فلاح ، وخرج إلى المدينة واشترى بنقود قليلة عطف عاهرات الشارع .

فى غرفه الخاصة جمع مجموعة كبيرة من كتب أدب الجنس ولوازم ممارسة الجنس، وفى درج مائدته مجموعة من المخدرات لزيادة قوته الجنسية.

يشير المؤلف إلى صدور قرار التقسيم من جانب الأمم المتحدة ، ويكثر الكاتب من استخدام كلمة (أرض إسرائيل)، مما يدل على توجهاته المتطرفة ، ومحاولته إنكار الحق العربى فى أرض فسطين .

فى نفس الليلة الباردة فى أواخر نوفمبر ١٩٤٧، عندما جلس فى فندق الأهرامات ونظر بإعجاب إلى المطربة اليهودية ، سارع إلى النادى سكرتيره الشخصى وأعلن بصوت مزعج أن جمعية الأمم المتحدة قررت إقامة دولة يهودية ودولة عربية فى (أرض إسرائيل) .

نظر فاروق بتأمل إلى سكرتيره، هو لم يندهش من قرار الأمم المتحدة ، لقد قالت أغلب التقارير أنه لامفر منه ، وفى أعقابها سترسل الدول العربية جيوشها إلى (أرض إسرائيل)، من أجل منع إقامة الدولة اليهودية، فكرة الغزو لم تكن جديدة ، لقد تم طرحها فى مناقشات الجامعة العربية قبل ذلك بعامين، عندما ثارت مخاوف بأن عرب (أرض إسرائيل) لن يستطيعوا النجاح فى النضال أمام تزايد الاستيطان اليهودى .

فى بداية ١٩٤٢، عندما هاجمت جيوش هتلر مقدمة الأراضى الروسية، وكانت الولايات المتحدة لاتزال تلعق جراح الهجوم اليابانى على أسطولها الحربى فى «برل هاربر»، علم البريطانيون أن الملك فاروق على وشك أن يعين «على ماهر» فى منصب رئيس الحكومة، وهو أحد المعجبين الشديدين بـ«هتلر».

فى ساعة الأصيل من يوم ٤ فبراير قبل أن تغرب الشمس، هاجمت سرية دبابات بريطانية قصر عابدين، ثلاث دبابات اقتحمت الباب الحديدى، حطمت أوانى الزهور، وتوقفت بجوار مدخل القصر.

السفير البريطانى «سر ميلس لمفسون» دخل إلى الداخل وهو محاط بضباط بريطانيين، وكانت مسدساتهم مشهرة ومستعدة للإطلاق، اقتحم مكتب فاروق وهدده بوضوح: «يوجد أمامك اختيار: تعيين «نحاس» باشا رئيس حزب الوفد فى منصب رئيس الحكومة فى غضون أربعة وعشرين ساعة، أو أن تترك هذه البلد.
«فاروق» بلع هذه الإهانة ونفذ مطلب السفير.

للأسف الشديد من قبل مندوبى الدول العربية،أعرب المصريون فى ذلك الوقت عن معارضة تامة لدخول الجيوش العربية أرض فلسطين،عندما قررت الجامعة العربية أن تكلف كل عضو من أعضائها أن يرسل مليون جنيه استرلينى لعرب فلسطين.

اكتفت مصر الكبرى بين الدول العربية، بمبلغ كان يعد بمثابة إهانة شديدة: ٢٠ ألف جنيه فقط، عندما طلب منها إرسال متطوعين إلى معسكر التدريب فى قطانا بجوار دمشق، من أجل أن ينضموا بعد ذلك إلى نضال عرب فلسطين، أرسلت مصر ٥٠ رجلاً، فى الوقت الذى أرسلت فيه الدول العربية الأخرى بمفردها خمسة الآف.

وافقت القاهرة أيضا على المساهمة أيضا ببنادق، لكن عندما وصل السلاح إلى

فلسطين ، اتضح أن كثيراً منها قديمة وغير صالحة للعمل ، وفى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧، فى فندق الأهرامات بالقاهرة ، تقريبا نصف عام قبل غزو الجيوش العربية لـ(أرض إسرائيل) ، كان واضحاً أمام « فاروق » بدون أدنى شك أنه على الرغم من التعاطف الذى تكنه مصر لعرب فلسطين ، فإنها لم تخاطر حتى بجندى واحد فى الحرب من أجلهم .

الطائفة اليهودية فى مصر

علاقة اليهود بمصر، هى علاقة قديمة ، تعود إلى زمن نزول أولاد يعقوب فيها، ثم إلى بقاء البعض منهم فى منطقة الفيوم ، عقب خروج موسى من مصر، فى حدث تاريخى مهم ، يحيطه الكثير من الغموض .وقد أثبت المؤرخون وجود طائفة يهودية فى مصر، فى القرن السادس قبل الميلاد حيث استقر بعضهم فى مدن الدلتا، والبعض الآخر فى جزيرة اليفانتين بمصر العليا ، ثم جاءت جماعة أخرى .

بعد فتح الإسكندر الأكبر لفلسطين عام ٣٢٢ ق .م وقد شجع بطلميوس الأول اليهود على الاستقرار بالإسكندرية ، وبعد سقوط القدس فى يد تيتوس عام ٦٦ م ، أرسل الآلاف من الأسرى اليهود إلى مصر،وتعرضوا لتقلبات عديدة ، حتى كان الفتح العربى لمصر، فتحسنت أوضاعهم ، وشهدت الطائفة نوعاً من الازدهار، وانتقل الكثير منهم إلى الفسطاط ، التى أصبحت عاصمة لمصر، ولتصبح أيضاً مركزاً روحياً كبيراً لليهود، وتشير المصادر التاريخية إلى أن يهود مصر لم يعيشوا فى معزل أو داخل جيتو ، ولم يعتبرهم المجتمع – جالية أجنبية –بل مصريون اعتنقوا الدين اليهودى،والسلوك الاجتماعى لم يميزهم عن بقية أبناء المجتمع المصرى [١].

يرجع أقدم تاريخ لوجود يهودى منظم إلى ما قبل الغزو الفارسى لمصر « ٥٢٥

(١) عرفة عبده على ، يهود مصر منذ عصر الفراعنة حتى عام ٢٠٠٠ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ٢٠٠٠ ص ١٢.

ق .م لكن الحقبة البطلمية ٣٢٣ ق.م شهدت انتعاشاً ملحوظاً فى أوضاع اليهود وحدثت طفرة فى أعدادهم ، وتحسنت أوضاعهم وتعد تلك الحقبة بمثابة عصر ذهبى لهم، لم يقدر للجماعة أن تحظى بمثيل له إلا فى ظل الخلافة الفاطمية التى كان سقوطها إيذاناً بحدوث تدهور كبير للجماعة اليهودية الذى تمثل فى إقصائهم عن كل مركز للتأثير لدى دوائر النفوذ والحكم [١] .

وقد ظل اليهود المصريون يشكلون لبنة مهمة فى البنية الاجتماعية المصرية منذ زمن قديم وعلى امتداد فترة طويلة من تاريخ مصر العربية .

وعلى الرغم من هذه الحقيقة التاريخية،فإن عدد اليهود كان ضئيلاً على الدوام بالمقارنة إلى مجموع المصريين، وفى الفترة التى تمتد فى رحاب الزمن بين الفتح الإسلامى لمصر والغزو العثمانى لها ، تضاءلت نسبة اليهود إلى المسلمين والمسيحيين، وإذا كان عدد اليهود قد تذبذب صعوداً وهبوطاً نتيجة للتطورات التاريخية التى أحاطت بالمجتمع المصرى كله من ناحية ، ونتيجة الظروف الخاصة بالأقلية اليهودية من ناحية أخرى، فإن التطور التاريخى العام يكشف عن أن نسبة اليهود إلى سائر المصريين ظلت فى تناقص مستمر، وإذا كان اليهود فى مصر قد شكلوا أقلية ضئيلة العدد ، فإن ذلك أمر يمكن تفسيره، بشكل عام، فى ضوء الطبيعة غير التبشيرية للدين اليهودى من ناحية، والظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى حكمت التطور التاريخى لأعداد يهود مصر من ناحية أخرى[٢] .

أثر الفتح الاسلامى على الطائفة اليهودية :

هناك أسباب كثيرة تدعونا للظن بأن أعداد اليهود قد زادت فى مصر بعد الفتح

(١) د.محسن على شومان ، اليهود فى مصر العثمانية حتى القرن التاسع عشر ، الجزء الثانى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٠ ص ٣٤٥.

(٢) د.قاسم عبده قاسم ، اليهود فى مصر منذ الفتح العربى حتى الغزو العثمانى ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع « القاهرة » ، الطبعة الأولى ١٩٨٧ ص ١١.

الإسلامى نتيجة لتحسن أوضاعهم القانونية والاجتماعية ، فقد صار اليهود « أهل الذمة » بعد أن كانوا أقلية منبوذة تحت الحكم البيزنطى . وخلال القرون الثلاثة التى تلت الفتح الاسلامى جاءت هجرات يهودية كثيرة من شرق العالم الإسلامى لتسكن عالم البحر المتوسط ، واستقر منهم عدد كبير فى مصر، كما أن عددا كبيراً من يهود فلسطين استقر فى مصر خلال تلك الفترة نفسها، ذلك أن التسهيلات التى أتاحتها « دار الإسلام » الشاسعة أتاحت لليهود فرصاً لم يسبق لها مثيل للمشاركة فى النشاط التجارى المزدهر فى العالم الإسلامى، وفى التنقل فى أرجاء دار الإسلام بحرية كبيرة جعلتهم يهاجرون إلى مصر من شتى أنحاء العالم الإسلامى[1] .

كانت تطورات القرن الحادى عشر الميلادى من أهم أسباب التطور السكانى ليهود المصريين . فقد كانت الحروب المستمرة ضد قبائل البدو فى فلسطين ، ثم الغزو السلجوقى لفلسطين سنة ١٠٧١ م، فالحملة الصليبية الأولى سنة ١٠٩٩ م، كان هذا كله وراء تدفق أعداد كبيرة من اليهود صوب مصر التى كانت آمنة نسبياً فى تلك الفترة التاريخية، وتكشف أوراق الجنيزا عن أن شطراً كبيراً من يهود مصر آنذاك كانوا من المهاجرين أو من سلالتهم . وعلى الرغم من أن هذه الهجرات اليهودية إلى مصر قد رفعت النسبة العددية ليهود مصر ، فإن أعدادهم ظلت ضئيلة بشكل عام بالنسبة إلى أعداد كل من المسلمين والمسيحيين[2] .

وفى عصر الدولة الفاطمية، والدولة الأيوبية، وعصر سلاطين المماليك عاش يهود مصر ازدهاراً اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً مماثلاً لما شهدته الطوائف اليهودية فى الأندلس والمغرب العربى تحت ظلال الحكم الإسلامى .

ثم كان الفتح العثمانى لمصر عام ١٥١٧ ، وقد حافظ « النظام الملى فى ذلك

(١) د.قاسم عبده قاسم ، المرجع السابق ص ١٢

(٢) نفس المرجع السابق ص ١٥.

العهد ، على حقوق والتزامات الطوائف الدينية، وتمتع كثير من اليهود بنظام الامتيازات ، وتحقق للطائفة نوع من الاستقلال الذاتى من الناحية الدينية والإدارية .. وكان الحاخام باشى فى استانبول ، يمثل كل يهود الإمبراطورية أمام الباب العالى [1] .

تمثل التغير فى الجغرافيا السكانية ليهود مصر العثمانية ، فى ميلهم إلى الاستقرار بالمدينة دون القرية، وبتركزهم الشديد بمدن الوجه البحرى دون الصعيد، وبخاصة القاهرة ذات الأغلبية اليهودية ، والكثافة السكانية العالية نسبياً ، ودارت حركتهم فى فلك القاهرة والثغور « الإسكندرية – رشيد – دمياط » التى استأثرت بالقسط الأكبر من نشاط الجماعة ، ولعبت الهجرة الداخلية بين المدن والقرى دوراً مهماً فى صياغة وتشكيل التوزيع الجغرافى بحيث يميل إلى تأكيد الطابع الحضرى للجماعة بالأساس [2] .

وقد بدت الهجرة اليهودية إلى مصر كعامل وحيد فى تطور البناء السكانى للجماعة ، الذى كان آخذاً فى النمو والازدهار،ثم مال إلى التراجع والانحسار خلال النصف الثانى من القرن الحادى عشر ، وفى كل الأحوال فإن أعدادهم كانت ضئيلة لم تزد على اثنى عشر ألف نفس فى الشطر الأول من الحكم العثمانى، ثم أصيب بالتدهور السريع بحيث لم يتجاوز الخمسة آلاف عند أوائل القرن التاسع عشر [3] .

وبدأت موجات من الهجرة اليهودية ، من مختلف أرجاء الإمبراطورية العثمانية تنضم إلى العنصر اليهودى الوطنى ... تزامنت مع بداية هجرات مماثلة من بعض الدول ... وتبلغ هذه الهجرات ذروتها، بحلول عام ١٨٤٠ بفضل

(١) عرفه عبده على ، مرجع سابق ص ١٣ .

(٢) د.محسن على شومان ، مرجع سابق ص ٣٤٥.

(٣) د.محسن على شومان ، مرجع سابق ص ٣٤٦.

تشجيع « محمد على » باشا وأسرته والجاليات الأجنبية فى مصر، فتزايد توافد يهود أوروبا الذين وجدوا مع سائر الأقليات والجاليات الأجنبية«مناخاً ملائماً»لاغتنام الفرص فى عالم المال والتجارة والسمسرة، وبسقوط البلاد «فريسة للديون الأجنبية » وسيطرة الأوروبيين على مالية مصر، فتمتع اليهود بالامتيازات وحماية القناصل الأجانب ، وكان افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩، إيذاناً بتوالى المزيد من المهاجرين اليهود ، وشهد عهد الخديو إسماعيل توسعاً فى استخدام اليهود فى وظائف الدولة، وتوجهت الطائفة إلى تشييد المدارس والمعابد والمستشفيات والمراكز الاجتماعية وإصدار الصحف والمجلات، ولم يكن فى القوانين القائمة ما يعوق حريتهم ونشاطهم فى التجارة وأعمال الصرافة والبورصة والوظائف الحكومية [1] .

وقد تبين أن حارة اليهود بالقاهرة جاءت وليدة ظروف خاصة نشأت عن أفراد الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمى لحارة زويلة لسكناهم، بحيث غلب اسمهم على اسم الحارة الأصلى ، وأصبح كل منهما يدل على الآخر ويشير إليه ، وأنها لم تكن تختلف عن غيرها من حارات القاهرة، فتطابقت ملامحها الذاتية مع القسمات العامة للحارة فى مصر العثمانية ، وكان أبرز ما يميز حارة اليهود جمعها بين وظائف الحى السكنى وساحة العمل الحرفى والصناعى ، والسوق التجارى، ومن ثم ظهر بها عدد من الحرفيين والصناع، والباعة، معظمهم من المسلمين، وبقيتهم يهود،وخضعت الحارة لرقابة المحتسب المشرف العام على الأسواق [2].

وقد تشكل يهود مصر العثمانية من أغلبية ساحقة من الربانيين،وأقلية من القرائين ، وأعداد تكاد لاتذكر من السامرة والفلاشة الأحباش ،وضم الربانيون أربع مجموعات رئيسية : مصريون – مغاربة – أروام – فرنج،واتسمت الجماعة

(١) عرفه عبده على ، مرجع سابق ص ١٣-١٤.

(٢) د.محسن على شومان ، مرجع سابق ص (٣٤٦-٣٤٧).

بالتباين من حيث الدخل، والمستوى الاقتصادى، إلى حد التفاوت الشديد بين قمة ثرية منعمة، وقاعدة فقيرة معدمة وغيرهم من الموسرين ومتوسطى الحال، وصولاً إلى القاع الاجتماعى الذى مثله أرقاء وعبيد جروا فى ملكية آخرين [1].

نابليون يؤكد على أهمية دور اليهود فى خدمة المطامع الاستعمارية :

نبه « نابليون بونابرت » إلى الدور الذى يمكن أن يلعبه اليهود المصريون ويهود الشرق عامة فى المشاريع الاستعمارية فى المنطقة ، وذلك من خلال دعوته لهم للوقوف إلى جانبه والانضواء تحت لوائه ، وعلى الرغم من ذلك فإن « محمد على » فرض حمايته على اليهود وحذر الأهالى من المساس بهم بسبب اتهامهم بالتعاون مع الحملة الفرنسية ، وأسهم ذلك إلى جانب حركة النهضة التى شهدتها مصر فى عهد « محمد على» فى نمو الطائفة اليهودية فى مصر،إذ بلغ عدد اليهود فى مصر سبعة آلاف نسمة عام ١٨٤٠ [2] .

أثر قناة السويس على أحوال اليهود

تزايدت أوضاع اليهود ازدهارا مع افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩، ومع حركة الانتعاش التى شهدتها مصر فى تلك الفترة تبنى إسماعيل لمشروعه التجديدى غير المتوازن مع إمكانيات مصر المالية، مما أدى إلى الاستدانة من بنوك أوروبا ، وهى السياسة التى أدت إلى التدخل الأجنبى السافر واحتلال بريطانيا لمصر عام ١٨٨٢، ومع الاحتلال بدأت مرحلة جديدة ومهمة فى تاريخ اليهود وأحوالهم، ذلك أن الاحتلال وفر لهم الحماية التى جعلتهم يمارسون مختلف الأنشطة بعيداً عن أية متاعب أو رقابة، فما كان عام ١٨٩٧ إلا وقد أصبح نصف اليهود حاصلين

(١) د.محسن على شومان ، المرجع السابق ص (٣٤٩).

(٢) د. محمد عبد المؤمن محمد عبد الغنى ، موسوعة مصر والقضية الفلسطينية (١٩١٧-١٩٥٢) المجلد الأول ، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠١٢ ، ص ٤٦١.

على الجنسيات الأجنبية.

ونتيجة لذلك زاد عدد أفراد الطائفة اليهودية فى مصر، فبعد أن كان عدد اليهـود فى مصر قبيل الاحتلال البريطانى لايتجاوز عشرة آلاف نسمة ، وصل عددهم مـع إجراء أول إحصاء رسمى عام ١٨٩٧ إلى ٢٥٢٠٠ نسمة [١] .

الاحتلال البريطانى وأثره على الجالية اليهودية :

مما لاشك فيه أن الاحتلال البريطانى قد هيأ لليهود ظروفاً أنسب – للازدهـار المالى والنفوذ الاقتصادى والسياسى، فلاحتلال الأوروبى – بصفة عامة – ارتكز فى محاولته لتوسيع مساحة نفوذه فى العالم العربى الاسـلامى،على فـرض الحمايـة والرعاية لأبناء الأقليات ، ومنحهم حقوقاً وامتيازات ، لم تكـن متاحـة للأغلبيـة ، بحيث تتحول الأقلية إلى « جيب سـكانى » تـرتبط مصـالحه وطموحاتـه بـالقوى الاستعمارية صاحبة الحماية [٢] .

وإذا كانـت الطائفـة اليهوديـة فى مصـر، قـد حققـت ازدهـاراً عـلى المسـتوى الاجتماعى والاقتصادى،أتاح لزعمائهـ نفـوذا سياسـياً وماليـاً، وعلاقـات قويـة بالقصر الملكى ، فقد حققوا أيضاً ازدهاراً ثقافياً، تمثل فى حريـة التعبيـر المطلقـة من خلال الصحف والمجلات ، التى كانت أبـرز الوسـائل فى التعريـف بـالفكرة الصهيونية والترويج لها .. وقد امتد النشاط الثقافى إلى مجالات الأدب والمسـرح والموسيقى والسينما [٣] .

حياة اليهود فى جو من التسامح بين طوائف الشعب المصرى :

إن الحقيقة الثابتة تاريخياً،أن يهود مصر لم يعانوا أى نوع من أنواع الاضـطهاد، وأنهم عوملوا بروح التسامح والمودة وحسـن الجـوار بـين المصـريين، دون أيـة

(١) المرجع السابق ص (٤٦١-٤٦٢).

(٢) عرفة عبده على ، مرجع سابق ص ١٤.

(٣) المرجع السابق ص ١٦.

تفرقة بسبب عامل الدين [١].

وفى ظل هذا الجو من التسامح تمكن اليهود من ممارسة كافة أنـواع النشـاط ، كما استغلوا اهتمام المسئولين بالوحدة الوطنية ،وشهروا سيف التعصب فى وجـه كل من سولت له نفسه مهاجمة اليهود أو التنبيه إلى خطورة النشاط الصهيونى سواء فى مصر أو فلسطين، وكان هذا السلاح كافيا لإسكات الأصوات التى كانت ترتفع ضدهم أو لصرف الناس عن الاستماع إليهم .

وهناك عوامل أخرى أسهمت فى إفسـاح المجـال أمـام النشـاط الصـهيونى فى مصر منها :

- سيطرة اليهود على جوانب مهمة من الاقتصاد المصرى، وقد كـان هـذا مـن شأنه أن يحول دون اتخاذ أية إجـراءات ضـد الصـهيونيين الـذين كـانوا يتمتعـون بدعم وتأييد معظم الرأسماليين اليهود .

- انصراف السلطات المصرية عن مقاومـة النشـاط الصـهيونى حيـث اعتبـره البعض رافداً من روافد اليهودية ؛ مما أغرى المنظمة الصهيونية العالمية على جعل مصر أهم فروعها فى الشرق .

- إسهام بعض الصحف المصرية فى عرض وجهة النظر الصـهيونية عمـلاً بحريـة النشر مما ؛ كان له أكبر الأثر فى تضليل الرأى العام المصرى لفترة طويلة [٢].

وخلال الحرب العالمية الأولى تزايد عدد أفراد الطائفة اليهودية فى مصر بدرجة كبيرة نتيجة تدفق الهجرة اليهودية من فلسطين إلى مصر، إذ لجأ إليهـا خـلال عـام واحد من نشوب الحرب ١١٢٧٧ من يهود فلسطين فـراراً مـن الإجـراءات التـى اتخذتها ضدهم السـلطات العثمانيـة ، التـى قامـت بحـل الكثيـر مـن تنظيمـاتهم

(١) المرجع السابق ص ١٧.

(٢) د. محمد عبد المؤمن محمد عبد الغنى ، مرجع سابق ص (٤٧٨).

الصهيونية،وحرمت استخدام اللغة العبرية على لافتات الشوارع والمحلات ، إلى جانب أن اليهود رفضوا التجنس بالجنسية العثمانية حتى يتجنبوا الانخراط فى الجيش العثمانى ، ففضلوا مغادرة فلسطين على ذلك [(١)] .

وأقام هؤلاء اللاجئين اليهود فى مدينة الإسكندرية ، فى معسكرات أطلق عليها اسم معسكرات التحرير،وأشرفت السلطات المصرية والبريطانية فى تقديم وسائل الراحة والدعم لهم .

تم تأسيس أول فرع للمنظمة الصهيونية العالمية فى مصر برئاسة « جاك موصيرى » ثم خلفه « جوزيف شكوريل » رئيسا للفرع عام ١٩٢١ [(٢)] .

النشاط السياسى وعمليات التجسس اليهودى فى مصر

ترسخت فى الوعى اليهودى - عبر التاريخ - مشاعر الإحساس بالضعف والعزلة والخوف والتشكك ... وأنهم بحاجة دائماً إلى قوة تحميهم وتزود عنهم ، بعدما تخلى الرب عنهم وتركهم يعانون « قدر اليهودى » اللعن والكراهية والشتات [(٣)] .

نلاحظ أن بداية النشاط الصهيونى فى مصر واكبت ظهور الصهيونية الحديثة ففى فبراير ١٨٩٧ ، وبعد صدور كتاب هرتزل « الدولة اليهودية » عام ١٨٩٦، أسس « جوزيف ماركو باروخ » جمعية صهيونية بالقاهرة باسم « جمعية بركوخبا الصهيونية » برئاسة « جاك هارملين » ، وقد نجحت الجمعية فى تأسيس فروع لها فى الإسكندرية وبورسعيد والمنصورة وطنطا .

وقبيل الحرب العالمية الثانية تأسس فى مدينتى القاهرة والإسكندرية وحدهما

(١) المرجع السابق ص (٤٦٢).

(٢) عرفة عبده على ، مرجع سابق ص ٢٤٧.

(٣) عرفة عبده على ، مرجع سابق ص ٣٣٧.

نحو ١٤ جمعية صهيونية ، هدفها الدعوة إلى الأفكار والأهداف الصهيونية ،وفى القاهرة تأسست جمعية أبناء صهيون عام ١٩٠٠،وجمعية الأدب العبرى عام ١٩٠٥، وجمعية أحباء صهيون عام ١٩٠٦،ولجنة التنسيق الصهيونية عام ١٩٠٩، وجمعية أبناء صهيون إلى الأمام عام ١٩١٠ وفى الإسكندرية أسس« شارل بغدادلى » أول جمعية صهيونية عام ١٨٩٨ ضم إليها صفوة الأشكنازيم والسفارديم ، ثم تحولت هذه الجمعية إلى فرع لجمعية بركوخبا عام ١٩٠١، ثم تأسست عدة جمعيات أخرى مثل جمعية أمل صهيون ١٩٠٤،وجمعية عمال صهيون وجمعية أبناء صهيون عام ١٩٠٦، وجمعية شبان صهيون ١٩٠٧، ثم اندمجت جمعية أبناء صهيون مع جمعية زئير صهيون عام ١٩٠٩. وقد توحدت هذه الجمعيات عام ١٩١٧ تحت اسم « الاتحاد الصهيونى »[(١)] .

يؤكد « سعد يعقوب مالكى » ... رئيس تحرير صحيفة إسرائيل على أهمية الصهيونية ودورها فى إنقاذ الشباب اليهودى بقوله«من لطف الله بالأمة اليهودية أن قيض لها - وهى على وشك الوقوع فى اليأس من تحسن أحوالها - أن ظهرت إلى الوجود الحركة الصهيونية ، التى قدمت المثل الأعلى للشباب وللأمة بأسرها».

وبإيجاز شديد يمكننا القول أن الصهيونية العالمية قد استطاعت أن تجعل من مصر - أخطر مراكز نشاطها - فى الفترة من عام ١٩١٧ إلى عام ١٩٤٨.. فقد كانت مصر - دون أن تدرى أو تريد - معسكر الانتقال للصهيونية العالمية، والمحطة الرئيسية على الطريق إلى فلسطين، ولولا جهود زعماء الصهيونية وأعوانها فى مصر، لما استطاعت الصهيونية العالمية تأمين ظهر المستوطنين اليهود فى فلسطين،وضمان حركة التهجير إليها ، وتخفيف حدة التوتر العربى داخل فلسطين وخارجها ثم إعلان قيام دولة إسرائيل .

ونظراً لوجود طائفة يهودية كبيرة وثرية، يمكنها أن تؤدى دوراً مؤثراً فى خدمة

(١) المرجع السابق ص ٢٤٦.

الأهداف الصهيونية ، فقد أولت الصهيونية العالمية – مصر – اهتماماً خاصاً[(١)].

أما الدوافع التى حثت عدداً كبيراً من أبناء الطائفة اليهودية فى مصر لتأييد الصهيونية فهما دافعان :

الأول : دينى يتمثل فى الرغبة فى تحقيق نبوءة الرب فى العودة إلى أرض الميعاد .

الثانى : مساعدة اليهود المضطهدين فى أوروبا، وقد ذهب هؤلاء إلى تأسيس الجمعيات الصهيونية التى كانت تتولى جمع التبرعات وإعداد الشباب اليهودى تمهيداً لتهجيرهم إلى فلسطين،وإصدار الصحف الصهيونية بلغات متعددة بما فيها اللغة العربية لحشد يهود مصر وراء الهدف الصهيونى ، وهو إقامة دولة يهودية على أرض فلسطين[(٢)] .

تجدر الإشارة إلى أن الجمعيات الخيرية والأندية اليهودية ، تحولت إلى ساحات للترويج للفكر الصهيونى،حيث كانت تضم عددا كبيراً من شباب اليهود المتحمسين للصهيونية ، وحلم الوطن القومى،وكان عملاء الصهيونية العالمية قد نجحوا فى تجنيد معظم أعضاء هذه الجمعيات ، والأندية .. فتحولت من نشاطها الاجتماعى إلى النشاط السياسى[(٣)] .

حظر الصهيونية فى مصر :

تزايدت المواجهات المسلحة فى فلسطين بين العصابات اليهودية والمجاهدين العرب فى مطلع عام ١٩٤٨م ، واتخذت جامعة الدول العربية قراراً يلزم البلدان العربية بإصدار تشريع لمكافحة الصهيونية،وتنفيذاً لهذا القرار أصدر مجلس النواب المصرى قانوناً بمكافحة الصهيونية فى ١٦ فبراير ١٩٤٨ ،وحدد القانون بالصهيونية أنها كل فكرة أو مشروع أو منظمة يكون غرضها

(١) المرجع السابق ص ٢٤٥.

(٢) د. محمد عبد المؤمن محمد عبد الغنى ، مرجع سابق ص (٤٧٨ - ٤٧٩).

(٣) عرفة عبده على ، مرجع سابق ص ٢٤٨.

نقل المهاجرين إلى فلسطين ، أو السعى لتكوين دولة يهودية بها أو تأييد هيئة تدعو إلى ذلك .

وتلا صدور قانون مكافحة الصهيونية بأيام معدودة الكشف عن شبكة صهيونية فى مصر،إذ تم القبض على ثلاثة أشخاص يقومون بتصوير ميناء الإسكندرية وقطع البحرية المصرية ، وتم ضبط عدد كبير من الكتيبات والمنشورات والوثائق التى لها علاقة بالنشاط الصهيونى فى العالم،وذلك من خلال قيام البوليس بتفتيش الأندية التى ينضمون إليها ، ومنها نادى الكشاف الصغير بالإبراهيمية بالإسكندرية،والذى اكتشف أن له برنامجا يقوم على تدريب الشبان اليهود على أعمال الهاجاناه وتعليم اللغة العبرية [1] .

أعمال التجسس فى الرواية

أظهرت الرواية قيام بعض اليهود بأعمال التجسس لصالح إسرائيل ضد الدولة المصرية ، كما أشار إلى اهتمام بن جوريون الشخصى بـ« يولندا هرمر » ، وإرسال سيارة مسلحة من أجل توصيلها إليه .

« من وراء نوافذ مغلقة فى شقة فاخرة فى الدور الثانى فى عمارة سكنية فى شارع عدلى باشا فى القاهرة، جلست امرأة جميلة وممشوقة القوام تبلغ من العمر خمسة وثلاثين عاماً، قفلت بحذر صفحات تقارير مكتوبة باللغة العربية وقامت بحياكتها داخل نسيج الكتف الذى بطن ثيابها .

الخادم السودانى وقف بجوار باب الشقة ، مستعد أن يغلق بجسده الطريق أمام الضيوف الغير مرغوب فيهم، أن يفعل أى شيء من أجل أن تنتهى سيدته من إخفاء آثار فعلتها إذا حاولت الشرطة السرية الاقتحام إلى الداخل .

لكن لم يصل أحد، « يولندا هرمر» أنهت بسرعة مهمة الخياطة وارتدت

(١) د. محمد عبد المؤمن محمد عبد الغنى ، مرجع سابق ، ص (٥٠٩- ٥١٠).

ثيابها،طائرة ركاب صغيرة لشركة الطيران المصرية اعتادت على الطيـران إلى مطـار اللد مرات قليلة فى الأسبوع، ونجحت فى حجز مكان فى رحلة الطيـران فى صـباح اليوم القادم متزودة بحقيبة صغيرة سافرت بتاكسى إلى مطار ألماظة بجوار القاهرة وهبطت فى ساعة الظهيرة فى اللد ، دافيد بن جوريون، الـذى قـاد حـرب اليشـوف العبرى ، أرسل سيارة بحراسة مسلحة من أجل إحضارها إلى مكتبه فى تـل أبيـب، عندما دخلت إلى غرفته قام نحوها وصافحها، لقد ترقب مجيئها بفارغ الصبر .

جميل أن أراكِ يا « يولندا »، أنت تبدو جميلة كالمعتاد دائماً ، قال وسأل فوراً هل أحضرتيها ؟وإلا ماذا ؟ ضحكت ، كان لها ضحكة رقيقة ، تقريباً خجولة ، كشفت عن أسنان بيضاء ، وجهها كان أسمر من الشمس القاهرية ، وشعرها مصبوغ بلون البلاتين، امرأة قصيرة القامة وممشوقة القوام ، تفيض بجمال يستطيع فقط قلة من الرجال الصمود أمامها .

بسطت بردة ثيابها ، أزالت بسرعة خيطة وسادة الكتف واستست منها المخبـأ ، بن جوريون أخذ الصفحات واستدعى سكرتيرته « أريد أن تترجموا هذا فوراً » قال لها سألها« يولندا » متى ستعودين إلى القاهرة ؟

فى صباح غداً ، هناك الكثير من العمل .

قال بن جوريون : أنا أعلم وأنى عاجز عن الشكر لك ، وطلب شـاى لكليهمـا وطلب :

احكى لى ماذا يحدث فى القاهرة .

« توجد مظاهرات من أجل غزو (أرض إسرائيل)، ولكن الحكومة غير متأثرة بذلك ، مثلما تبدو الأمور الآن، لاتوجد فرصة أن تنضم مصر لهم .

معارضة الحرب جاءت ليست فقط مـن الحكومـة ولكـن مـن الجـيش ، ضـباط بارزون خائفون من أن الجيش ليس مؤهلاً ، ولن يكون قادراً على الفوز فى الجبهة .

الجهود المصرية فى القضية الفلسطينية

أظهرت الرواية الجهود والمساعى المصرية من أجل التوصل إلى حل سلمى للقضية الفلسطينية ، وإجراء اتصالات بين سياسيين مصريين ويهود فى القدس من أجل المساعدة فى إخراج البريطانيين من مصر، وفى ذلك إشارة إلى دور اليهود فى تحريض بريطانيا على غزو مصر حيث قامت بريطانيا بغزو مصر عام ١٨٨٢،بعد عام من بدء نشاط الحركة الصهيونية وإنشاء جمعية أحباء صهيون عام ١٨٨١ فى روسيا .

قرار مصر بعدم غزو (أرض إسرائيل) لم يفاجأ بن جوريون، فى السنوات الثلاث التى سبقت قرارالأمم المتحدة بشأن تقسيم (أرض إسرائيل)، إلى جانب التصريحات المصرية العلنية ضد الصهيونية، التقى سراً سياسيون يهود ومصريون فى القدس، فى القاهرة وفى واشنطن وأجروا مناقشات من أجل التوصل إلى حل سلمى يكون مقبولاً من جانب اليهود والعرب على السواء هم أيضاً الذين اقترحوا أن تطلب الوكالة اليهودية أن تشترك كعضوة نظامية فى الجامعة العربية ، اعتقد السياسيون المصريون أنه طالما استمر الصراع فى (أرض إسرائيل) ، لن يكون من الممكن إخراج البريطانيين من مصر ، ولقد وعدوا بمساندة حل سلمى ، مقابل تعهد بأن يساعدهم اليهود فى تحريك البريطانيين للخروج من بلادهم .

قبل رحلة الطيران السريعة ليولندا هرمر إلى البلاد بأيام قليلة ، أقامت الجامعة العربية « لجنة عسكرية » ، مهمتها إدارة جيش الإنقاذ ، تحت قيادة « فوزى القاقوجى »، كان من المقرر أن تقوم هذه المنظمة العسكرية أن ترسل إلى (أرض إسرائيل)وحدات محاربة تقوم بالعمل مع التنسيق مع العرب المحليين من أجل منع خطة التقسيم ، كان يقف على رأس اللجنة العسكرية « إسماعيل صفوت » نائب رئيس الأركان العراقى، وهو رجل عسكرى ذو خبرة ، الذى تقدم فوراً

لكتابـة تقرير خـاص عـن إنشـاء جـيش الإنقـاذ، تعبئـة المحـاربين،وطرق التمويل،وإمكانيات التدريب،والعتاد والسلاح وخطط الحرب. هذه الوثيقة ، التى صنفت على أنها سـرية جـدا ، وتـم تقـليمها إلى سـكرتارية الجامعـة ، أرادهـا بـن جوريون – وكان يولندا الشخص الوحيد القادر على القيام بذلك .

إشارة الكاتب إلى أهمية الجاسوسة « يولندا هرمر » حيث كانت لها علاقات مع العديد من الطوائف داخل المجتمع المصرى ، وأنها كانت تستطيع الحصول علـى أية معلومة تريد معرفتها عن طريق علاقاتها مع مجموعة من كبار المسئولين .

يولندا هرمر كانت جاسوسة ماهرة، الأكثر فائدة بين عمـلاء القسـم السياسـى للوكالة فى مصر، جميلة ، فاخرة الثياب، امرأة مجتمع مشهورة، نسـجت مجموعـة مـن العلاقـات فى القيـادة وأدارت شـبكة مـن المخبـرين (اليهـود / العـرب / البريطانيين) كانوا مستعدين مقابل مبالغ مالية بسيطة ، وجبـة عشـاء بصـحبتها أو علاقات غراميةكانوا مستعدين أن يعطوها كـل معلومـة تطلبهـا ، مـن بينـهم كـان أعضاء مـن إدارة الإخـوان المسـلمين، موظفـون بـارزون فى شـعبة المخـابرات الجيش البريطانى فى مصر .

علاقة « يولندا هرمر » بالقصر الملكى

فى الظاهر كانت صحفية، ممثلة وكالة الأنباء اليهوديـة (وكالـة تليغـراف أرض إسـرائيل) ومراسـلة لعـدد مـن الصـحف فى الولايـات المتحـدة ، لكـن عملهـا الصحفى كان مجرد تمويه فقط ، مع إقامة الجامعة العربية فى عام ١٩٤٥ تحولـت القاهرة إلى مركز النشاط السياسى فى العالم العربى .

كل معلومة حـول مناقشـات الجامعـة، حـول برامجهـا،حول الرجـال الـذين تزعموها كان ضرورياً ، يولندا أحاطت نفسـها بشخصـيات سـعوا إلى مصـاحبتها ورغبوا أن يكونوا من أحبابها، ذات مساء عندما تناولت الطعام مع رجل اقتصادى مصرى كبير فى المطعم الفـاخر لفنـدق « شـفاردس » ، لاحظـت وجـود الملـك

« فاروق » الذى جلس فى مكان ليس بعيداً عنها ، بدون تردد رفعت يدها، وجذبت انتباهه، ولوحت له بود، ونادت نحوه « هالو » . دفعة واحدة طبق صمت فى قاعة المطعم ، التوجه العلنى إلى الملك أدهش جميع الحاضرين ، فاروق مال إلى مساعده وهمس له بشيء، هم دعوا « يولندا » إلى مائدته وهى قامت فوراً من مكانها ، وأمام النظرات المتعجبة لنزلاء المطعم سارت بخطوات بطيئة نحو الملك، ودعاها « فاروق » للجلوس .

قالت بصوت عذب « أنا آسفة لأنى أزعجتك »، لكن لم يكن أمامى اختيار آخر ، حكت له أن هيئة التحرير فى صحيفتها فى نيويورك أبلغتها أنها ستفصل إذا لم تعقد لقاء مع الملك، قالت « جسرت على التلويح لك لأنه لم يكن أمامى اختيار »، علمت أننى سأتعرض للسجن، لكنى خفت من البقاء بدون عمل،هى عقدت هذا اللقاء ولا أحد يعلم كم مرة التقت مع « فاروق » منذ ذلك الحين ، هناك حقيقة واحدة واضحة : إنها لها معلومات حيوية مباشرة من الفناء الملكى .

تفاصيل حياة الجاسوسة « يولندا هرمر » :

« يولندا هرمر » ولدت فى الاسكندرية فى التاسع والعشرين من نوفمبر عام ١٩١٣ ،لأب يهودى من أصل تركى ، الذى أدار أعمال عائلة مصرية – تركية ثرية ، والداها أرسلوها لتتعلم فى مدرسة فخمة فى باريس ، هناك أظهرت محبة كبيرة للأدب وللمسرح ، عندما عادت إلى الإسكندرية ، قاما والداها بتزويجها رغما عنها لابن عائلة « ديه – بوتين » ، أصولها تنتمى إلى مطرودى أسبانيا ، زواجهما انتهى بعد ولادة ابنهما « جلبرت » .

بعد تطليقها ، قابلت فى القاهرة « جوليان جرينبرج » ، يهودى من جنوب أفريقيا ، صهيونى متحمس ، مثقف ، محب للموسيقى ، الأدب والفن ، جاء إلى مصر من أجل إدارة شبكة محلات ملابس للنساء ، زوجته وابنته الصغرى لم يأتوا معه .

يولندا أحبته وبادلها الحب ، هم أكثروا من التنزه فى مصر ، وذات مرة وصلوا معاً للقدس .

كان جوليان يعرف « بن جوريون » شخصياً ، و« موشيه شرتوك » (شاريت) رئيس القسم السياسى للوكالة اليهودية .

قدم لهم محبوبته ، وهى سحرتهم ، شرتوك تردد وراءها بشغف ، وقام الياهو ساسون رئيس الشعبة العربية فى الوكالة بإقناعها لتكون جاسوسة فى القاهرة .

وعد « جرينبرج » بالزواج من يولندا ، ولكنه خاف من طلاق زوجته ، توصلت يولندا إلى هذا الاستنتاج المحتمل الوحيد ، وتركته ، ولكن لم تبق وحيدة كثيراً، كان الرجل الجديد فى حياتها هو « هارى هرمر » ،طيار فى سلاح الجو الجنوب أفريقى، وسيم ومثقف ، هم التقوا فى مقهى على ضفاف النيل ، تزوجوا وعاشوا فى سعادة ، حتى توفى « هارى » فى حادث طائرة ، وعندما تلقت يولندا خبر وقوع هذه المصيبة ، حاولت الانتحار بالقفز من شرفة شقتها ، أقاربها أنقذوها فى اللحظة الأخيرة .

علاقات يولندا هرمر بالشخصيات الهامة

فى غضون فترة قصيرة تزوجت مرة أخرى، وطلقت بعد ذلك تقريباً، خيبة الأمل من الأزمات التى تعرضت لها ، جعلتها تخصص كل وقتها من أجل جمع المعلومات من أجل الوكالة ، المديح الذى تلقته من وكلائها فى القدس كان العوض عن الفراغ الذى تركه فى قلبها الأزواج الذين جاءوا وذهبوا. هى كسرت قلب كل رجل استطاع أن يزودها بالمعلومات التى أرادتها .

« ريتشارد جيلس » رئيس الشرطة السرية البريطانية فى القاهرة ، كان أحدهم ، مصدر معلومات مهم آخر كان « تقى الدين الصالح » سفير لبنان ، ونائب سكرتير الجامعة العربية ، الذى كان على صلة صداقة معها باستمرار على الرغم من

الشكوك بأنها تعمل فى التجسس ، على إصبعها الصغير كان يدور أيضا سفير السويد فى مصر، «فيدئر باجا» الذى كان يتردد وراءها وسمح لها باستخدام البريد الدبلوماسى الخاص به ، ونقل المعلومات التى جمعتها ، هناك كان اسمها السرى « نيكول ».

عن طريق علاقاتها ، علمت يولندا بالتقرير الذى يتحدث عن تعبئة المقاتلين العرب الأوائل لـ« جيش الإنقاذ » الذى قدمه للجامعة العربية « إسماعيل صفوت»، وهى أبلغت القدس أنها تستطيع الحصول على الوثيقة ، لكن ينبغى عليها أن تدفع للوسيط ٣٠٠ جنيه مصرى .

على الرغم من كون هذا المبلغ كبير جدا حسب تقدير هذه الأيام ، لكن وافق بن جوريون على دفع المبلغ بدون تردد ، قال « إذا كان هذا المبلغ سيمنع حتى قطرة دم واحدة من مقاتل يهودى ، يجب أن يدفع » .

عندما حصل « بن جوريون » على الصيغة المترجمة من الوثيقة، قرأها بعناية بالغة ، قدر « إسماعيل صفوت » أن لدى يهود (أرض إسرائيل) قوة عسكرية فورية بحوالى ١٥٠٠٠ رجل جاهزون للقتال ، وعدد مضاعف من الرجال مدربين ، من الممكن تعبئتهم بسرعة .

خمن بأن فى المخازن المخبأة يحتفظ اليهود بمدرعات وأسلحة ثقيلة ، مفككة لكن من الممكن تركيبها سريعاً، وأعرب عن مخاوفه بأنه فى وقت الضرورة ، سيكون من الممكن تعبئة متطوعين يهود من جميع أنحاء العالم، الذين سيأتون من أجل الحرب بجانب إخوانهم .

اعتقد « صفوت » أن حرب العصابات لن تنجح فى إخضاع يهود (أرض إسرائيل) وأن الجيوش العربية فقط ، تحت قيادة موحدة ، تستطيع أن تقوم بذلك .

أصر على ضرورة تعبئة متطوعين كثيرين بقدر الإمكان ، امتلاك أسلحة وطائرات ، التقرير لم يعط تفاصيل عن وضع السلاح العربى ، أيضاً ليس عن خطط الغزو ، لكن كان يحتوى على توصية واضحة للحرب .

راحة عشية السبت أحاطت حى الفسطاط فى قلب القاهرة ، فى المعبد القديم «بن عزرا» انتهت الصلاة والمصلين يرتدون ملابس الاحتفالات ، توجهوا فى طريقهم لتناول وجبة السبت فى منازلهم ، فى الجو الصحو فى ذات المساء فى نهاية ديسمبر ١٩٤٧ لم تنته كل علامات مثيرى القلق ، لكن هم كانوا هناك ينتظرون اللحظة المناسبة .

فى القاهرة سكن اليهود منذ القرن السابع الميلادى ، فى القرن الحادى عشر أيضاً فى الحى القديم « موشيه بن ميمون » ، الحاخام ، الفيلسوف ومن كبار الفقهاء ، الذى كان أيضا طبيب فى بلاط حكام مصر ، بعد ذلك وصل إلى مصر كثيراً من مطرودى الاضطهاد فى أسبانيا ، وعدد اليهود فى القاهرة زاد بسرعة .

كبار الأغنياء سكنوا هناك بجوار فقراء معدومين ، أنشأوا هناك مدارس نظرية وعملية ، موائد وملاجئ للفقراء، مدارس وفروع كبرى من كل الحركات الطلائعية من (أرض إسرائيل) .

أحوال الجالية اليهودية فى مصر قبل الحرب وموقفها من الحرب :

تاجر السجاد الغنى « أفراهام شاؤول » وأبنائه الاثنين ، عزرا ويعقوب ، تلاميذ المدرسة الفرنسية فى القاهرة ، تفرقوا عن زملائهم بالمصافحة ، وساروا تجاه منزلهم الواسع ، رائحة الوجبة التى أعدتها الأم « استير » استقبلتهم ، أبناء الأسرة التفوا حول المائدة المعدة فى غرفة الطعام فى الطابق الأول ، صاحب المنزل دعا دعاء القداس على النبيذ ، غسل يديه وقال دعاء الطعام ، بعد ذلك أزال غطاء القطيفة الفاخر من فوق رغيف الخبز وشقه .

بعدما بدأوا فى الأكل بدقائق قليلة سمع طرقات قوية على الباب ، الجالسون على مائدة الطعام نظروا إلى بعضهم البعض بدهشة ، أبداً لم يزعجهم أحد على وجبة عشية السبت .

همهم أفراهام شاؤول : أتمنى ألا تكون هناك كارثة وتوجه لفتح الباب ، ثلاثة من العرب المرتدين جلاليب بيضاء وقفوا فى المدخل ، هو لم يعرف أحداً منهم . أحد الثلاثة قال : جئنا لنأخذ تبرع للحرب فى الأرض المقدسة .

شاؤول لم يفهم . من أنتم ؟ سأل .

« نحن من الإخوان المسلمين . كثيراً منا سيتوجهون إلى فلسطين، للقتال هناك، نحن بحاجة إلى أموال من أجل السلاح والعتاد .

الإخوان سكبوا البنزين على نيران الكراهية فى (أرض إسرائيل) منذ فترة طويلة قبل أن تقرر الأمم المتحدة إقامة دولة يهودية . زعيم المنظمة الشيخ حسن البنا ، كان يعمل مدرساً فى السابق ، أقسم على الحرب إلى جانب عرب فلسطين حتى يقوموا بإلقاء اليهود فى البحر ، جمع تبرعات واشترى أسلحة ، ساعد عصابات المفتى المقدسى وعصابات الإرهاب على اسم الشيخ « عز الدين القسام» ، وهو واعظ دينى فى حيفا قتل على أيدى البريطانيين عام ١٩٣٥ .

ارتعدت فرائص شاؤول، لكن أنا يهودى .. ليس لى صلة بهذه الحرب .. تمتم .

أنت قبل كل شيء مصرى ، وبخه أحد هؤلاء الضيوف الغير مدعوين، أنت كمواطن مصرى ، واجبك أن تساعدنا .

وعى الشعب المصرى بالصهيونية

أظهرت الرواية وعى الشعب المصرى وفهم الفرق بين اليهودية والصهيونية ، وأن الصهيونية تختلف اختلافاً كبيراً عن اليهودية القديمة .

هم لم يصلوا وأيضاً لم يتصلوا لشرح لماذا ، لكن كان هناك تخمين لدى «كلارط تسوكرمان» ، فى الدرس الأخير تحدثت معهم حول قرار الأمم المتحدة بشأن إقامة دولة يهودية فى (أرض إسرائيل) ،كلا المحاميان كانا منزعجين جداً، هم اعتقدوا أن الأمم ارتكبت ظلماً فاحشا تجاه العرب لأن لهم ملكية كل أرض فلسطين .

تحدثت « كلارط تسوكرمان » عن وطن الشعب اليهودى ، هى حكت لهم عن النشاط الصهيونى بين الشباب اليهودى فى القاهرة ، « علمنا أنك يهودية » ، تعجب أحدهم ، من المفزع أن نفكر أنك أيضاً صهيونية .منذ ذلك اليوم لم ترهم ثانية .

تسامح الشعب المصرى مع الطائفة اليهودية

مساندة نضال عرب (أرض إسرائيل) ضد الدولة اليهودية، أثر على كل طبقات المجتمع فى مصر ، وتسبب فى تغيير واضح فى علاقة المجتمع تجاه ٨٥ ألف يهودى عاشوا بجوارهم .

حتى قرار الأمم المتحدة تمتع يهود مصر بجنة عدن فياضة خيرة .

كثير من الأغنياء سكنوا فى منازل فاخرة فى حى الزمالك بجوار النيل، أرسلوا أولادهم إلى مدارس فاخرة فى باريس ، شغلوا وظائف فى الجيش ، أقاموا حفلات خطوبة لأبنائهم وبناتهم فى النوادى اليهودية وأقاموا حفلات، اشترك فيها أيضاً كبار مسئولى السلطة والمجتمع الغير يهودى، تطورت مجموعة من العلاقات التجارية المتشعبة وصلات الصداقة المنينة بين اليهود وسائر أجزاء المجتمع ، كثير من زميلات كلارط تسوكرمان ، ابنة طبيب الأسنان ، الذى سكن فى الزمالك، كانوا بنات رجال أغنياء غير يهود ، وفى يوم عيد الغفران جاءوا معها إلى المعبد وصاموا أيضا كدليل على التضامن معهم .

تزايد نشاط الحركة الصهيونية على أرض مصر :

على الرغم من الجو المعادى استمر العمل بين الشباب الصهيونى علانية ، فى النوادى حكوا عن (أرض إسرائيل)، وفى الحقول افترشوا الأرض بجوار المقابر الخاصة بالقاهرة ، وتدرب الفتيان والفتيات على استخدام العصى للدفاع الذاتى قبل هجرتهم إلى البلاد .

فى إحدى أجازاتها سافرت كلارط مع مجموعة من الشباب اليهودى للتدريب فى كيبوتس جفعات برنر، وقابلت هناك المرشد « جيدى إيلات » من البالماح، وربطت بينهم صداقة قوية .

عندما أوشكت على العودة إلى مصر ، أعطته صورتها ، وهو أعطى لها صورته مع إهداء خاص .

عندما عادت للقاهرة اكتشفت أن الجو أصبح أكثر تعكيراً، الطلبة العرب فى جامعة القاهرة ، الذين كانوا أمس وأول أمس من ضمن أصدقائها الأعزاء ، أعطوها ظهرهم ، ولم يكلموها كلمة .

وصلت إلى الشرطة كثير من خطابات الإبلاغ عن اليهود الذين عملوا فى النشاط الصهيونى ، رجال شرطة بالزى المدنى طرقوا أبواب اليهود فى القاهرة وفى مدن أخرى ، وأوقفوا المشتبه فيهم فى النشاط الصهيونى ، فى أعقابهم جاء الجمهور الذى سلب منازل اليهود ، وضربوهم قبل اعتقالهم .

بعد مضى فترة من الوقت، هاجم رجال شرطة مصريون منازل يهودية مرة ثانية ، وأرسلوا سكانها إلى معسكر الاعتقال فى الهايكستب فى هليوبوليس ، وعندما تم إطلاق سراحهم فى النهاية ،وطلبوا الخروج من مصر ، سمح لكل واحد منهم ألا يأخذ معه أكثر من ٢٠ جنيها مصرياً ، والملابس التى يستطيع وضعها فى حقيبة واحدة ، كل ممتلكاتهم صودرت ، ومن بين الـ ٨٥ ألف يهودى الذين عاشوا فى

مصر ، تبقى بها على مر السنين ليس أكثر من ٦٠ عجوزاً .

لكن شرتوك لم يسرع بالرد، يولندا بقيت منفردة فى القاهرة ، تحاول أن تخلص نفسها وابنها من مصر بقواها الذاتية، أصدقاؤها المخلصون جداً خافوا من مساعدتها ، الآخرين طلبوا مبالغ مالية كبيرة لم تكن متوفرة لديها ، هى جلست فى المكتب الخالى للوكالة اليهودية واتصلت بدون توقف بكل من لم يرد عليها رداً سلبياً ، وحينئذ اندفع إلى الداخل رجال لشرطة واعتقلوها وفقا لتعليمات شخصية من رئيس الحكومة « النقراشى » باشا ، الذى خضع لمطلب « الإخوان المسلمين » لاعتقال الجاسوسة الخطيرة .

الإجراءات التى قامت بها الحكومة المصرية لإيقاف نشاط الصهيونية

أظهرت الرواية أن مصر اتخذت إجراءات شديدة من أجل حظر الصهيونية فى مصر وأن السلطات المصرية قامت باعتقال الآلآف من اليهود فى مصر .

فى نهاية أبريل ١٩٤٨ تم اعتقال حوالى ١٠٠٠ ناشط صهيونى فى مصر ، تم اعتقال أيضا غالبية العاملين فى فرع الوكالة اليهودية بالقاهرة ، الذى عملت فيه يولندا هرمر ، وصل إلى شقة « يولندا هرمر » ضابط كبير فى الشرطة السرية ، الذى يعد من دائرة أصدقائها ، لقد جاء بمفرده ، مرتدياً زيا مدنياً ، وتسلل إلى الشقة بعدما كان من الواضح له ، أنه ليس هناك أحد يعرفه .

البسمة التى علت على وجه يولندا عند رؤيته تلاشت عندما حكى لها عن حملة الاعتقالات الجماهيرية ، جئت لكى أعلمك أنك أيضا موجودة فى القائمة ، قال لها اهربى من هنا قبل أن يكون الوقت متأخراً .

فى نفس الليلة انتقلت مع ابنها إلى منزل أصدقاء لها ، بعد مجموعة مكالمات تليفونية اتضح لها أن غالبية معارفها وأصدقائها فى العمل تم اعتقالهم، وفى غداة اليوم الثانى أرسلت تقرير أخير إلى القدس ، بواسطة رجل اتصالات فى باريس،

هى أرسلت بيانات جديدة عن سلاح الجو المصرى ، وكتبت فى نهاية التقرير :

وضعى هنا حرج جداً .

أنا لازلت فى الخارج بفضل تأثير الأصدقاء ، لن أرفض تغيير الجو ، أبلغ « ايلى بلج » مبعوث الوكالة فى القاهرة الذى نجح فى الهرب من هناك فى الوقت المناسب « موشيه شرتوك » أن يولندا بقيت بمفردها ، وغالبية أعضاء الوكالة الذين عملوا معها تم اعتقالهم ، أو امتلأوا خوفاً واختفوا، حكى أن كبار المسئولين قطعوا علاقاتهم معها، وأن معجبها المتحمس ، سفير لبنان « الصالح » لم يهتم بالرد على اتصالاتها .

فى نفس المساء أصيبت بالحمى ورقدت على سريرها فاقدة الوعى ، مدير السجن استدعى طبيباً ، قام بفحصها وأوصى بإجراء فحوصات أخرى .

لكن النتائج كانت مقلقة جداً ، الطبيب جاء بنفسه ليبلغها عن ذلك .

قال : للأسف « لاتوجد لدى بشارة طيبة ، ياسيدتى ، يوجد لديك سرطان» .

هى نظرت إليه بقلب خافق من الخوف .

همست ، هل من الممكن معالجة هذا المرض .

هز الطبيب رأسه بالنفى .

كم من الوقت متبقى لى فى الحياة ؟

« ليس كثيراً ، سيدتى ، على أية حال ، سأوصى بإطلاق سراحك فوراً من السجن .

توجه « الياهو ساسون » رئيس الشعبة العربية فى الوكالة اليهودية إلى باريس ، وعمل من هناك من أجل إنقاذ « يولندا » من مصر ، كان تقديره الذى اعتمد إلى حد كبير على التقارير المفصلة التى أرسلتها فى الأشهر الأخيرة ، أن مصر هى الدولة العربية الوحيدة

التى ستكون مستعدة فى المستقبل للوصول إلى اتفاق سلام مع إسرائيل .

أجرى ساسون اتصالات مع شخصيات فى القيادة المصرية . وأراد إقناعهم بأن « يولندا » من الممكن أن تكون مساعد كبير فى الوساطة بين الأطراف ، وقد أثمرت جهوده وبعد مرور فترة قصيرة حصلت على أذن بالخروج من مصر ، قبل سفرها طلب النقراشى باشا مقابلتها ، وتمنى لها الشفاء السريع ، وقال أبلغى رؤساءك أنه فى المستقبل ربما نجرى اتصالات سياسية .السفينة التى حملت يولندا وجلبرت على ظهرها فى الطريق إلى فرنسا، تحركت ببطء من الرصيف ، الساحل المصرى ابتعد بسرعة، ونظرت يولندا بحزن إلى منازل الإسكندرية المختفية فى الأفق ، فى هذه البلد وجدت وفقدت حب حياتها، هى عملت هناك كجاسوسة متميزة ، ولكن لم تنه دورها كما رغبت ، وأيامها أصبحت معدودة .

العرب واليهود بعد صدور قرار التقسيم

أشار الكاتب إلى تغير الحال بين العرب واليهود بعد صدور قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين .

وقت العلاقات الطيبة انتهى عندما قررت الأمم المتحدة إنشاء الدولة اليهودية ، فتح قناصون النيران تجاه مستوطنة « كفار داروم »، وأثناء الليل سرقت من الحقول معدات زراعية غالية ، قام متسللون بتدمير أنابيب المياه التى امتدت من نيرعم فى الجنوب ، وقبل فترة من غزو الجيش المصرى ، حاولت وحدة من الإخوان المسلمين التى جاءت من مصر احتلال المستوطنة .

لقد كانوا مسلحين بأسلحة كثيرة ، وببركة زعيم المنظمة حسن البنا ، مصممون على الفوز وإثبات أنهم لايقلون كفاءة عن وحدات الجيش النظامية، التى على وشك الدخول إلى المعركة ، بدأت المعركة بموجة قوية ، بصرخات قتالية وبنيران جهنم من البنادق والرشاشات ، لكن القتلى المصريون الأوائل الذين سقطوا فى ميدان القتال بعد إصاباتهم إصابات دقيقة من نيران المدافعين عن

الكيبوتس، جعلوا الروح القتالية للإخوان المسلمين*تنهار سريعاً ، وأسرعوا فى الانسحاب .

موقف الطائفة اليهودية من الحرب

« نشر الحاخام الأكبر للطائفة فى القاهرة «حاييم ناحوم » فى ١٨ مايو بعد إعلان الحرب بثلاثة أيام تصريحاً يناشد فيه أبناء طائفته بالتبرع إلى الجيش المصرى لمساعدته فى مهمته فى فلسطين والدعاء للملك والجيش ، غير أن الحكومة المصرية وكتأثير مباشر للأحداث فى فلسطين بدأت حملة ضد بعض اليهود المقيمين فى مصر من المشتبه فى صلتهم أو انتمائهم للصهاينة ، وفى ٣٠ مايو ١٩٤٨ صدر أمر عسكرى أثار قلق اليهود من الإجراءات التى اتخذتها السلطات تنفيذاً لهذا القرار من مصادرة أموال أو إبعاد اليهود الصهاينة ، فضلاً عن حوادث الاعتداء على بعض المحال والممتلكات المملوكة لهم »[(1)].

بعد الظهر زارقصر عابدين وفد من الطائفة اليهودية ، برئاسة الحاخام الكبير «حاييم ناحوم أفندى»، وطلبوا مقابلة الملك ، لكن فاروق غاب عن القصر بسبب جولة فى معسكرات الجيش ، بدلاً منه قابل أعضاء الوفد سكرتير الملك ، طلب الحاخام أن ينقل للملك شكر الطائفة على البيان الذى أعلنه خلال لقاء مع صحيفة المقطم ، بأن المصريين لايكنون أى عداء تجاه اليهود فى بلادهم، تعهد حاييم ناحوم بأن الطائفة ستحافظ على ولائها لفاروق أيضاً فى وقت الحرب ، السكرتير تعهد بنقل الرسالة إلى الملك، وعندما خرج من هناك قال الحاخام لمرافقيه ، لسبب ما أنا قلق جدا ، يقول لى قلبى أن هناك أيام صعبة تنتظرنا.

حرب فلسطين فى الصحف الغربية :

تحدثت صحف تشيكوسلوفكيا بإستفاضة عن الغزو المتوقع للجيوش العربية ،

(١) د. محمد عبد المؤمن محمد عبد الغنى ، مرجع سابق ص (٥١١).

كانت التقدير العام أن الانتصار العربى وشيك، المواطنون في التشيك ترجموا المكتوب فى الصحف لطيارى « المسر شميدتيم »، وهؤلاء غرقوا فى حزن أسود، البقاء المستمر فى تشيكوسلوفكيا وتر أعصابهم ، هم أرادوا العودة والحرب .

كان واضحا أمام الطيارين أنهم لن يكملوا كورس التدريب في وقتها ، هم حثوا معلميهم ، أعلنوا أنه على أية حال لن ينفذوا ٧٠ عملية إقلاع طيران منفردة كما هو مطلوب وسيكتفون بأقل من عشر عمليت ، هم أيضا قالوا أنه لن يكون أمامهم وقت لإجراء تدريبات إطلاق النيران ، وعندما يصلون إلى إسرائيل سيقومون بتدريبات إطلاق النار فى الجبهة ، ابلغ الطيار « فينى بن بوريت » لقائد الكورس .

المساعى السورية للحصول على الأسلحة

بعد ذلك بفترة وصل إلى مطار روما « فؤاد مردم بك » ممثل حكومة سوريا وقريب عائلة رئيس الحكومة السورى ، استقل القطار إلى بثرى، المدينة الساحلية فى شرق إيطاليا ، وسافر مباشرة إلى الميناء .

بجوار الرصيف القديم كانت بقايا سفينة الشحن « لينو» غارقة فى المياه الملوثة ، وكانت على وشك أن تنقل شحنة بنادق من تشيكوسلوفاكيا إلى سوريا، وتم تفجيرها على أيدى مبعوثى الهاجاناه قبل أن ترفع المرساة ، مردم كلف غواصين قاموا برفع السلاح من قاع البحر واستأجر سفينة الشحن « أرجيرو » ليشحن عليها حمولة البنادق وإرسالها إلى سوريا بأسرع مايمكن .

الفصل الثاني

الموقف المصري من القضية الفلسطينية

الملك فاروق وفلسطين :

نصب الملك « فاروق » نفسه محرراً لفلسطين منذ البداية، وخلال زيارة جلالة الملك عبد العزيز للقاهرة تم الاتفاق على دعوة الملوك والرؤساء العرب إلى اجتماع برئاسته ، ليضع البرنامج ويرسم الطريق ويتسلم الأمانة .

كان الملك « عبد الله » يتوجس شرًا من الحلف بين الملك فاروق والملك عبد العزيز ، وكان يرى أن الأول تركى لاصلة له بالعروبة ، والثانى قاطع طريق لاصلة له بالسياسة ، وكان كل همه منصبا على تحقيق حلمه فى مملكة سوريا الكبرى، وكان على صلة وثيقة بالوكالة اليهودية ويساومهم على المشروع [1] .

وكلما فكر الملك فى فكرة الغزو ، بدت له أن هذه الحرب ستكون حلاً كاملا لعدد من المشاكل ، كان له أعداء ألداء جعلوه لايستطيع النوم ، واعتقد أنهم أكثر خطورة من اليهود ، فى ضوء النهار وفى السر نشطت المنظمة الحاسدة « الإخوان المسلمون » جمعت قوة وتترقب انقلاباً يطيح بنظام الملك .

عندما فكر فيهم كان « فاروق » ممتلئاً غضباً وخوفاً ، هو علم أنه إذا لم يسرع باستئصال هذه الأعشاب الضارة ، سيقومون بالإطاحة به من السلطة .

يقومون بتأميم الثروة الكبيرة التى جمعها ، ربما أيضاً يقوموا بشنقه ، الحرب فى (أرض إسرائيل) ستحول انتباه المتآمرين عليه إلى الجبهة، الانتصار سيدعم موقفه وسيسهل عليه استئصال أعداءه من الداخل .

هذه كانت بشكل عام انتقادات خاصة ، خدعهم عند عودته للقاهرة ، فى حقيقة الأمر ، حملت هذه الانتقادات طابعاًسياسياً واضحاً ، فى المباحثات مع القادة العرب اتفق« فاروق» مع الرأى بأن اليهود خطر على العالم العربى كله ، عارض

(١) محمد عودة ، كيف سقطت الملكية فى مصر ؟ فاروق بداية ونهاية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٢ ص١٥٩.

الهجرة الإضافية للبلاد ، وأظهر تفاهماً للمقاومة العربية فى فلسطين .

بدون استشارة حكومته أعطى الحمية للمفتى المقدسى وأجرى له استقبال ملكى فى مباحثات على انفراد قال له المفتى أنه إذا لم تشارك مصر فى الحرب ، سيحتل « عبد الله » ملك الأردن فلسطين ، ويسيطر عليها .

نظر الملك البدين بمودة إلى المفتى النحيف والملتحى ، ويعينى مخيلته رآه يقيم فى فلسطين دولة عربية تبسط عليها مصر رعايتها .

فى كل مكان وجد الملك علامات عززت مشاعر مهمته كزعيم العالم العربى ، باستقبال قيادة الحكومة والمجتمع المصرى ، الذى تم فى قصر عابدين فى بداية ١٩٤٨ ، هتفت الجموع بإسم الملك وتوجته بصفة نالها فقط الخلفاء، هم أطلقوا عليه اسم « أمير المؤمنين » ، وأثاروا فى عينيه دموع التأثر، فى نفس الوقت، بدأ ممثل عرب فلسطين فى الجامعة العربية « موسى العلمى » بتلقيب فاروق فى خطاباته باسم « رئيس فلسطين » .

كلما مرت الأيام ، زادت الهجمات العربية على المستوطنات اليهودية، وعلى طرق المواصلات المركزية ، الهجمات المضادة على التجمعات السكانية العربية وعلى طرق المواصلات العربية زادت هى أيضاً، من وجهات نظر عديدة هذه كانت حرب حقيقية .

ازداد عدد الضحايا بدون توقف، تم تخليص عدد من المستوطنات اليهودية من الحصار العربى، آخرين لا ، العديد من المتطوعين من الدول العربية عبروا الحدود وانضموا إلى المجموعات القتالية العربية فى البلاد .

أحب فاروق الملابس العسكرية والأسلحة وتباهى بقدرته على التصويب ، الجيش المصرى كان مصدر فخره ، أكثر من زيارة الوحدات العسكرية وأن يمنح فى أغلب المراسم هدايا مالية للضباط والجنود المتميزين، الغزو المنشود أثار فيه

الحماسة ، مثل الولد الصغير الذى يلعب بجنود من الدمى ، طالب بأن يكون مشاركاً فى كل تفاصيل خطة الهجوم، وتعنت أيضاً لكى يحدد بنفسه معايير أنسجة الراية القومية التى ستحملها الوحدات الغازية .

موقف الحكومة المصرية من قضية فلسطين :

قال قائد الحملة الذى وقع عليه الاختيار اللواء « المواوى » :

« هذا فخ تنصبه بريطانيا للجيش المصرى ، لكى تثبت عجزه ، ولايمكن دخول حرب لأن الجيش لم يقم بأية مناورة منذ سبعة عشرة عاما » .

واقتنع وزير الحربية وأعلن :

مصر لن تدخل الحرب ولكن سوف تفتح باب التطوع ، وتوفر للمتطوعين كل ما يحتاجونه

وفجأة تغيرت الحال وانقلبت بين يوم وليلة ... وعقدت جلسة سرية عاجلة فيصدق البرلمان على إعلان الحرب ، وأعلن رئيس الورزاء للأعضاء أن كرامتنا لم تعد تسمح لنا بأن ننتظر ولابد أن نعلن الحرب فوراً (١) .

وهكذا تحت ضغط الأوضاع المتدهورة فى فلسطين قررت مصر إرسال جيشها لمشاركة القوات العربية لإنقاذ فلسطين من براثن العصابات الصهيونية ، وذلك بعد أن قررت بريطانيا التعجيل بإنهاء الانتداب بعد أن تأكدت من قدرة الصهاينة على مواجهة العرب وذلك فى ١٤ مايو ١٩٤٨ ، وقد تلاه إعلان « بن جوريون » إنشاء دولة إسرائيل (٢) .

ولم تكن موافقة البرلمان أو معارضته لتغير شيئاً ؛ لأن الجيش كان قد اجتاز

(١) محمد عودة ، كيف سقطت الملكية فى مصر ؟ فاروق بداية ونهاية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٢ ص ١٧٠.

(٢) د. محمد عبد المؤمن محمد عبد الغنى ، مرجع سابق ص (٥١٠).

الحدود بالفعل ولم ينتظر القرار الدستورى وبأمر من جلالة الملك نفذه على الفور وزير الحربية .

كانت الحرب قد استبدت بخيال جلالة الملك ، وملكت عليه كل حواسه ، ولم يكن هناك من يجرؤ أو يستطيع أن يقف أمام إرادته .

هكذا دخلت مصر أول حرب منذ الاحتلال ، ولم يساور القائد الأعلى أى شك أنه سوف يسطر صفحة خالدة .... سوف يحرر فلسطين كما فعل صلاح الدين ، سوف يدخل القدس وسوف يؤم الملوك والرؤساء والحكام العرب فى صلاة النصر فى المسجد الأقصى ، وسوف يعود مكللا بالغار ويجهز على خصومه وأعدائه ، وكان مطمئناً أن بريطانيا سوف تقف معه [1] .

رئيس الحكومة المصرية « النقراشى » باشا ، سمع فقط بعد الفعل أن « فاروق » أمر القيادة العامة للجيش المصرى ووزير الدفاع البدء فى الاستعدادات الفورية للغزو ، بلع إهانته ، ذهب إلى المجلس التشريعى ، حكى للسياسيين المفاجئون قرار الملك وبالغ بمقدار كبير فى وصف القدرة العسكرية لمصر ، فى عمق قلبه أعتقد أن الجيش المصرى لن يضطر إلى الحرب لفترة طويلة ، لأنه فور وقوع الغزو ستتدخل الأمم المتحدة وتوقف الحرب ، القرار للخروج للحرب تم التصديق عليه بأغلبية كبرى .

أبقت الإهانة والدهشة رئيس الحكومة المصرية « النقراشى » باشا مضطرباً صامتاً ، منذ تعيينه لم يفكر حتى لمرة واحدة، أن الملك سيخدعه ،علاقاته مع فاروق – كذلك كان يهيئ له – تحركت على شاطئ آمن من التعاون الوثيق والثقة الكاملة ، لقد خدم الملك بتفانى وحرص على طاعة تعليماته – حتى تلقى صدمة لم يكن يتوقعها، فى غضون أشهر، اتضح له أن الملك عمل سراً من خلف ظهره ووجه له الإهانة الكبرى التى تعرض لها فى حياته .لقد علم « النقراشى » باشا أن

(١) محمد عودة ، مرجع سابق ص ١٧١.

مصر عارضت بشدة بشكل رسمى غزو (أرض إسرائيل) ، لكنه لم يعلم أنـه رويـداً رويداً وفى السر، بسبب ضغط مـن الـداخل ومـن الخـارج ، وبسبب الطمـوح الشخصى بعيد المدى ، بدأ فاروق فى تغيير رأيه .

هذا التوجه الذى حدث فى توجهاته حرص الملك أن يحتفظ به لنفسه ، وكانت هناك أسباب كثيرة لنقطة التحول هذه؛ سواء من الناحية السياسية أو العاطفيـة، فى الوقت الذى عاد فيه النقراشى باشا وتمسك بكل فرصة فى الموقف الرسمى ، بأن مصر لن تشارك فى الحرب ، التقى فاروق سرّاً فى قصر عابـدين مـع ملـك العـراق ومع رئيس حكومة لبنان ، اللذين طلبا منه أن ينضم بجيشه للقوات الغازية .

مصر ستفقد فخراً كبيراً فى العالم العربى إذا لم ترسل جيشها إلى فلسطين ، قـالوا له ذلك ، وعندما طرح فاروق شكوكه بشأن القدرة الحربية لجيشه ، تعهد له ملك العراق بالمساعدة العسكرية والتعاون الكامل فى ميدان القتال، ملك مصـر خـرج أيضاً فى جولات فى الـدول العربيـة والتقـى مـع رؤسـائها بـدون مشـاركة رئـيس الحكومة ومسئولى السلطة .

قرار الملك بدخول الحرب وموقف رئيس الوزراء :

فى وزارة الدفاع بالقاهرة تم إضاءة الأنوار طوال الليل بعد بيـان الملـك ، أعـد ضباط القيادة هناك وثيقة سرية تحت عنوان « قيادة الجيش رقم ٧ لعام ١٩٤٨ .

حدد حجم القوة المصـرية المقـررة أن تغـزو الـبلاد : كتائـب سـلاح المشـاة والمدفعية ، الدبابات والطائرات الحربية ، كذلك تحدد أنه حتى السـاعة ١٢ مـن ظهر ٢٩ أبريل ستتركز فى العريش كل القوات المصرية التى على وشك الاشـتراك فى الحرب على الرغم مـن أن قـوة النيـران المصـرية كانـت أكبـر بكثيـر مـن قـوة المدافعين اليهـود، اعتقـدت القيـادة العامـة المصـرية أن ذلـك لايضـمن حسـم المعركة، رؤساء الجيش أرادوا طائرات بعدد أكثر ، مزيد من المدافع ، مزيـد مـن

الرشاشات والذخيرة .

خضعت الحكومة المصرية لمطالبهم، لكن بسبب ضغط الوقت كان من الصعب الحرص على قيادة صحيحة للأموال، والإغراء بأخذ جزء منه للجيوب الشخصية كان أكبر وغير مسيطر عليه .

الاستعدادات الجادة فى الجيوش العربية قبيل الغزو (أرض إسرائيل) لم تتوقف فى الصحف المصرية ، كتبت جريدة الاهرام التى أجرت لقاء مع ضباط كبار فى الجيش ، أشارت إلى وجود شعور من الأمان ، قالوا أنهم سيستطيعون التغلب بسهولة على كل العقبات فى طريقهم والوصول إلى تل أبيب فى غضون عدة أيام .

الأنباء التى وصلت من القاهرة طيرت النوم من أعين زعماء اليشوف اليهودى فى (أرض إسرائيل) ، هم علموا أنه بانضمام مصر إلى القوات الغازية، سيجدون صعوبة مضاعفة عدة مرات عند المواجهة فى ميدان القتال، بالسلاح الخفيف الموجود بحوزتهم، هناك قلق وخوف وقف فى الجو .

عشرات السياسيين والضباط المصريين، الذين حلموا بالثراء السهل، أسرعوا الواحد تلو الآخر إلى أوروبا ، سكنوا فى فنادق فاخرة وتفاوضوا مع وسطاء أسلحة دوليين ، الذين وضعوا أموال كثيرة فى جيوبهم وباعوا أسلحة ومعدات قديمة ومعيبة .

المندوبون المصريون اشتروا طائرات حربية إيطالية من طراز « بيات » و«ماكى » مع علمهم الواضح أن مستواها منخفض ، فى سويسرا تم شراء مدافع قتالية مستعملة ، غير صالحة للاستخدام ، فى روما أنشأت حاشية الملك « إبراهيم ناموك »، والكولونيل «عمر إبراهيم سيف الدين » ، شركة لتجارة السلاح تفاوضت من أجل شراء طائرات حربية ، سفن قتالية ، دبابات ومدافع .

مع ذلك كثيراً من المواطنين فى مصر كانوا واثقين من أن بلادهم لن تشارك فى

الحرب ، أيضاً كان واضحاً للسياسيين أن الجيش المصرى سيبقى فى الداخل.

فى الوكالة اليهودية فى القدس ، هناك تابعوا بتوتر إزاء مايحدث فى القاهرة، قال « يعقوب شمعونى » ، من كبار المسئولين فى القسم السياسى للوكالة ، أن هناك شك كبير حول الغزو المصرى، اعتقد مسئول بالجامعة العربية ودبلوماسيون أوروبيون وأمريكيون أن فرص الغزو المصرى قريبة من الصفر ، لم يعرف أحد منهم أن الملك « فاروق » اتخذ قراراً آخر

فى ٢٦ أبريل عام ١٩٤٨ استدعت الجامعة العربية قادة جيوش (مصر / الأردن/ العراق / سوريا / لبنان) إلى جلسات طارئة فى عمان ، وصل القادة العسكريون بالسيارات والطائرات ، مرتدين الملابس العسكرية ومتقلدين بدرجات لامعة ، وجوههم كانت صارمة وقرارهم حاسم ، هم علموا أنه لن يكون هناك مفر من قرار إرسال الجيوش النظامية للحرب فى (أرض إسرائيل) من أجل توجيه ضربة قاضية لليهود .

جلسة رؤساء أركان الجيوش العربية دارت بين أبواب مغلقة ، بشعور الضرورة الملحة ، لقد تبقى وقت قصير حتى انتهاء الانتداب البريطانى ، وسيكون يوم ١٥ مايو مع نهاية سلطتهم مناسباً جداً للغزو .

الاستعداد فى الجيش المصرى لدخول الحرب

حينما تصاعدت القضية الفلسطينية، وانتهت إلى قرار التقسيم ذهب ضابط شاب إلى مفتى فلسطين الحاج أمين الحسينى ، وأبلغه باسم الضباط الوطنيين أن المقاومة الفلسطينية تحتاج إلى ضباط محترفين على دراية بالأسلحة والحرب الحديثة ، وأن هناك ضباطا مصريين على استعداد للتطوع والانضمام .

شكره المفتى على عرضه ولكن أبلغه أنه لابد أن يستأذن الحكومة المصرية وطلب إليه العودة مرة أخرى ... وحينما عاد اعتذر له المفتى بأن الحكومة

المصرية رفضت ذلك .

ولم يثن ذلك الضباط عن تصميمهم ونظموا فيما بينهم التطوع ، وحددوا المهام التى أخذوها على عاتقهم ، ووقع اختيارهم على العميد « أحمد عبد العزيز » لتدريب وقيادة المتطوعين وفتح جبهة جنوبية للحرب غير النظامية، وكانت الدول العربية انتهت إلى أن يكون أهل البلاد هم الأساس فى الدفاع عن بلادهم لمعرفتهم بالمواقع والمسالك والدروب ، ولأنهم أول الناس تصميماً وإصراراً على الدفاع عن أهلهم ووطنهم وأموالهم[1] .

البكباشى « أحمد عبد العزيز » قائد كتيبة الإخوان المسلمين الذى شارك فى الغزو تم استدعائه إلى الهضبة المكشوفة على الوادى وإلى مستوطنة كفار دروم ، وبعدما فحص المنطقة بالمنظار المكبر لاحظ وجود قافلة مغروسة والمدافعين عن الكيبوتس الذين خرجوا من مواقعهم متمنين أن تحدث معجزة وأن تصل القافلة على الرغم من ذلك ، ابتسم بسعادة ، كفار دروم على محور حركة كتيبته فى الطريق إلى بئر سبع ، كانت المهمة القتالية الأولى له .

لقد علم حقاً أن وحدة المتطوعين للإخوان المسلمين منيت بهزيمة عندما حاولت احتلال الكيبوتس قبل ذلك بفترة ، لكن هذه المرة كان الأمر مختلفا : كتيبته كانت منظمة بشكل أكثر ، مجهزة بالمدرعات والمدافع ، لقد كان واثقاً تمام الثقة من أن رجاله سينجحون بسهولة فى تنفيذ المهمة .

فى هذه الأثناء ، سيطرت قوات الهاجاناه ، من خلال مجموعة هجمات جريئة على المدن المختلطة ، طبريا ، حيفا ، صفد وعلى مستوطنات عربية فى مناطق مختلفة ، جنود جفعاتى فجروا قيادة الزعيم العربى الأسطورى « حسن سلامة » ، الذى قتل فى وقت لاحق من قذيفة هاون فى منطقة رأس العين (روش هاعين) .

(١) محمد عودة ، مرجع سابق ص ١٧٣ .

قائد آخر ، عبد القادر الحسينى ، قائد وحدة الجهاد المقدس قتل بأيدى المدافعين عن الحصن ، سرايا القوات الميدانية والبالماح ضربت جيش الإنقاذ فى منطقة مشمر هاعمق وبدأوا فى تطهير الجليل ، الجنوب وشمال النقب من الثكنات القتالية العربية .

الأنباء التى شاعت عن الهزائم فى المعسكر العربى ، سوياً مع الأنباء عن تمام الإخلاء البريطانى ، احتلال حيفا على أيدى الهاجاناه ، والأنباء الفظيعة عن مقتل ٢٠٠ من الرجال والنساء والأطفال العرب خلال هجمات منظمة اتسل على قرية دير ياسين أثارت الخوف فى التجمعات العربية ، وإزداد معدل هرب سكانها .

اللاجئون الذين وصلوا إلى مصر من (أرض إسرائيل) حكوا عن أعمال مطاردة وقتل وعن الضائقة التى يعيش فيها من تبقى خلفهم ، وكتبت المنشورات فى ساحات القاهرة « يافاروق أنقذ فلسطين » .

عشية غزو الجيش المصرى للبلاد، تم إرسال نجيب مع كتيبته إلى العريش، من أجل الاستعداد فى الحرب، قلبه كان ثقيلاً، شعر بأن الجيش ليس مستعدا للحرب البريطانيون الذين حكموا مصر منذ القرن التاسع عشر ، كانوا مسئولين على تدريبات الجيش المصرى وفقاً لاتفاقية تم توقعيها فى عام ١٩٣٦، على حد رأى «نجيب»، هم عملوا عملاً سيئاً عن عمد ، لأنهم رغبوا أقل من الجميع فى الاعتناء بجيش يستطيع فى يوم من الأيام أن يقوم ضدهم ويطردهم من البلاد ، مستوى الضباط كان معقولاً حقاً، أغلبهم كان من أبناء عمال فى خدمة المجتمع – لكن مستوى الجنود كان منخفضاً جداً .

عندما وصل نجيب مع كتيبته إلى العريش، وجد تأشيرة أضافية لشعوره بأن هناك شيئاً معيباً فى مهام الجيش ، من أجل نقل كتيبته الى منطقة تجمع الجيش ، كان بحاجة إلى ٢٠ شاحنة ، القيادة تعهدت بإرسال المركبات المطلوبة اليه، لكن لسبب ما لم تصل، ركض نجيب ممتلئاً غضبا بين مواطنى رفح وغزة وأستأجر

منهم بنقود كاملة شاحناتهم الخاصة، بعد ذلك اتضح أنه لم يتم ارسال أيضاً حاملات المدافع، وبدونهم من غير الممكن نقل المدافع على الطريق الوعر المار بالكثبان الرملية على طريق البحر، أطقم المدافع نتفوا شعرهم عندما رأوا الكتيبة تتحرك إلى الشمال بدونها .

الفصل الثالث

التدخل الغربي لصالح إسرائيل

تدخل الولايات المتحدة والدول الغربية لصالح إسرائيل

ولكن ما إن بدات المعارك حتى تدخلت الولايات المتحدة واستصدرت قرار حظر تصدير الأسلحة للمتحاربين، وكانت تعنى العرب وحدهم، وتذرعت بريطانيا للقرار ولم تف بأى وعد .

وبدأ البحث المحموم عن الأسلحة بعد أن ثبت شدة المعارك وضراوة العدو ، وكان أول ميدان اتجه إليه البحث هو الصحراء الغربية والمخلفات القديمة التى تركتها جيوش الحلفاء والمحور ، وكانت تجارة رابحة يقوم بها البدو وسماسرة الأسلحة و« الخردة » ، وتألفت هيئة عسكرية من كبار الضباط للتنسيق مع البدو ، وكانت التجربة عقيمة وضاعف من سوءاتها أن امتد الفساد إلى بعض الضباط المسئولين عن المهمة وامتدت أيديهم إلى الأموال التى خصصت للشراء .

وتلقت القوات المسلحة المصرية فى ذروة معاركها أسلحة غير صالحة ومتخلفة وذخائر فارغة بقى الكثير منها فى الصناديق والمخازن حتى نهاية الحرب [١] .

أشار الكاتب إلى الدور الذى قامت به الولايات المتحدة فى تدعيم إسرائيل بالأسلحة والمعدات العسكرية .

على خلفية الثلج الأبيض الذى غطى ميناء « نيوجرسى » فى الولايات المتحدة ، ظهرت المدخنة لسفينة الشحن « أكزكوتور » كرسم ساذج من قصص نوادر الأطفال .

وقف القبطان على الجسر وتابع شحن الشحنة التى احتوت على ٧٧ صندوقاً كانت على وشك التوجه الى (أرض إسرائيل) ، كان مكتوباً فى وثائق الشحنة أن الصناديق تحتوى على مستحضرات كيماوية لأغراض الصناعة والزراعة ، كان

(١) محمد عودة ، كيف سقطت الملكية فى مصر ؟ فاروق بداية ونهاية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٢ ص ١٧٢.

هناك فعلاً مستحضرات كيماوية ، لكن كان هناك أيضاً شيء آخر : صناديق معدنية احتوت على مواد متفجرة مهمة لإنتاج الأسلحة والذخائر .

بعد فترة بعد حادث « أكزكوتور » ، هبطت في نيويورك « جولدا مئير سون » (مائير) ، رئيس القسم السياسي للوكالة ، صحف الولايات المتحدة لاتزال تتحدث عن قضية المواد المتفجرة . النيويورك تايمز أجرت مقابلة مع خبير فى المتفجرات الذى حدد بأن الكمية التى تم كشفها من الممكن أن تدمر الميناء وأجزاء كبيرة من المناطق السكنية المجاورة .

مصادرة الشحنة أضعفت أيدى الممولين لصناعة السلاح الخفيفة للهاجاناه ، الذين كانوا بحاجة ماسة إلى المواد المتفجرة لإنتاج الطلقات والقنابل ، هذه كانت أيام صعبة جداً .

المواجهات الدامية بين اليهود والعرب كانت أمراً يومياً ، مخازن السلاح كانت خالية ، فى المطارات الصغيرة رفرفت طائرات مدنية قديمة ، التى منعت من الاشتراك فى المعارك الجوية ، أو قذف تجمعات العدو ، كان من الصعب أن يملأ هذا الفراغ ، بسبب الحظر الأمريكى على شحنات السلاح للمنطقة ، الذى ألزم أيضاً بريطانيا وفرنسا .

لمدة أسبوع ركض وايزمان فى الموانى البحرية المختلفة فى أمريكا ، بحث ورأى ولاحظ حاملات طائرات من بواقى الحرب العالمية الثانية ، الذين رسوا كالحجر بلا قيمة ، بجوار أرصفة مهجورة ، فى النهاية بشر أرزى أنه وجد بالضبط ماكلف به أن يجد ، كليهما أسرع فى الطيران إلى نورفولك فى ولاية فيرجينيا وسافروا إلى قاعدة الأسطول، بجوار الرصيف رست حاملة الطائرات « أتو »، وقد بنيت فى نهاية الحرب، ولم تشترك فى العمليات الحربية ، كانت لديها إمكانية شحن أكثر من ١٠٠ ألف طن، أسطح سفن، أكشاك لـــ ٢١ طائرة ومكان لــ ٨٠٠ فرد من الطاقم ، لقد أعجبتنى ، هل ستشتريها ؟

قضية السفينة « أكزاكوتور » أظهرت على عناوين الصحف الرئيسية محاولات اليهود فى (أرض إسرائيل) جمع معدات عسكرية فى الولايات المتحدة ، على الرغم من الحظر الذى فرض بالقانون ، الإف . بى . أى أنشأ منظومة عملاء خاصة من أجل متابعة المبعوثين من (أرض إسرائيل) الذين تجولوا فى أنحاء أمريكا وبحثوا بشغف عن السلاح ، المتبرعون اليهود الذين وجدوا أنفسهم فجأة مطاردين ، فهموا أن من الخطر فعلاً المساهمة الآن لتدعيم جيش يهود (أرض إسرائيل) .

فى قاعدة الأسطول فى هاواى تجمعت مئات الرشاشات الثقيلة أمام ضوء النهار وبرد الليل ، وكانت جديدة تماماً، لم يتم استخدامها فى الحرب العالمية الثانية ، مبعوثو الشراء وبتوجيهات من « هنج جرينشفن » ، ضابط التسليح السابق فى الجيش الأمريكى ، اقتحموا القاعدة فى ظلام الليل عدة مرات ، أخرجوا رشاشات وهربوها فى سفينة شحن قديمة إلى كاليفورنيا ، من أجل إخفائها هناك حتى يتم التوصل إلى طريقة لنقلها إلى البلاد .

لم يكن من السهل إخفاء ١٥ طن من الرشاشات المعدة لإطلاق النيران، لكن فى كاليفورنيا كان هناك عدد كاف من المتطوعين الجاهزين للمساعدة . أصحاب الكراجات ، مصانع صناعية ، مخازن ملابس ، فلل فاخرة وآخرين ، وزعوا بينهم هذه الشحنة .

أثناء عمليات البحث الدؤوبة من أجل التوصل لسفينة تحمل هذه الشحنة الضرورية إلى (أرض إسرائيل)، اتضح أنه ترسو فى المكسيك السفينة المناسبة، شحنة كبيرة من السلاح تم شحنه عليها، وقد أوشكت أن ترفع المرساة ، بذلت كل الجهود حتى تبحر السفينة مبكراً قدر الإمكان، وأن تصل إلى موانى البلاد فى وقت غير متأخر عن يوم ١٥ مايو، كانت المشكلة فى إيجاد طريقة لنقل السلاح بأسرع ما يمكن من كاليفورنيا إلى المكسيك .

قابلها مستقبلوها ، خيرة الطائفة المحلية من المطار، هم مروا بشوارع عرفتها ،

اجتازوا النهر فى قلب المدينة ، ومروا على مدخل مدرسة درست فيها ، فى المعبد اجتمع حوالى ٢٠٠ شخص ، صعدت جولدا على المنبر الصغير مرتدية ثياب رمادية بسيطة ، هى عقدت مقارنة بين القوة المؤثرة للجيوش العربية التى تهدد بغزو البلاد وبين قوة الهاجاناه الضعيفة ، هل علمتم أنه لاتوجد لدينا دبابات ، مدافع وطائرات ، وهذه الأشياء متواجدة لديهم بكثرة ، تردد صدى كلماتها المؤثرة فى القاعة .

نحن سنحارب حتى آخر قطرة من دمنا ، لأن هذا البلد هو وطننا وليس لدينا مكان آخر نذهب إليه .

فى حالة نفسية سيئة انغلق « شفيمر » فى غرفته ، أفرغ زجاجة ويسكى رخيصة وطار وراء أفكار خلاقة، لم يكن لديه شك فى قلبه أنه من المحظور التنازل عن الطائرات، هم سيستطيعون أن ينقلوا السلاح الى البلاد بسرعة وفعالية ، هى بمقدورها أن تتحول فى ساعة الضرورة إلى قاذفات قنابل، بعد ساعات قلائل نبت الحل فى عقله، هو أجرى اتصالا مع « أرزى » : نحن سنصلح هذه الطائرات بأنفسنا ، قال « أرزى » لم يعرض أسئلة ، كان له شعور بأنه يستطيع ان يعتمد على «شفيمر»، بعد الحرب العالمية تجول فى الولايات المتحدة مئات الطيارين والفنيين الذين تخرجوا من سلاح الطيران الأمريكى ، والذين بحثوا عن عمل ، شفيمر بحث عن المتميزين بينهم واستأجرهم من أجل إصلاح طائرات «الكونستليشن» وخمس طائرات نقل إضافية من طراز سى ٤٦ (كوماندو) ، لقد استأجر منطقة صغيرة فى مطار بوربنك فى كاليفورنيا ، نقل الطائرات إلى هناك وطواقم الفنيين – وأعطى إشارة بدء العمل .

كان « سموزا » رجلاً غنياً، كانت له حظيرة بقر ومزارع قصب السكر ، حرص على الحصول على نصيب معلوم من السوق السوداء على العملة الصعبة التى كانت مزدهرة فى بلده ، ولم يرفض أبداً اقتراح رشوة سخى ، استيقظ من نومه بعد ساعة طويلة ، وكان النوم يداعب جفنيه عندما تحدث مع أرزى ، لكن جوابه كان إيجابياً،

مقابل ٢٠٠ ألف دولار ، سيتم إيداعهم فى حسابه البنكى الشخصى فى نيويورك، وافق على إصدار جواز سفر دبلوماسى لأرزى باسم الدكتور « دون حوزيه أرزى » .

دور جولدا مائير فى جمع التبرعات :

فى ظل الشعور بالكرب الشديد، وتضييع الوقت الثمين ، خرجت « جولدا مائير » فى رحلة لجمع التبرعات فى الولايات المتحدة ، كان من الواضح لها أنها تقف امام فشل ذريع ، أيضاً دافيد بن جوريون الذى كلفها بهذه المهمة ، لم يكن متفائلاً بشكل خاص ، وهو قال لها بصراحة أن المهمة من الممكن أن تفشل ، ولكن كليهما كان يعلم انه لايوجد سوى خيار المحاولة .

سافرت « جولدا » فى سيارة الوكالة اليهودية من المطار إلى مكاتب مبعوثية الهاجاناه فى فندق « بورتين » فى نيويورك ، رجال البعثة عملوا تحت غطاء عاملى الوكالة، هم اجتمعوا فى إحدى الغرف وعلى كأس قهوة وفطائر عادية تم شراؤها من السوبر ماركت المجاور ، سمعت منهم كلام لم يمتص مخاوفها ، هذا ليس هو الوقت المناسب لجمع التبرعات لـ(أرض إسرائيل) ، قالوا عملاء الـ« أف . بى . آى» متواجدون فى كل مكان ، يبحثون عن اليهود الذين يشترون السلاح او يمولون شراءه، الصحف تستفيد من تكرار قضية « أكزاكوتور »، وعلى الرغم من تقدير نضال يهود (أرض إسرائيل) ، المجتمع الأمريكى يشعر بحيرة ليست سهلة امام العمل السرى فى المواد المتفجرة ، وبكل أنواع السلاح تحت سمعه وبصره .

لكن رحلة التبرعات كانت ضرورية الآن أكثر من ذى قبل ، الأموال من أجل شراء السلاح نفذت تماماً تقريباً ، منظمة المؤيدون « هماخون » التى أقامها رودولف سونفورن ، رجل الأعمال من نيويورك ، فى أعقاب لقاء مع بن جوريون قبل ذلك بسنتين ، أحصى حقاً ٥٧ يهودى من الأثرياء ، لكن حتى منهم سيكون من الصعب إخراج مبالغ حقيقية فى هذه الأيام الصعبة .

سمعت « جولدا » هذا التحفظ ولكنها لم تتنازل .

قالت « جئت لجولة تبرع » وأنا لا أنوى العودة للبلاد بدون أن أجمع المال ، نحن بحاجة إلى أية نقود ، سأل مستضيفوها ماذا تعتزم أن تجمع ؟ .

قالت « عشرين مليون دولار على الأقل » ، وكل العيون فتحت من الدهشة .

ذيل الحماس الذى خلفته وراءها « جولدا » احتوى طوائف يهودية كثيرة فى أنحاء الولايات المتحدة ، إلى جانب التبرعات المادية ، بدأوا أيضاً فى جمع احتياجات اعتقد مساهموها أن سيكون لها استخدام فى البلاد ، أنشأ معهد سونفورن جمعية باسم « مواد لأرض إسرائيل » وسجلها قانونياً لدى الجمعيات الأمريكية ، الحظرسرى فقط على المعدات العسكرية ، ولم يكن هناك منع على جمع أى معدات أخرى وإرسالها إلى (أرض إسرائيل) .

لكن فى بداية ١٩٤٨ فى أمريكا ، لم تسطع الأموال وروح التطوع فى التزود حتى ببندقية واحدة من أجل القوة المدافعة فى (أرض إسرائيل) ، بسبب الحظر الذى تم الحفاظ عليه بحرص ، فى تل أبيب قال بن جوريون بعصبية إلى « يجآل يادين » :

« أنا أسأل نفسى إذا كان الأمريكان لا يهمهم إذا خسرنا الحرب.

تاجر الخردوات « ليوندر وايزمان » لم يصدق أن « أرزى » يتحدث بجدية ، عندما قال ببساطة ، كأن ذلك أمراً لا شيء فيه : أنا أريد أن تشترى لى حاملة طائرات .

« من أجل ماذا ؟ ماذا ستفعل بحاملة طائرات ؟ أليس لا يوجد لديكم حتى طائرة حربية واحدة تستطيع أن تقلع منها .

«ظننت أنك أكثر ذكاء ، قال « أرزى » فى يوم الخامس عشر من مايو سيخرج البريطانيون من البلاد ، كل القيود على النقل البحرى (لأرض إسرائيل) ستلغى دفعة واحدة ، أنا أريد أن تصل فى نفس اليوم إلى ميناء حيفا شحنة سلاح كبيرة، فقط حاملة الطائرات تستطيع أن تحمل كميات كبيرة بهذا الحجم من السلاح .

الفصل الرابع

صورة الرئيس الراحل «عبد الناصر» في الرواية

صورة الرئيس الراحل « عبد الناصر » فى الرواية :

الأموال الطائلة ، الأكل الفاخر وحسناوات القاهرة أعطت لفاروق أغلب الملذات التى قد يستطيع أن يحلم بها الأناس العاديين ، الشرطة السرية كانت جاهزة للدفاع عن الملك من المقتحمين على أنواعهم ، الرجال الذين حاولوا إثارة الفتن تم الإلقاء بهم فى السجن ، هم وجدوا هناك أيضاً مثل هؤلاء الذين كان ذنبهم الوحيد هو إذاعة كلمات انتقاد عن الملك فى محل البقالة أو فى – المقهى الموجود بالحى .

لكن لم يفكر أحد من المسئولين عن أمن الملك بأن العدو رقم واحد للنظام موجود فى قلب المؤسسة ، فى الأكاديمية العسكرية الملكية ، اسمه « جمال عبد الناصر » وقد كان مدرساً بارزاً فى الأكاديمية .

« ناصر » البالغ من العمر ثلاثين عاما ، طويل القامة وواسع الكتفين ، ذو شعر أسود ، كان والده موظف بريد فى الإسكندرية ، الاسم عبد الناصر معناه « مدعم ومدافع »، هو اسم من الأسماء التسعة وتسعون للرب ، عندما كان يبلغ ثلاثة عشرة عاما انتقلت أسرته إلى القاهرة ، واستقرت فى الحى اليهودى بالمدينة ، وقد كانوا المسلمين الوحيدين هناك .

فى نفس الفترة الزمنية بدأ نشاطه السياسى ، انضم إلى حزب مصر الفتاة ، وهو حزب قومى كان يحتوى على خليط كثير من المثاليين والمغامرين ، وطالب الحزب بممارسة الضغط لإزالة البريطانيين من مصر ، وأصبح «عبد الناصر » سريعاً قائد تنظيم مظاهرات طلاب مدرسته ، وهم اعتادوا المرور على الطريق الرئيسى للقاهرة « قصر النيل » ، إلقاء الحجارة على نوافذ عرض المحلات الفاخرة التى استخدمها الأجانب غالباً ، سب البريطانيين الذين شربوا الويسكى على شرفة الفندق « سميرميتس » ، استفزاز رجال الشرطة المسلحين الذين يحرسون السفارة البريطانية ، فى إحدى المظاهرات ضرب أحد رجال الشرطة

رأس « عبد الناصر » بالعصا ، ونزف الدم من جبهته، رفض الذهاب إلى المستشفى خوفا من اعتقاله هناك ، أصدقاؤه ضمدوه، وبعدما اندمل الجرح ترك ندبة عميقة على جبهته .

أنهى دراسته فى الأكاديمية العسكرية وهو يبلغ من العمر عشرين عاماً ، وأخذ رتبة ملازم ثانى، تم تعيينه فى الكتيبة الحامسة التى خدمت فى واحة فى صحراء مصر العليا ، التقى هناك بضباط وجنود بريطانيين الذين أظهروا سلوكاً متكبراً تجاه كل مصرى، ناصر مقتهم، بالليل على ضوء المصباح، بعدما سكنت العواصف الرملية وتلاشت الحرارة الشديدة، تحدث عن ذلك طويلاً مع ضابط شاب أصبح صديقه، اسمه « أنور السادات » كليهما اعتقد أنه يجب إزاحة البريطانيين عن مصر فى أسرع ما يمكن، اقترح ناصر إنشاء حركة سرية تحت اسم الضباط الأحرار، التى ستهتم بإزاحة البريطانيين، قال « أنور السادات » بأعين لامعة « سأكون أول المشاركين » .

بعد مرور عام ، وهو يبلغ من العمر حمسة وعشرين عاما ، تزوج « عبد الناصر » من امرأة تدعى « تحية » تبلغ من العمر إحدى وعشرين عاماً ، وهى واحدة من ثلاث بنات لتاجر شاى غنى ، عاد « عبد الناصر » إلى الأكاديمية العسكرية كمدرس واستمر فى نشاطه السرى .

ممتلئون بالحماس والإيمان بالهدف الذى وضعوه لأنفسهم، أشعل الضباط الأحرار حالة الغليان ضد البريطانيين ، لم يترددوا فى القضاء على المتعاونين وتدمير المنشآت العسكرية البريطانية ، الشرطة السرية المصرية أرسلت العملاء لاقتفاء آثارهم، اعتقلت جزء بارزاًمنهم (بما فى ذلك أنور السادات)، ولكن لم تنجح فى اكتشاف من هو القائد ، « ناصر » استمر فى التدريس فى الأكاديمية الملكية ، ربى ابنتيه وانتظر الوقت الذى تكون فيه الأرض ممهدة لعمل الانقلاب الذى سيؤدى إلى إزاحة البريطانيين وكذلك الحال بالنسبة للملك « فاروق » ،

والمجئ بقيادة جديدة إلى مصر، فى هذه الأثناء تزايدت الأخبار عن نوايا الدول العربية لغزو (أرض إسرائيل) « ناصر » لم يظهر اهتماماً خاصاً لذلك، قال لزملائه كل مايهمنى هى الحقيقة بأن اليهود نجحوا فى إزالة البريطانيين من بلادهم،أنا أعتقد أننا نستطيع أن نتعلم منهم كيف نفعل ذلك .

فى الساعة الرابعة صباحاً استيقظ من نومه الصاغ (الرائد) جمال عبد الناصر ، مجموعة الخدمة للضباط الآخرين استيقظوا هم أيضاً ، لقد كانوا قرويين فى المدن التى لم تنجح فى اجتياز حتى طريق المبتدئين ، لكن تعلموا كى الملابس ، تلميع الأحذية ، إعداد القهوة ، تزييت المسدسات ، وعمل المهام الصغيرة لقادتهم .

جو الصحراء كان باردا ورياح قاسية ضربت وجوه أصحاب الخدمة ، الذين طبخوا وجبة الإفطار ، وأعدوا الملابس العسكرية لقادتهم .

فى الساعة الرابعة والنصف عندما أيقظت صيحة البوق الكتيبة من نومها ، وضع عسكر الخدمة على الدواليب بجوار أسرة الضباط القهوة والفطائر بجبنة الماعز ، ووقفوا بجانبها مشدودين مستعدين لتنفيذ أى أمر .

الغزو المصرى لـ(أرض إسرائيل) كان حتى الآن شيئاً مؤكداً ، قادة الجيش المصرى ، على غرار قادة الجيوش العربية الأخرى ، تحدثوا عن موعد هجوم مناسب ، ١٥ مايو ١٩٤٨ ، بعد انتهاء فترة الانتداب البريطانى ، فقط فى جيب حيفا ستتبقى آخر مجموعات البريطانيين حتى ٣٠ يونيو وبعد ذلك سيغادروا البلاد ، القيادة العامة المصرية أعطت توجيهات بزيادة تدريبات الجيش نحو الحرب المؤكدة .

الآن يرتدى الملابس العسكرية، على كرشه الضخم مربوط حزام بمسدس ، ارتقى المنبر ، ألقى كلمة طويلة حول أهمية الحرب المقدسة (الصهاينة يفهمون فقط لغة القوة) ، أعرب عن ثقته بأن جيش مصر سينتصر وهنأ الذاهبين إلى القتال .

نظرعبد الناصر إلى الملك وحرك شفتيه، عينيه الباردتين لم تخف المخبأ فى قلبه ، تمنى فى نهاية الأمر أن يحدث الانقلاب ويتم إبعاد الملك عن حكمه ، لكن فهم أنه فى المستقبل القريب عليه أن يتوقف عن النشاط السياسى والتفانى فى الحرب فى (أرض إسرائيل).

حل الليل ، ضابط قيادة الكتيبة السادسة « عبد الناصر » ، صعد على هضبة على حافة أشدود ونظر نحو الشمال ، رأى عدداً كبيراً من مصابيح السيارات المتحركة على الطرق ، ولم يكن لديه شك فى أن الإسرائيليين يعتزمون القيام بهجوم موسع على مواقع الجيش المصرى فى أشدود .

الخوف من انتصار إسرائيلى حاسم لم يضعف عنده ، ذهب إلى قائد الكتيبة التاسعة « عبد الحكيم عامر» ووجده يعتزم النوم ليلاً فى حفرة بجوار مبنى القيادة ، « عامر» كان مشرباً بحالة معنوية مرتفعة ، قال « ليست هناك فرصة للإسرائيليين » ، نحن أقوى منهم مرات عديدة، ذكر لعبد الناصر أن منظومة الدفاع الجديدة تحتوى على عدد من الجنود ليس أقل من ٢٣٠٠ جندى، ومدافع ومدرعات كثيرة، قال لا أحد يستطيع اختراق قوة نيرانا .

فى وقت المساء، بعد القتال الفاشل على مستوطنة نيريم ، التقى « عبد الناصر» فى رفح مع عدد من أصدقائه، ضباط شاركوا فى الهجوم على المستوطنة ، قاموا بتدخين سجائر الواحدة تلو الآخرى ، وغطت سحابة من الحيرة وجههم ، لم يتوقع أحد من الضباط الذين قادوا الهجوم على نيريم أن يواجهوا هزيمة هناك .

ماذا حدث هناك بالضبط ؟ سأل « عبد الناصر»، لماذا لم ننتصر ؟

زعم أحد الضباط اليهود كانوا محصنين جيداً ، لم يكن لدينا وقت للاستعداد ، لكى ندرس موقف العدو .

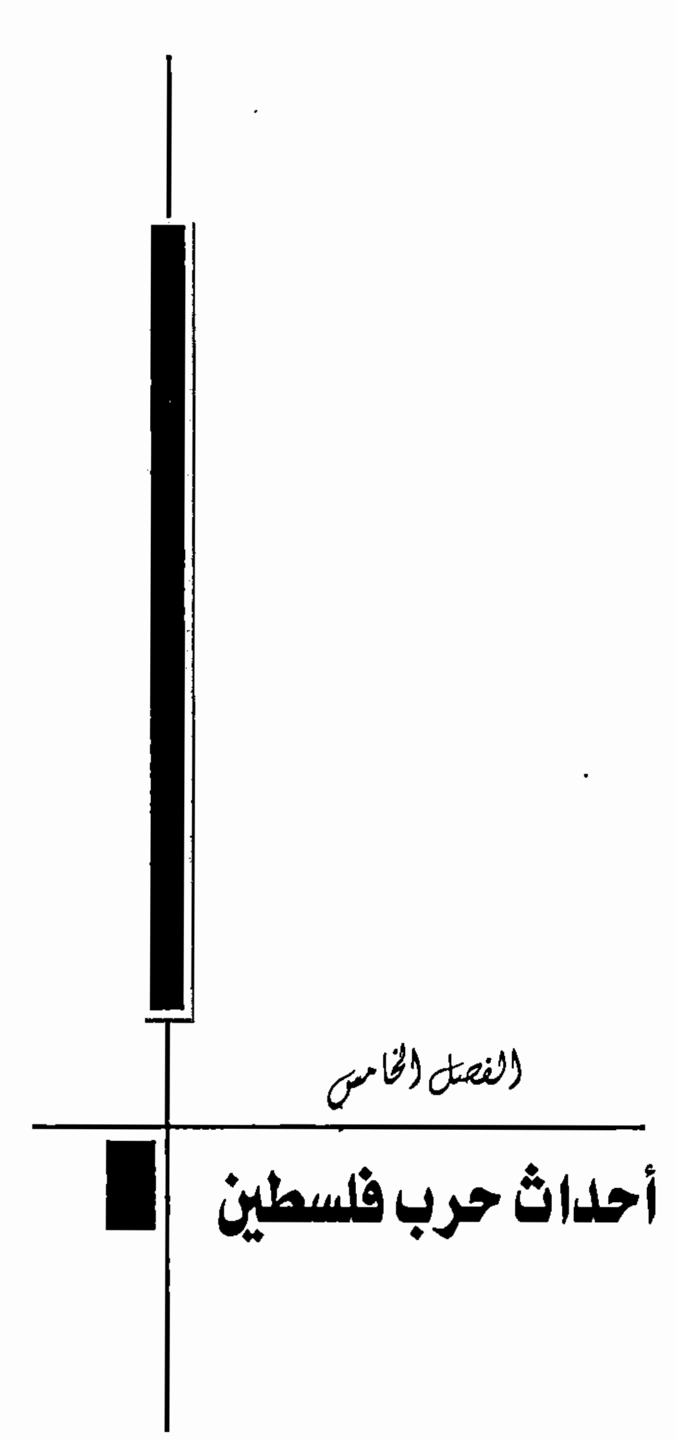
لكن كان لديكم أسلحة كثيرة جداً ، كان لديكم دبابات .

صحيح لكن كان لدى اليهود سلاح سرى لم نستطع أن نتغلب عليه .

سلاح سرى ؟ تعجب « ناصر» .

« من الصعب تصديق » بدأ الضابط فى المبالغة على أجنحة خياله ، لكن بأم عيني رأيت أبراجهم الفولاذية الكهربائية تصعد من الأرض بضغطة زر ، مثل الأشباح من جهنم ، فى مقدمة الأبراج كانت هناك رشاشات ثقيلة فتحت النيران علينا ، عندما نفذت الذخيرة ، عادت الأبراج وابتلعت فى الأرض ، بدون أن تتعرض مصانعهم لمدى نيراننا ، كذلك هم أطلقوا علينا النيران طوال الوقت حتى اضطررنا للانسحاب .

يتضح لنا مما سبق أن الرواية أظهرت صورة الرئيس الراحل « جمال عبد الناصر» بأنه كان يكرس كل تركيزه وجهده فى الإطاحة بالملك فاروق عن الحكم ، وأنه كان مقتديا باليهود ويعتبرهم نموذجاً ينبغى على المصريين اقتفاء أثره والسير على منواله ، بل ويعترف بأن أرض فلسطين هى أرض ملك لليهود وأنها هى بلادهم .



الفصل الخامس

أحداث حرب فلسطين

أحداث حرب فلسطين

وقبل أيام من دخول الجيوش العربية إلى فلسطين عقد الملك عبد الله (ملك الأردن) اجتماعاً فى قصره مع وفد صهيونى برئاسة جولدا مائير لمواصلة المفاوضات حول تجنيب الأردن الاشتراك فى الحرب ... بينما أصر ولم يتنازل عن منصب القائد الأعلى للجيوش العربية وأن تؤول إليه المهمة التاريخية فى تحرير فلسطين .

وكان الجيش العراقى أجدر الجيوش العربية باحتلال المكانة الثانية بعد الجيش المصرى، وكان سجله العسكرى والوطنى حافلاً منذ ولادته الحديثة بعد الحرب العالمية الأولى .

وكان الجيش السورى لايتجاوز كتائب من الفرق الاستعمارية الفرنسية ، وكانوا يجندونها خاصة من الأقليات وللاشتراك فى أعمال القمع أو فى مغامرات فرنسا الاستعمارية .

أعلنت لبنان صراحة أن أقصى ما يستطيعه الجيش اللبنانى هو الدفاع عن حدود لبنان ، وأنه لايملك ما يستطيع أن يشترك به فى أى هجوم خارج حدوده ، ولم يكن جلالة الملك عبد العزيز آل سعود متحمسا للحرب [1].

فى جلسة رؤساء الأركان تم إعداد خطة مفصلة لعمل الجيوش العربية وفقاً للتوجيهات التالية : جيش سوريا سيتحرك عبر طبريا ، صفد والناصرة ، جيش العراق سيتحرك نحو عافولة وسينضم فى نقطة معينة للجيوش الأخرى فى الطريق نحو حيفا ، الجيش الأردنى سيتحرك نحو القدس ، جوش عتسيون ولطرون ، العراقيون سيحتلون حيفا ، وسيتقدم الجيش المصرى نحو الشمال وإذا تغلب على الهاجاناه سيهاجم تل أبيب .

(١) محمد عودة ، مرجع سابق ص (١٧٩-١٨٠).

دعا فاروق قادة جيشه لمقابلة شخصية ، هم فوجئوا بسماع قراره من فمه بإعطاء الضوء الأخضر للحرب ، أعرب عدد منهم عن المخاوف من عدم استعدادية الجيش المصرى لهذه الحرب ، لكن « فاروق » خفف من هذه المخاوف بقوله أن جميع الجيوش العربية سيدعمون مصر فى الحرب ، وطلب البدء فوراً فى الاستعدادات .

عشرات السياسيين والضباط المصريين ، الذين حلموا بالثراء السهل ، أسرعوا الواحد تلو الآخر إلى أوروبا ، سكنوا فى فنادق فاخرة وتفاوضوا مع وسطاء أسلحة دوليين ، الذين وضعوا أموالاً كثيرة فى جيوبهم وباعوا أسلحة ومعدات قديمة ومعيبة .

المندوبون المصريون اشتروا طائرات حربية إيطالية من طراز « بيات » و«ماكى » مع علمهم الواضح أن مستواها منخفض ، فى سويسرا تم شراء مدافع قتالية مستعملة ، غير صالحة للاستخدام ، فى روما أنشأت حاشية الملك « إبراهيم ناموك » ، والكولونيل «عمر إبراهيم سيف الدين » ، شركة لتجارة السلاح تفاوضت من أجل شراء طائرات حربية ، سفن قتالية ، دبابات ومدافع .

فى القيادة فى قلب البلدية ، نظر « طارق بك الأفريقى » فى تقارير المراقبة لمبعوثية الذين تابعوا سراً مايحدث فى كيبوتس نيتسانيم ، حكت التقارير عن حفر مواقع وعن تدريبات سلاح فى نيتسانيم ، وكان الأفريقى لديه الخبرة اللازمة ليفهم أنه سيكون من الصعب تنفيذ هجوم ناجع على المستوطنة ، بدلاً من هذا قرر استنزاف المدافعين عن طريق إغلاق الطرق المؤدية لهم ، وضع كمائن وهجمات مفاجئة فى النقاط الضعيفة على طول الطرق كانت له خبرة فيها .

« أدموند جحلان »، فتى مدلل محبوب فى الشركة الكبرى فى القاهرة ، مستورد أقلام حبر وصديق شخصى للملك ، اشترى من البريطانيين بواقى سلاح قديمة تبقت فى الصحراء الغربية بعد الحرب بأبخس الأثمان ، وباعها للجيش المصرى

بثمن كامل ،الأموال التى كان على مصر أن تضخها لشراء السلاح كانت كثيرة إلى درجة أنه فى نهاية الأمر اضطرت الحكومة الى تخصيص كل الإيرادات من محصول القطن المستقبلى للدولة ، وأموال الملك فى سويسرا ، من أجل توفير التمويل للتسلح الواسع للجيش ، جولة الشراء السريعة تمت بدون أى رقابة ، تم شراء دبابات « شرمان » من الحرب العالمية الثانية ، وكانت بحاجة إلى إصلاح ، فقط بعد التوقيع على الصفقة اتضح أن أعمال إصلاح الدبابات الضرورية ، لن يستطيعوا إنهاءها قبل نهاية ١٩٤٨ .

كان هناك تفسير واحد فقط للمشاكل المتكررة والمختلفة : شخص ما فى قيادة الحكم المصرى جمع الكثير من المال من شراء أسلحة فاسدة ، تعهد نجيب عندما تنتهى الحرب أنه لن يرتاح حتى يضع يده على الفاسدين الذين أضروا بمقدرة الجيش مقابل صفقة مالية .

كان نجيب على حق بالنسبة إلى الأسلحة الفاسدة، لكنه بالغ كثيراً فى عدد الضحايا الإسرائيليين : فى القتال على أشدود قتل وأصيب حوالى ١٠٠ من مقاتلى جفعاتى ، لكن هذا العدد كان يهدف إلى نشر جو كئيب فى اللواء وفى القيادة العامة .

على الرغم من ذلك جلبت الأيام القادمة معها شعور مبدئى من التشجيع ، اتضح أن العدو يحكم سيطرته حول أشدود ، يحفر مواقع جديدة ، يحصن القديمة ، من نواحى كثيرة كانت هذه نقطة تحول هامة ، على الأقل حتى الآن ، قلت المخاوف من استمرار تقدم الجيش المصرى نحو تل أبيب ، كان التقدير بأن كل الجهود سوف تتركز الآن حول فصل النقب عن دولة إسرائيل .

مرة كل أسبوع أرسلت قيادة الكتيبة ٥٣ فى اللواء جفعاتى ، الذى كان مسئولاً عن أمن المنطقة ، قافلة إمداد ترافقها مدرعات من القاعدة فى مستوطنة بئر توفيا إلى نيتسانيم ، فى ٢١ مارس ، فى الساعة السابعة صباحا ، بعد مطر خفيف تساقط أثناء الليل ، أفرغت قافلة الإمداد شحنتها فى الكيبوتس وخرجت فى طريقها عائدة

إلى القاعدة .

كانت برفقة القافلة شاحنة « أليقيم بن آرى » ، هم اجتازوا مسافة معينة بدون أى عقبات حتى وصلوا إلى بربخ فى الطريق ، فجأة انفجرت أمامهم عبوة ناسفة شديدة القوة تسببت فى حفر بئر عميق فى الطريق وأغلقت الطريق أمام القافلة .

فى نفس اللحظة فتحت نيران جهنم من جانبى الطريق . أمر قائد القافلة بالالتفاف سريعاً والعودة الى الكيبوتس ، حاول قائد المدرعة إدارة المركبة إلى الخلف ، ولكن انزلق من الطريق إلى داخل بركة مياه أمطار وانغرست هناك ، مدرعة ثانية جاءت للمساعدة وانغرست هى الأخرى فى الوحل .

نيران المهاجمين زادت من لحظة إلى لحظة ، اثناعشر جنديًا الذين كانوا فى المدرعات حاولوا الوصول إلى الشاحنات ، المركبة الوحيدة التى كانت قادرة لم تتحرك حتى الآن ، قتل اثنان منهم ، الثالث أصيب إصابة خطيرة ، لم يكن هناك مفر الا العودة والاحتماء بالمدرعات والرد بالنار .

أخذ «اليقيم » دفة قيادة الشاحنة واستنزف دواسة الوقود حتى نهايتها ، على مقربة من الكيبوتس لاحظ مئات العرب القادمين من الهضاب اتجاه مستوطنة نيتسيم ، العاملون بالزراعة بدأوا فى الهروب إلى داخل الكيبوتس ، أمطرهم المهاجمون بنيران شديدة عليهم ، مواقع الكيبوتس ردت بإطلاق النيران أسقطت ضحايا فى الصفوف الأولى من رجال العصابات .

الآخرون احتموا بملجأ واستمروا فى إطلاق النيران ، اليقيم الذى وصل فى هذا الوقت إلى الكيبوتس أبلغ عما حدث فى الطريق .

اقترب المهاجمون بدون خوف ، واثقين من نجاحهم فى القضاء على اليهود بدون أى صعوبات ، كان يقودهم ضابط بريطانى أشقر الشعر ، أصدر أوامره باللغة الإنجليزية وبحركات اليدين ، لاتوجد لديكم فرصة ، صرخ بالإنجليزية

تجاه المدرعات ، استسلموا إذا كنتم تريدون البقاء على قيد الحياة .

وفى المقابل رد أحد المحشورين فى المدرعات تجاه المهاجمين بالعربية :

« لاتسمعوا لأوامر الإنجليزى ، عودوا إلى غزة إذا كنتم تريدون البقاء أحياء .

القائد المتحدث بالإنجليزية حث رجاله على التقدم – وبن يهودا أعطى أوامره لإطلاق النار والدقة فى التصويب .

إنشاء سلاح الجو الإسرائيلى

الفكرة سمعت كهذيان مشاغب لشخص فقد صوابه تماماً« ليوندر فايسمان » ، تاجر يبلغ من العمر ٣٢ عاماً أصبح غنيا من تجارة الخردوات، نظر إلى « يهودا أرزى » كأنه غير مصدق ، أنت تمزح ، كانت هذه هى الكلمات الوحيدة التى استطاع إخراجها على حافتى شفتيه .تم إجراء اللقاء بينهما فى نيويورك، تم عقد صلة الصداقة بينهما قبل ذلك بزمن ، عندما وصل يهودا أرزى إلى الولايات المتحدة لتدعيم طاقم مبعوثى الشراء، « أرزى » كان يبلغ من العمر أربعين عاما ، رمادى الشعر ، أنيق الملبس ، واسع الكتفين وأصلع قليلاً .

كان من ورائه سنوات خدمة فى الشرطة ، مبعوث شراء فى بولندا وقيادة على خدمة الأنباء للهاجاناه ، وصل إلى نيويورك مسلحاً بتوجيهات بن جوريون لشراءأسلحة ومعدات كثيرة بقدر الإمكان ، بدون حد أقصى : مدافع ، دبابات ، سفن حربية ، « أرزى » كان بالضبط الشخص المناسب الذى يأخذ على عاتقه مهمات صعبة من هذا النوع .

وقد بدأ عمله الأمنى فى سن السابعة عشرة ، عندما أرسلته الهاجاناه لكى يعرض نفسه للخدمة فى الشرطة السرية البريطانية ، البريطانيون تأثروا بملامحه الأوروبية وإتقانه للغة الأنجليزية وقبلوه للعمل ، هو اختفى من هناك بعدما علم رؤساؤه انه نقل معلومات سرية للهاجاناه ، هذه المعلومات قادت الهاجاناه إلى

أماكن إخفاء السلاح العربى ، وإلى الوشاة اليهود الذين عملوا فى خدمة البريطانيين ، «أرزى» ربى ذقنه وتزود بهوية مزيفة على اسم الحاخام يهوشع لفكوفيتس ، بعد ذلك سافر إلى إيطاليا ، وقام بمساعدة جنود الفيلق اليهودى ، بعملية سرقة سلاح من معسكرات الجيش، وبعد ذلك بفترة بدأ فى المساعدة لتهجير المهاجرين إلى البلاد .

همس« شلومو شامير » فى أذنى شفيمر بكلمات « بن جوريون » ، الذى لم يعتقد فى إمكانية إنشاء سلاح الجو حتى اندلاع الحرب ، على الرغم من المقربين منه أيدوا ذلك ، من يعتقد أنه من الممكن إحضار طائرات قتال وقصف إلى البلاد ، وإعداد ممرات جوية ، ومحطات مراقبة الطقس وقاعدة تسليح للطائرات تحت العين المراقبة البريطانية– يكون مخطئاً خطأ كبير » قال « بن جوريون » ، أعتقد أن الاحتمال العملى الوحيد هو شراء طائرات بدون طيار يتم شحنها بمواد متفجرة وتتحطم فى داخل تجمعات العدو .

لكن بالنسبة إلى « شفمير» النحيف دائماً والرياضى ، البالغ من العمر ثلاثين عاماً لم يتوقف عن طرح مبررات من أجل إقناع شامير للبدء فى امتلاك طائرات حربية على الرغم من الحظر ، وعرض مساعدته ، قال « أنا أعتقد أنه توجد طريقة من أجل تهريبهم للبلاد وإعدادهم من أجل الحرب ، وقد رفض فكرة الطائرات بدون طيار رفضاً تاماً ، عندما قال إنها غير آمنة بما فيه الكفاية ، « شامير » سد أذنيه عن السماع ، لكن « شفمير » لم يتنازل .

إضفاء بعد إنسانى على الجنود الصهاينة :

أشار الكاتب إلى عمليات الإخلاء التى قام بها جنود جفعاتى ويضفى عليهم بعداً إنسانيا بتحذير السكان وإبلاغهم بإخلاء القرية ، والسماح لهم بأخذ أشياءهم ، فى حين رسم صورة سيئة لأهالى القرية الذين قاموا بعمل كمائن وقتل اليهود .

مع بزوغ الفجر أغلق جنود جفعاتى ، مسلحين بالبنادق والرشاشات ، مداخل

قرية زرنوجا ، قاموا بجمع السكان فى وسط القرية ، وأبلغهم ضابط شاب أن عليهم أن يجمعوا حاجياتهم الضرورية ويغادروا المكان ، الإشاعات حول النية لإخلائهم ، أثارت خوفاً فى القرية ، أسرع السكان لياخذوا معهم الأشياء القيمة (الأموال / الجواهر / سندات شراء المنازل) ، أغلقوا أبوابهم وأخفوا المفاتيح فى جيوبهم شحنوا أمتعتهم على العربات تجرها الخيول والحمير ، وبدأوا فى التوجه نحو قرية يفنيه ، تحت قيادة متطوعين من مصر ، الأردن وسوريا ، وكانوا مزودين بالبنادق والرشاشات ، وضعوا كمائن فى الطرق ، أطلقوا النار ، أصابوا وقتلوا يهود .

يضفى المؤلف بعداً إنسانياً لروايته من خلال أحد رجال البالماح الذى يصف مشهد رحيل السكان العرب ، وأن جزء منهم تركوا منازلهم برغبتهم ، والآخر ترك منازله بالإكراه ، وفى ذلك اعتراف من المؤلف بالأعمال الوحشية التى قام بها الجنود الصهاينة فى حق العرب أصحاب البلاد الأصليين .

لم يكن عرب زرنوجا هم الوحيدين الذين تركوا مساكنهم برغبتهم أو بالإكراه عشية الحرب وفى أثنائها ، فى يافا على سبيل المثال ، تبقى مجموعة من السكان ، من بينهم فى الأساس أصحاب البساتين وتجار الفاكهة ، كان هناك اتفاق ......بأن اليهود لن يضروا الحصاد والتصدير ، ولذلك لن يهاجموا يافا حتى نهاية موسم الفاكهة ، من اللد والرملة طرد حوالى ٥٠ ألف عربى .

رجل البالماح « شمرياهو جوتمان » من كيبوتس نعن التقى بقوافل هؤلاء المطرودين وكتب عنهم فى صحيفة الكيبوتس التى ينتمى اليه :

جماهير من السكان ساروا وراء بعضهم البعض ، النسوة سرن ومجموعة من اللفائف والأكياس على رؤوسهن ، الأمهات جذبن الأطفال وراءهن ، سار الشباب والشيوخ ، النساء والأطفال ؛ سحبت عربات مشحونة بالأمتعة تجرها الحيوانات ، وهناك عربات لم تجرها البغال ولكن قام الآدميون بجرها ، ولم يكن

هناك إنسان لم يحمل ثقل متعب ، هم قادوا معهم الماعز ، النعاج ، البقر ، الدجاج المربوطة ، حتى كل طفل قام بسحب شيء سلة طعام ، جرة مياه ، إبريق قهوة ، تصاعدت أعمدة الدخان فى أعقاب السائرين ، كانت هذه الرحلة رحلة حزينة – ظهرت على وجوه عشرات الآلاف من السائرين .

يعترف الكاتب بالأعمال الوحشية التى قام بها الجنود الصهاينة أثناء طرد العرب من قراهم قبل وأثناء حرب فلسطين ،ويسرد جزء من قصيدة كتبها الشاعر ناتان الترمان ، وكانت قد منعت من النشر ، ثم نشرت بعد موافقة « بن جوريون » على نشرها .

عملية الطرد هذه رافقها غير مرة أعمال وحشية قاسية ،« مجرمو حرب » أطلق الشاعر « ناتان الترمان » هذا اللقب على لجنود ، فى قصيدته « على ذلك » :

مرت على سيارة جيب بالمدينة المحتلة .

شاب قوى ، ومسلح .... شاب كالأسد .

وفى الشارع المقصود رجل عجوز وأمرأة اندفعوا من أمامه إلى الحائط .

والشاب ابتسم بأسنان بيضاء : سأجرب هذا الرشاش – وجرب .

فقط غطى العجوز وجهه بيديه ودمه عطى الحائط .

حظرت الرقابة نشر هذه القصيدة فى « العمود الأسبوعى لإلترمان فى صحيفة «دافار» لكن الشاعر لم يتنازل ، لقد اقتحم مكتب بن جوريون ، وضع القصيدة أمامه وحكى له بغضب عن حظر الرقابة

قرأ بن جوريون القصيدة وسمح بنشرها فوراً ، كذلك أصدر أمراً بطباعة عشرات الآلاف من نسخ القصيدة وتوزيعها على كل جندى ، وأرسل إلى الترمان خطاباً شخصياً : « لقد كنت فماً طاهراً وأميناً– للضمير الإنسانى . كتب له .

حوالى ٨٠٠ ألف من عرب (أرض إسرائيل) سينتقلون خلال أشهر الحرب إلى الضفة الغربية ، للأردن ، لغزة ، للبنان وسوريا ، جزء منهم سينتقلون برغبتهم ، الجزء الآخر سيتم طردهم ، هم سيسكنون فى معسكرات لاجئين مؤقتة وسيبتعد عنهم السكان المحليون ، تقريباً كلهم سيطلبون العودة بعد مرور فترة قصيرة ، لكن الطريق لمنازلهم سيكون مغلقا .

دور الاستعمار البريطانى فى دعم الإرهاب الصهيونى

منذ بدء الانتداب البريطانى على فلسطين أخذ البناء التنظيمى للإرهاب الصهيونى فى النمو والرسوخ فى فلسطين ، مستفيداً من دعم الاستعمار البريطانى للحركة الصهيونية وتأمينه آلاف الصهاينة من الشباب الذين سرعان ما انخرطوا فى تنظيمات الإرهاب ،وقد استقر البناء التنظيمى للإرهاب الصهيونى منذ مطلع عشرينيات القرن العشرين حين تأسست الهاجاناه ممثلة الذراع العسكرى والباطش للوكالة اليهودية عام ١٩٢٠ والتى نظمت داخل تنظيمها فرقاً خصصت للهجمات الإرهابية ، ومنها كتائب « بوش » التى تقرر تشكيلها عام ١٩٣٧ ، وكذا فرق البالماح ، وفى السنة التالية لاندلاع الثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٦ انشق أنصار الصهيونية التصحيحية عن الهاجاناه وكونوا تنظيما اتخذ لنفسه مظهرا أشد تطرفاً ودموية وهو الأرجون تسفائى لئومى (الاتسل) ، ثم بعد ذلك انشقت جماعة شتيرن عن اتسل وكونت جماعة ليحى عام ١٩٤٠ ، وتعد هذه المنظمات الثلاثة (الهاجاناه / اتسل / ليحى) العمود الفقرى للإرهاب الصهيونى حتى عام ١٩٤٨ [(١)] .

بيل ستيورت وستيفن بينتسلى، سائقان بريطانيان لمدرعات حاملات رشاشات من طراز « برن » بحثوا عن الطريق المناسب لكى يبلغوا الهاجاناه عن رغبتهم فى الانضمام بمدرعاتهم إلى صفوفها ، هم لم يكونوا الجنود البريطانيين الوحيدين

(١) د.عبد الوهاب المسيرى ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، المجلد السابع ، ص١٨٧.

الذين شجعوا نضال اليهود فى (أرض إسرائيل) ، ورغبوا فى الهروب بأسلحتهم وتسليمها للهاجاناه .

الاثنين سافرا من المعسكر الخاص بهم فى سرفند (اليوم تسريفين) إلى مستوطنة رحوفوت ، وتجولوا ساعات خارج المستوطنة حتى عرف ستيورت شاب كان معروفا له ، هو تقدم إليه وسأل : هل تعرفنى ؟

نعم ، قال « الياهو تسفرى » جندى فى « جفعاتى » أنت أوقفتنا ذات مرة عندما كنا نرافق قافلة إمداد لكيبوتس نيتسانيم .

صحيح قال ستيورت ، هل تذكر شيئاً آخر ؟

« أتذكر » ابتسم « تسفرى » ، أنت سمحت لنا بالمرور بدون أن تطلب مصادرة أسلحتنا .

قبيل وصول طائرة السلاح الأولى ، بذلت جهود مضنية من أجل إصلاح مطار تستطيع الهبوط فيه ، أغلب المطارات فى البلاد ، لم تكن أكثر من مسارات ترابية مفتوحة ، الآخرين كانوا مناسبين فى الأساس لاستخدام الطائرات الخفيفة .

أوصى الخبراء باستخدام مطار بجوار بئر توفيا ، الذى استخدمه البريطانيون قبل فترة قصيرة من مغادرتهم ، ليس بعيداً عن ذلك كانت هناك القرية العربية بيت دراز ، التى خرجت منها الهجمات على نيتسانيم، من أجل ضمن الهبوط بدون أى معوقات، وكان من المطلوب وجود لواء جفعاتى من أجل تخصيص قوات خاصة .

فى ظهر ١ أبريل خرجت الطائرة من براغ، توجهت مجموعة من الفنيين إلى منطقة الهبوط وأعدتها بسرعة .

هبطت الطائرة فى منتصف الليل، وفوراً بدأت عملية إفراغ شحنتها على ضوء المصابيح التى تتكون من ٤٠ رشاش ، ٢٠٠ بندقية وحوالى ١٥٠ ألف طلقة .

دور دولة التشيك فى دعم إسرائيل أثناء الحرب

أظهرت الرواية دور دولة التشيك فى دعم إسرائيل وكذلك دور الجالية اليهودية فى هذه البلد التى وصل للحكم فيها رجل يهودى يدعى « بدريخ رايتسان » وهو نجل حاخام يهودى، وفى هذا إشارة إلى الدور المهم الذى قامت به الجاليات اليهودية المختلفة لدعم دولة إسرائيل .

شراء طائرات « مسرشميدتيم » كان بحاجة إلى تصديق القيادة العليا ، فقط رئيس حكومة تشيكوسلوفكيا ، وزير الدفاع ورئيس الأركان التشيكى هم يستطيعون السماح بعقد هذه الصفقة ،« أوتو فيلكس » ذهب لمقابلة « بدريخ رايتسان » نائب وزير الدفاع ومدير المخابرات العسكرية ، الذى كان زميله أثناء الدراسة .

«رايتسان » الرجل القوى فى تشيكوسلوفكيا كان يهوديا ، نجل حاخام ، لكن بعيد عن الصهيونية ، استقبل أوتو فيلكس بالترحاب ، وتبادل معه ذكريات المدرسة البهيجة ، ما أستطيع ان أفعل من أجلك ؟ سأل فى النهاية .

نحن بحاجة الى طائرات « مسرشميدتيم » ، قال فيلكس .

حك رايتسان رأسه .

« هذا ليس سهلا ، لكن سأرى ما فى وسعى أن أفعله ، هل لديك وقت للانتظار؟

ليس لدى وقت .

ابتسم نائب وزير الدفاع فى تفاهم ، توجه لكى يمهد الطريق أمام فيلكس نحو رجال القيادة وأوصى بإعطاء التصديق على بيع الطائرات، بعدما نجح فى الحصول على وعد بأن التشيك سيوافقون على بيع الطائرات ، استدعى فيلكس « ايهود

أفريئيل، وأجرى كليهما مفاوضات سريعة مع رئيس الأركان الجنرال « بدجيك بيوتشك » .

تم الاتفاق بأن التشيك سينقلون إلى اسرائيل ٢٥ طائرة مسرشميدتيم ، وسيحرصون على تدريب طيارين إسرائيليين فى تشيكسلوفكيا ، وسيقومون بإعداد طواقم البر ورجال الإتصال

بلغ حجم الصفقة ٩٠ مليون كارون .

السلاح والذخائر التشيكية كانت جاهزة للإرسال فى نهاية شهر مارس ، فى الوقت الذى تدهورت فيه الحالة الأمنية فى البلاد بسرعة ، فى الطرق الجنوبية وفى الطريق الصاعد إلى القدس تحركت قوافل محمية بمقاتلين مسلحين .

الكمائن فى الطرق والطرود فى خط المياه فى الجنوب كانت أمراًيومياً ، الحرب التى سبقت الحرب كانت فى ذروتها .

السلاح كان ضرورة ملحة ، وأراد « بن جوريون » أن ينقل إلى البلاد بطائرات نقل ، بعضه تحت غطاء شركة الطيران الداخلية ، قائد خدمة الطيران للهاجانا «أهارون رمز » الذى مع إنشاء سلاح الطيران فى وقت متأخر جداً سيصبح أيضاً قائده ، أطلق على العملية اسم بلق ، وشرح مصدر الاسم : بلق بن تسيبور استأجر« بلعام بن باعور» لكى يلعن اسرائيل ، لكن بلعام تلقى بركة ، ثلاث مرات حاولوا أن يلعنونا - العرب فى عمليات القتل الخاصة بهم ، البريطانيون فى انتهاك تعهداتهم ليكونوا محايدين ، والأمريكان فى إعلانهم عن حظر الأسلحة ، عملية «بلق» من أجل أن تلقنهم درساً .

طائرة نقل داخلية أولى هبطت فى تشيكوسلوفكيا ، الدكتور « تيلمان » ، نائب وزير الداخلية لتشيكى ، عين بواسطة حكومته كمسئول عن التزود بالسلاح ، لقد كان يهودياً حفظ فى داخله على توجه دافئ إلى (أرض إسرائيل) ، على كل صندوق

سلاح يتم الدفع من أجله ، أمر بشحن صندوق إضافى مجانى سراً ، رجال المخابرات السوفيتية ، الذين تابعوا شحنات الأسلحة ، كشفوا فعلته ، احتجوا أمام أولياء نعمتهم التشيك وطالبوا بتسليمه لأيديهم ، تيلمان هرب إلى فنزويلا فى الوقت المناسب ، زوجته وابنه لم يستطيعوا ، تم احتجازهم كرهائن فى أيدى الروس ، الذين طلبوا منه أن يعود كشرط لإطلاق سراحهم ، كان يعلم إنه سيقتل إذا عاد ورفض العودة ، آثار زوجته وابنه اختفت ولم يعرفوا أبداً .

تم التوقيع على الاتفاقية فى ٢٣ ابريل ، قبل ٣ أسابيع فقط من الغزو المخطط له من قبل الجيوش العربية للبلاد ، كان واضحا لكل المهتمين بهذا الأمر أن طائرات مسرشميدتيم لن تصل إلى إسرائيل حتى هذا التاريخ الحاسم .

مجموعة طيارين وصلت إلى المطار العسكرى فى التشيك فى بوديوفيتسه من أجل التدرب على قيادة طائرات « مسرشميدتيم » ، كان بينها رجال قسم الطيران فى البالماج وشركة « أفيرون » ، من خريجى سلاح الطيران البريطانى ومتطوعين ، أغلبهم من الولايات المتحدة .

ابتسم حلودق فى تفاهم وقال : « خذوا نصيحة جيدة منى ، احرصوا على ضرب الطائرات العربية على الأرض قبل أن تقلع ، تذكروا أنهم لو دخلوا معكم فى المعارك الجوية ، لاتوجد لطائرات المسرشميدتيم فرص كثيرة .

دور المخابرات البريطانية فى الحرب

يزعم المؤلف أن المخابرات البريطانية قامت بالتجسس على إسرائيل لصالح مصر نظراً للمصالح المشتركة بينهما .

فجأة لاحظ « ليهمان » امرأة فاتنة دخلت إلى البار ، نظرت إلى جميع الاتجاهات واستقرت فى النهاية بجواره .

لقد كانت كحيلة العينين ، تجاوزت الثلاثين ، شعرها أسود ، ناعم ، يتحرك

أحياناً ويغطى جبهة وجهها ، وهو ما أعطاها منظر ساحر وخلاب .

ابتدأت الحديث معه ، حكت له أنها ولدت فى لندن ووصلت إلى براغ بمناسبة احتفال عائلى على كأس شراب أحمر محى ، حكى لها أنه كان طياراً فى الجيش السويسرى ، وعلى الرغم من كونه غير يهودى هرب من أجل أن يتطوع فى سلاح الجو قيد الإنشاء فى (أرض إسرائيل) .

قامت بأخذه إلى غرفتها الفاخرة ، منظر جسدها المعطر ، العارى ، أدار رأسه ، وبدون وعى عندما كانت عينيه معلقتان بها برغبة ويديه تلاطف جلدها الساخن ، رد على كل أسئلتها ، أعطى تفاصيل عن رحلات الطيران إلى (أرض إسرائيل) ، محتويات الطائرات ، وذكر أسماء الطيارين وقادة القاعدة . وفى الصباح الباكر عندما أصيب رأسه بالدوار من الليلة التى أعطتها له ، عاد إلى مدينة زاتك بالضبط فى وقت استيقاظ الطيارين عندما أنهى تدريباته اليومية أسرع بالاستحمام ، ارتدى بدلة وسافر ثانية إلى براغ ، واستقبلته فى غرفتها وقبلته بحرارة وكشف عن حبه لها ، بعد يومين ومروريومين آخرين انتبه زملاؤه إلى غيابه فى الليل ، لارى ريف قبطان متطوع من الولايات المتحدة ، سأله إلى أين اعتاد على الاختفاء ، قال ليهمان : توجد لى صديقة فى براغ .

لم يقتنع ريف بهذا التفسير ، اقترح على أصدقائه من (أرض إسرائيل) فحص الملابسات الحقيقية لسفريات ليهمان المتكررة إلى براغ ، رجلين من الأمن أرسلوا فى عقبه ، رأوه يلتقى مع العاهرة الجميلة فى الفندق « الخستسيور » ، يتناول الطعام معها فى غرفة الطعام الفاخرة ، يعطيها هدايا غالية ، المال الذى أنفقه بسخاء جعله فى موضع شك بشكل أكبر ، رجال الأمن جمعوا المعلومات الممكنة عن المرأة التى يقضى الليل برفقتها ، واكتشفوا أنها عميلة المخابرات البريطانية ، افترضوا أن المعلومات التى جمعتها ستنقل بواسطة البريطانيين إلى أولياء نعمتهم المصريين .

تم ترحيل ليهمان على طائرة إلى باريس وتم تحذيره حتى لايخرج من فمه كلمة أخرى حول ماعرفه فى إسرائيل ، وتعهد بذلك ، لكن الإهانة ورغبة الانتقام كانت أقوى منه ، برفقة اثنان من ضباط المخابرات البريطانية وصل إلى مكتب ممثل الأمم المتحدة « رالف بنتس » فى قلب باريس ، وحكى هناك برغبته حول خط الإمداد السرى بين تشيكوسلوفكيا وإسرائيل ، عن عشرات الطيارين المتطوعين ، وعن أشياء أخرى كان على علم بها ، فى نهاية الحوار قال بصوت مؤثر : حياتى فى خطر ، أنا أطلب بكل لغات الطلب حماية الأمم المتحدة ، « رالف بنتس » تهرب من الإجابة .

هرب « ليهمان »إلى القاهرة ، هناك باع ذكرياته الى صحيفة المصرى بثمن كامل، حكى بشكل خاص حول طرق تهريب السلاح إلى إسرائيل وادعى أن الروس سمحوا بنقل شحنات السلاح من أجل الالتفاف حول الحظر الأمريكى .

بوثائق أصلية نادرة حصلت مكاتب الـ « إف . بى . آى » فى واشنطن على خطابات من مصدر مجهول تحتوى على أسماء الطيارين الأمريكيين المتورطين فى نقل السلاح إلى إسرائيل ، اعترافات « ليهمان » حركت سلطات القضاء الأمريكية بإصدار تعليمات بمحاكمة الطيارين المتطوعين، لكن وسائل الإعلام الأمريكية خصصت مكاناً صغيراً لذلك ، احتلت مزاعم ليهمان العناوين الهامة بأن الاتحاد السوفيتى ساعد إسرائيل من أجل الالتفاف حول الحظر الأمريكى .

على الرغم من قرب وقت رحيل البريطانيين من البلاد لازالوا متمسكين بسياستهم المؤيدة للعرب، لقد بذلوا جهوداً كبيرة لإلحاق الضرر بالقوة اليهودية ، تجريد أعضاء الهاجاناه من سلاحهم ، ومنعهم من الانتصار فى المعارك الدامية التى حدثت فى أنحاء البلاد ، كان هناك ايضاً قلة من الشواذ الذين أظهروا تعاطفاً مع اليهود .

بيت بئر كانت قرية عربية صغيرة سيئة السمعة ، كانت موجودة على هضبة مرتفعة فى المنطقة الجنوبية ، تم إرسال سرية من جفعاتى تحت قيادة يسرائيل زامير لمهاجمتها والسيطرة عليها ، بدأ الهجوم فى وقت الظهيرة، رد العرب بإطلاق نيران قوية وأصابوا مراسل قائد السرية ، زامير مجعد الشعر ونحيف ،شجع رجاله على الاستمرار فى الهجوم .

لكنه تراجع فورا عندما رأى ثلاث مدرعات بريطانية اقتربت بسرعة وتوقفت فى المنطقة التى بين القرية وجنود جفعتى ، وقد كان هذا الأمر متوقعاً : نزل من المدرعات الآن جنود بريطانيون مسلحون ، هم سيصادروا سلاح جنود السرية وربما أيضاً يأخذون معهم القائد للتحقيق .

فى أماكن مختلفة ظهرت ضرورة إخلاء مستوطنات كانت فى نطاق الخطر، شلومو (تسيتس) ليندنر (لهط) قائد سرية صغيرة فى جفعاتى أرسل مع جنوده إلى إحدى هذه المهام فى المنطقة الجنوبية ، لقد جمع ممثلى المستوطنة هر توف وأبلغهم أنه أرسل من أجل الإخلاء الفورى للمستوطنة .

قيام المنظمات الصهيونية بارتكاب مجازر ضد الشعب الفلسطينى

فى هذه الأثناء، سيطرت قوات الهاجاناه ، من خلال مجموعة هجمات جريئة على المدن المختلطة ، طبريا ، حيفا ، صفد وعلى مستوطنات عربية فى مناطق مختلفة ، جنود جفعاتى فجروا قيادة الزعيم العربى الأسطورى « حسن سلامة » ، الذى قتل فى وقت لاحق من قذيفة هاون فى منطقة رأس العين (روش هاعين) .

قائد آخر ، عبد القادر الحسينى ، قئد وحدة الجهاد المقدس قتل بأيدى المدافعين عن الحصن ، سرايا القوات الميدانية والبالماح ضربت جيش الإنقاذ فى منطقة « مشمر هاعمق » ، وبدأوا فى تطهير الجليل ، الجنوب وشمال النقب من الثكنات القتالية العربية .

الأنباء التى شاعت عن الهزائم فى المعسكر العربى ، سوياً مع الأنباء عن تمام الإخلاء البريطانى ، احتلال حيفا على أيدى الهاجاناه ، والأنباء الفظيعة عن مقتل ٢٠٠ من الرجال والنساء والأطفال العرب خلال هجمات منظمة اتسل على قرية دير ياسين أثارت الخوف فى التجمعات العربية ، وازداد معدل هرب سكانها .

اللاجؤون الذين وصلوا إلى مصر من (أرض إسرائيل) حكوا عن أعمال مطاردة وقتل وعن الضائقة التى يعيش فيها من تبقى خلفهم ، وكتبت المنشورات فى ساحات القاهرة « يافاروق أنقذ فلسطين » .

عمليات شراء السلاح الكبرى لمصر فى أوروبا أضاءت النور الأحمر فى قيادة الهاجاناه ، وضع السلاح المصرى الذى تضمن إلى جانب الأدوات القديمة أيضاً بطاريات مدافع حديثة ، كانت فى إطار الألغاز ، لم يستطع أحد من مسئولى المخابرات فى البلاد أن يحله ، لكن لم يكن هناك شك فى أن المصريين لديهم أسلحة كثيرة جداً ، من مصادر مختلفة تلقوا تقارير حول صفقات أسلحة مصرية جديدة يتم التوقيع عليها يومياً .

لم يكن من الواضح دائماً ما يشتريه المصريون ، لكن الواضح أنهم يشترون كثيراً، ويجب إيقافهم ، وكانت هناك فقط طريقة واحدة من أجل ذلك ، تسيفى أميتى ، رجل الهاجاناه القديم تم إرساله على عجل إلى روما من أجل أن يترأس شبكة من العملاء السريين من الاسرائيليين والأجانب ، وكان من المقرر إحباط محاولات العرب للتزود بالسلاح فى جميع أنحاء أوروبا ، كان من بينهم خبراء لجمع المعلومات ، خبراء فى المفرقعات من ذوى الخبرة دورهم شحنات الأسلحة المصرية ، ورجال يتقنون لغات الدول المختلفة ، كان أميتى واثقاً من أن هذا الطاقم سيقوم بالمهمة ، لكن الحظ لم يبتسم له ، وتتابع الفشل تلو الفشل ، المحاولات من أجل تدمير السلاح والعتاد التى كانت مخصصة للعدو لم تنجح، ووصلت شحنات الأسلحة بسلام إلى مصر .

وعندما كان غارقاً فى كآبة شديدة، تلقى تسيفى أخباراً مثيرة للاهتمام، عن توقيع صفقة شراء بين الشركة الإيطالية لصناعة الطائرات « ماكى » لعملية إمداد عاجلة لعشرين طائرة قتالية من طراز « ماكى ٢٠٥ »، كان من الواضح أن هذه الطائرات ستشكل قوة إضافية خطيرة لسلاح الجو المصرى، أرسل« أميتى » رجاله لمعرفة مكان عناصر تركيب الطائرات القتالية ، اعتقد أن مهمة التركيب تتم فى مطار بجوار قرية « فانجون » فى شمال إيطاليا ، أميتى وثلاثة من رجال مخابراته سافروا إلى ميلانو ، استأجروا سيارة وسافروا فى طرق ضيقة وملتوية إلى المطار ، وعندما وصلوا إلى هنا ، أظهروا أنفسهم كسائحين بريطانيين يريدون إجراء رحلات طيران للتنزه حول المنصقة ، اضطروا للانتظار حتى يتفرغ طيار حتى يصحبهم ، وفى هذه الأثناء تصادقوا مع مدير المطار ، قدموا له السجائر الأمريكية كعلامة على تقديرهم له ،وساروا معهم فى المنطقة ، وعندما وصلوا إلى المبنى الذى ركبوا فيه الطائرات الحربية المصرية ، قام بإيقافهم وقال : هنا غير مسموح بالدخول ، هذا يخص العرب .

فى غداة اليوم التالى ليلا وصل إلى هناك رجال الهاجاناه بشحنات ناسفة ، نسفوا الجدار ، زحفوا حتى المبنى ودخلوا إلى الداخل من خلال نافذة بلا زجاج ، كان هناك خمسة طائرات حربية فى مرحلة التركيب النهائى ، التى حملت علامات الخاصة بسلاح الجو المصرى ، فى حوالى منتصف الليل أنهى متخصصوا المتفجرات مهمتهم وتركوا المنطقة . سافروا إلى ميلانو واختفوا هناك بين الجماهير التى خرجت إلى عملها مع الصباح .

الإشارة إلى الفساد الموجود فى الجيش المصرى

البكباشى (مقدم) محمد نجيب البالغ من العمر سبعة وأربعين عاما ، متوسط القامة وصاحب هيكل جسم قوى ، كان ملاكم محترف تصارع فى صيف ١٩٤٤ فى تل أبيب مع الملاكم الإسرائيلى اميل – أفينرى ، وهزم بالضربة القاضية ، ليس

مثل ضباط الجيش الآخرين ، الذين كانوا مشغولين فى الغالب بألعاب شرفية والجرى وراء الأموال والمتع ، كان لنجيب نظام أولويات أخر .

جده وأبيه كانوا ضباط فى الجيش المصرى ، وهو نفسه كان قائداً على نوبة حراسة على الحدود المصرية ، الفساد الذى استشرى فى الحكومة والجيش أخرجه غير مرة من ملابسه العسكرية ، أمام كل من كان مستعدا للسماع اشتكى من أصحاب الأراضى الذين حصلوا على إعفاءات مبالغ فيها فى الضرائب مقابل رشوة ودفعوا أجرة معيشة لمزارعيهم .

اعتقد أنه ينبغى اتخاذ خطوات فورية لتقليص حجم البطالة وإيجاد فرص عمل مناسبة لخريجى الجامعات الذين تجولوا عاطلين ومحبطين ، أيد أيضاً إبعاد رئيس الأركان الفاسد « إبراهيم عطا الله » ، ولى نعمة « فاروق » ، الذى منح وظائف مرموقة فى الجيش لأبناء عائلته ، أحاط نفسه بالنساء ، تجول فى النوادى الليلية وأخذ أموال وهدايا مقابل إيجاد فرص عمل للمقاولين فى معسكرات الجيش .

يعود الكاتب إلى الزاوية الموضوعية فى كتاباته ويشير إلى استبعاد رئيس الأركان الفاسد ، وتعيين « عثمان المهدى » بدلاً منه .

عندما اتضح أن « عطا الله » ليس عاقلاً لكبح أعماله ، وحتى جنوده يحتقرونه ، طلب منه فاروق الاستقالة، وتم تعيين رئيس أركان جديد مكانه « عثمان المهدى »، توقع نجيب أن يأمر بإجراء تحقيق فى أعمال الفساد لسابقه، وإذا كانت هناك ضرورة يتم تقديمه للمحاكمة ، لكن المهدى خشى من أن يؤدى التحقيق فى أعمال الفساد إلى الملك، وفضل أن يغلق هذا الموضوع، نجيب جز على أسنانه وصمت، التجنيد السريع للمعتقلين وفقاً لتعليمات القيادة العامة كانت على غير هواه ، لكن فهم أنه ليس هناك مفر من ذلك، الخدمة العسكرية كانت مفروضة على الشباب من عمر الثامنة عشر وحتى الخامسة والعشرين، أنظمة التجنيد عانت

من عيوب التنظيم والفساد لسنوات طويلة، كثيرا من المجندين حصلوا على إعفاءات لأسباب صحية، لم يمثلوا للخدمة أبداً، أو دفعوا رشوة مقابل الإعفاء من الخدمة .

لكن أيضا ليس كل هؤلاء الذين تم تجنيدهم تم إرسالهم إلى خدمة عسكرية كاملة ، جزء كبير منهم تم تجنيدهم فى وحدات « شرطة النظام » ، قمع المظاهرات اعتقلت وعذبت رجال الحركات الثورية، من بين المجندين الذين أرسلوا إلى الوحدات العسكرية سقط الكثير أثناء التدريبات بسبب تخلف عقلى وأمراض قديمة وحديثة عشية غزو (أرض إسرائيل) طلب الجيش المصرى القوة البشرية ، وجمع من كل القادمين بجانب القرويين والمدنيين ، وأيضا جزء من المعتقلين الذين تكدست بهم السجون العسكرية، تم تجنيد مقاتلين سودانيين ووقعوا على اتفاقيات لمدة نصف عام وأخذوا رواتب مناسبة .

الحالة الجسمانية للسودانيين طويلو القامة وذوى البشرة السمراء، وأيضا قدرتهم القتالية كانت أفضل من الجنود المصريين .

ومعهم أيضا التحق بالقوات المصرية أيضا جنود سعوديون ، وكان من المقرر أن يدفع رواتبهم البيت الملكى السعودى،أضيف لكل هؤلاء وحدات من حرس الحدود، من بينهم راكبى الجمال، الذين أساس خبرتهم منع التهريب ، كتيبة واحدة فى سلاح الغزو تكونت كلها من متطوعين من « الأخوان المسلمين » .

الأميرالاى (اللواء) « أحمد على المواوى» ، قائد قوة الغزو المصرى ، دعا «نجيب» بسرعة إلى مكتبه فى غزة ، القائد القصير القامة والممتلئ الجسم أرسل إلى « نجيب » نظرة مودة .

قال« تحياتى »، بشره بأنه قرر ترقيته إلى رتبة قائمقام (عقيد) وتعيينه نائبا له

تلقى « نجيب » البشارة بعدم اهتمام .

تعجب « المواوى »وقال اعتقدت أنك ستفرح .

رد نجيب بصوت حزين« من الصعب لى أن أفرح » .

لماذا ؟

لأنه فى كل الجيش المصرى توجد ، حسب علمى بصعوبة أربعة كتائب قادرة على الحرب ، كل الباقين يجب أن يجتازوا كثيراً من التدريبات من أجل الوصول إلى المستوى المطلوب

٢٤ ساعة قبل الموعد من المقرر أن يبدأ سلاح الغزو المصرى فى الدخول إلى العريش نقطة القفز إلى الحرب ، امتلأت طرق سيناء من القوافل الأخيرة من وحدات الجيش المصرى فى طريقها إلى نقطة الالتقاء ، من المركبات لوح جنود متحمسون بالأعلام (أحمر – أسود – أبيض) ، متوقعين المديح الذى تعهد به لهم قاداتهم عندما يحتلون تل – أبيب ، شاحانات كبيرة تقدمت المدرعات والدبابات، مدافع مغاطاة بالشادر تم سحبها على وجه الأسفلت ، فى قاعدة سلاح الجو للعريش أقلعت وهبطت طائرات « سفيتفير » فى طلعات تدريب أخيرة

الاعتمادات المالية من أجل توفير ميزانية الحرب

عشية الغزو خصص البرلمان أربعة ملايين جنيه مصرى لتمويل الحرب ، تم إعداد لوائح لفرض رقابة على وسائل المواصلات ، لتدقيق الرقابة على الحدود ، واعتقال الأشخاص الذين من الممكن أن يعرضوا أمن الدولة إلى الخطر فى هذا الوقت الخطير .

نشر بيان فى صحيفة الأهرام عن احتفال فنى سيتم إعداده فى نادى « الإخسلسيور» لجمع التبرعات المالية لدعم مقاتلى فلسطين ، رجال الأعمال والشركات التجارية ساهموا فى صندوق الحرب بدون تحمس ، التبرعات كانت قليلة وتم ضخها بكسل بإستثناء ذلك سارت الحياة كالمعتاد ، كأنه لم يحدث شيء .

فى رفح أكمل حوالى ٦٠٠٠ آلاف مصرى الاستعدادات الأخيرة للحرب ، الكتيبة الثالثة بقيادة القائمقام (العقيد) محمد نجيب ، التى كانت مكونة من رجال عسكريين نظاميين ومن جنود احتياط ، كان من المقرر احتلال مستوطنة « نيريم » وبعد ذلك بقية المستوطنات الإسرائيلية بالتتابع فى المنطقة .

قوة ثانية بقيادة البكباشى (المقدم) أحمد عبد العزيز ، كانت تهدف إلى تطهير النقب الشرقى من الوجود الإسرائيلى ، السيطرة عليه، والهجوم تجاه بئر سبع ، الخليل وبيت لحم ، من أجل الانضمام هناك إلى قوات الفيلق، هذه القوة كانت مركبة فى الأساس من وحدات الإخوان المسلمين الذين وصلوا من مصر للمساعدة فى الحرب ومنيت بإخفاق أولى عندما حاولت احتلال « كفار دروم » .

الاستعدادت فى الجانب اليهودى لدخول الحرب

فى تل أبيب شاع جو من القلق الشديد فى غرفة جلسات « مجلس الشعب المؤقت »الغالبية العظمى لـــ٣٧ من أعضاء المجلس ، الهيئة العليا من الاستيطان اليهودى ، اجتمعوا لمناقشة عاجلة تجاه الأنباء حول الاستعدادات المتزايدة لغزو الجيوش العربية ، أطلعهم « بن جوريون » على الصعوبات فى الإسراع بشحنات السلاح ، حكى بن جوريون عن موجة التسلح والتدريبات فى الدول العربية ، فى الوقت الذى تعانى فيه الهاجاناه من العجز الشديد .

قال يجآل يادين وهو شاحب وخائف : قواتنا الجوية لاتدخل حيز المقارنة مقابل قوات العدو ، الطائرات لم تصل بعد، عدد طائرات البلاد العربية تقدر من مئة ضعف حتى مئة وخمسين ضعفاًأكثر من قواتنا، فى هذه اللحظة تعمل طائراتنا ضد كل قوانين الجو والحرب ، أى طيار عادى لم يكن يجرؤ على التحليق بهذه الطائرات ، هذه طائرات قديمة ، فى أغلبها طائرات تجول وتعليم ، مع وجود تهشم وعيوب كبيرة جداً ، ونحن نوجد لآن فى وضع سيئ جداً ، ومن الأفضل ألا نعتبرهم عنصر عسكرى فى الحسبان .

ارتفع صوت بن جوريون « الطائرات الحربية هى الأشياء التى نحتاجها الآن أكثر من أى شيء آخر » .

قال رجال القيادة العامة الذين جلسوا أمامه أن الاتصالات من أجل شراء هذه الطائرات فى أوروبا وفى جنوب أمريكا مستمرة بدون انقطاع ، لكن حتى الآن بدون نتائج ، وحينئذ سأل أهارون رمز ، قائد « الخدمة الجوية » :

وماذا عن تشيكوسلوفكيا ؟

هم يصنعون فقط نوع واحد : مسرشميدتيم ، مثل هذه التى استخدمها الألمان فى الحرب العالمية .

ما المشكلة فيها ؟

ليست مشكلة واحدة ، مجموعة من المشاكل الفنية ، طائرات السفيتيريم التى يمتلكها العرب أفضل مئة مرة .

قال بن جوريون ، ولكن نحن لانستطيع شراء طائرات السفيتيريم .

قال رمز : إذا لم يكن هناك اختيار فلتكن طائرات « مسرشميدتيم » .

أجرى بن جوريون اتصالاً مع شفيمر وحكى له ، أنه اصدر أمرا بمحاولة شراء طائرات « مسرشميدتيم » ، أصيب شفيمر بالصدمة وقال « لاتلمسوا هذه الطائرات ، إنها خطر » .

هل تستطيع أن تمدنا بطائرات حربية أخرى ؟ قاطعه بن جوريون بقلة صبر ، لقد علم مسبقا ما هو الرد . فى هذا الوقت لا ، تمتم « شفيمر » .

تحرك القوات العربية نحو فلسطين

١٤ مايو كان اليوم الأخير للإنتداب البريطانى فى (أرض إسرائيل) ، الممثل الأعلى ، السيد « ألون كننجهام » ، أخذ على متن طائرة فى وقت الصباح بملابسه

العسكرية من القدس حتى رامات دافيد سوياً مع ضباط القيادة البريطانية ، من هناك سافر إلى ميناء حيفا ، أزالوا العلم البريطانى من على الصارى، وصعدوا على ظهر السفينة « أورليوس » التى رفعت المرساة على صوت البوق وإقلاع اثنتا عشرة طائرة من طراز « سفيتفيريم » أثناء أداء الخدمة العسكرية، هذه كانت اللحظة التى تتمناها الجيوش العربية، ى سوريا، فى لبنان ، فى الأردن وفى العراق بدأ تحرك القوات تجاه (أرض إسرائيل) ، فى رفح اجتازت قوات الغزو المصرية الحدود ، الجزء الأكبر منها يممت شطرها تجاه الشمال ، إلى قلب الدولة ، كتيبة واحدة استعدت للتوجه للشرق تجاه بئر سبع .

على مايبدو لم تقف عقبات تقريباً فى طريق القوة المصرية، اللواء الجنوبى من البالماح ، التى كانت مهمته الدفاع عن المستوطنات المتناثرة فى المنطقة ، عانى من عجز فى القوى البشرية المدربة ، من غياب معلومات استخبارية دقيقة ، ساد جو من الإضطراب فى القيادة العامة ، طرح عدد من كبار الضباط تقديرات متعارضة حول جهة توجه المصريين ، لم يكن من الواضح لأحد إذا كانت نية الغزاة التقدم إلى الشمال على محور الساحل ، أو التركيز على احتلال النقب .

نائب رئيس الأركان « تسيفى أيالون » اعترف أمام رجال القيادة العامة :

إذا قلت الحقيقة أنه لاتوجد لدينا فى الواقع أية خطة ، اقترح متابعة تقدم الغزو ، وبعد ذلك نقرر ماذا نفعل .

توضيح أهمية المستوطنات اليهودية فى جنوب النقب .

المستوطنات فى جنوب النقب لم تهدف فقط أن يتم استخدامها كخط دفاع أول، ولكن أيضاً من أجل معرفة توجه المصريين ، اللواء جفعاتى ، الذى كان مسئولاً عن منطقة الجنوب ، لم يكتفى بإداء رأيه حول طرق وقف الجيش المصرى وتركز أغلبه فى منطقة بئر طوفيا ، بعيداً عن الجبهة .

قال القائد المصرى لضابط المدفعية : أطلق النار ، اطلق النار على القافلة والكيبوتس .

ضابط المدفعية أمر بتوجيه المدافع وقذائف الهاون نحو الأهداف وأعطى الأمر بإطلاق النار ، قبل كل شيء تم توجيه دفعة بدقة من النيران نحو القافلة واحترق جزء من المركبات بالنيران ، نجحت شاحنة واحدة فى الخلاص من المصيدة الرملية والوصول إلى الكيبوتس ، بالطبع بقى بجانب الشاحنات المحترقة عشرات من جنود الدعم الذين أرسلوا إلى مصيدة النيران ، مثل المدافعين عن مستوطنة كفار داروم ودعوا الله أيضاً أن تحدث معجزة ، وحقاً حلقت طائرة « أوستر » إسرائيلية فى السماء المشرقة ، حلقت فوق بطاريات المدافع المصرية وألقت عدة قذائف أثارت الخوف فوراً، فى الاضطراب الذى حدث توقفت المدافع عن إطلاق النيران .

الحالة المزاجية للقائم مقام (العقيد) محمد نجيب ، نائب قائد القوة المصرية الغازية ، كانت سيئة ، وقلبه كان يؤلمه ، لقد علم أن القاهرة تتوقع الإعلان عن احتلال الكتيبة السادسة نيريم وتحقيق أول انتصار على أرض فلسطين ، ولم يكن لديه شك فى أن التقرير الذى سيرسله سيكون موضع استياء الملك ووزرائه .

تشويه صورة الجيش المصرى فى الرواية

وبعد فترة وجه الطيارون المصريون طائراتهم تجاه محطة الأوتوبيس المركزية فى جنوب المدينة .

فى نفس الوقت كان هناك على أرصفة المحطة مئات الركاب ، الذين بدأوا فى الهرب عند رؤيتهم للطائرات ، الكثير منهم لم يستطيعوا الحصول على ملاذ فى الوقت المناسب ، القذائف التى ألقيت فى وقت واحد ودفعة واحدة من كلتا الطائرتين أصابت قلب المحطة وزرعوا الدمار والموت ، ٤٢ قتيل وأكثر من

١٠٠ مصاب بقوا على الأرصفة المفحمة عندما اتجهت الطائرات من هناك إلى ميناء تل – أبيب .

دعا المصريون المدافعون عن نيتسانيم للخروج من مواقعهم وأيديهم على رؤوسهم، من المواقع المحطمة، من داخل أنقاض سقوط المبنى الحجرى اندفع رويدا رويدا مقاتلون متعبون ، مكبوحون ، مصابون وينزفون دماً ، ظهرت الدموع فى أعينهم .

هل هؤلاء هم الجميع ؟ سأل الضابط المصرى عندما أحصى عدد الإسرائيليين المغضب ، ظنناكم أكثر بكثير .

الجنود المصريون خلعوا ساعات ارجال وخواتم النساء ، أجبروهم على الانبطاح على الأرض فى الوقت الذى قاموا فيه بضربهم باللكمات ومؤخرات البنادق دون توقف .

كلا الطياريين المصريين، اللذين حلقا بطائرات « سفيتفيريم » مسلحين ومشحونين بقذائف من مطار العريش ، شقوا طريقهم بأمان على طول الساحل ومروا فوق وحدات الجيش المصرى التى تحركت شمالاً، أشرقت شمس الربيع فى السماء الزرقاء الصافية ، وحلق الطيارا ان الشابان بفرحة تجاه هدفهم بدون أى خوف ، لقدكانوا يعلمون أنه لن تواجههم أية طائرة ، لسبب بسيط أنه لم يكن لدى الإسرائيليين أية طائرات من هذا النوع .

لم يخشوا من مدافع مضادة للطائرات، لأنها لم تكن هناك أيضا ، الطلقات المنفردة التى أطلقت تجاههم من الرشاشات اليائسة على البر أضحكتهم ، عندما وصلوا إلى سماء تل أبيب ، قادوا طائراتهم كأنما كل الوقت فى أيديهم ، حلقا فوق مركز المدينة ، يصعدان ويهبطان بالتناوب، مستمتعان بنشر الخوف ، خلت الطرق مرة واحدة وبحث الرجال عن ملجأ فى السراديب وفى غرف السلالم .

فى طريقهم للعودة إلى العريش أفرغت الطائرات المصرية بقية القذائف ، وقذائف المدفعية على القاعدة العسكرية ، معسكر الحمامة ، على ساحل بحر تل أبيب، فى نفس الوقت ظهر هناك دافيد بن جوريون على بث إذاعة شبكة راديو أمريكية، الطائرات اختفت مثلما جاءت ، تاركة وراءها شعوراً من الإحباط العميق والعجز .

القذائف من الجو استمرت أيضاً فى الأيام التالية دون توقف ، تم قصف مبنى تحرير جريدة « هاآرتس » فى تل أبيب وقتل أربعة من عمال الطباعة ، قصفت أيضا المنازل السكنية فى شمال المدينة ، وتضرر أيضاً مطار دوف، الذى هبطت فيه عدة طائرات خفيفة ، منظومة الدفاع الجوية للمطار التى كانت مزودة بسلاح خفيف ، لم تنجح فى إصابة طائرات العدو .

وصل اليوزباشى (النقيب) زكريا محيى الدين وهو يتصبب عرقاً ويجد صعوبة فى التنفس إلى قيادة الكتيبة الأولى الموجودة أمام يد موردخاى ، وغضب بسبب عدم وجود معلومات فى قيادة الكتيبة حول التشكيلات الإسرائيلية، قائد الكتيبة الصاغ (الرائد) سيد طه بك ، استجاب لطلبه لعمل جولة سريعة فى المنطقة، بشرط أن تعود فى وقت الظهيرة ، قال فى القاهرة يضغطون علىَّ من أجل البدء فى الهجوم بحيث ألأ أتأخر عن الساعة (الثالثة – العاشرة) صفر صفر .

صوت صلاوات مختلطة بالبكاء وقف أمام المقبرة ، أحياناً حمل فى الجو ضوضاء تلقى الخوف، الذى زاد وعظم، كل العيون تطلعت إلى الأعلى ، وتناقصت دقات القلوب ، فى السماء الزرقاء ظهرت طائرتان « دكوتا » مصريتان ، اللتان شقتا طريقهما من الجنوب إلى الشمال، الأولى التى طارت على سطح المدينة الحزينة واقتربت من تل أبيب . الثانية بدأت فى الطيران لأعلى طارت وراء أهداف للقصف .

فى أقل من ثلاث دقائق بعد ذلك كانت الطائرة الأولى فوق تل أبيب ، أسرع

المواطنون الخائفون فى الاختباء وراء الجدران الواقية لمنازلهم، الآخرون نظروا إلى الطائرة صامتون من الخوف، القنابل من الجو أصابت المدينة بشدة ، أسقطت ضحايا، دمرت منازل زرعت اليأس، بالنسبة إلى المصريين كانت مهمة إلقاء القنابل على تل أبيب مهمة سهلة ، رحلة طيران لاتحتوى على مخاطر حقيقية، قدروا أن عدد طائرات المسرشميدتيم الذى لدى سلاح الجو الإسرائيلى صغير، وهى تعمل فى الأساس فى مهام على خصوط الجبهة، الرشاشات التى صوبت من الأرض تجاه المهاجمين لم تنجح حتى فى خدش الطائرات المصرية .

خرج محيى الدين مع مجموعة من الجنود فى جولة سريعة ، وعندما عادوا أبلغوا عن الحوائط المحيطة بالكيبوتس، على المواقع التى بعضها محصن ، على انطباعهم بأن الإسرائيليين مسلحين فقط بالبنادق ، بنادق ستانيم وعدد من الرشاشات فقط .

مهاجمة مستوطنة « يد موردخاى » والحرب النفسية

استؤنف القذف المصرى بالضبط بعد مرور ساعة من إلقاء المنشورات ، فى الكوخ الجنوبى ، حل « بنحاس مرمور » مكان « يتسحاق فلدمان »، القائد الذى أصيب من شظايا القذيفة ، نظر بالمنظار إلى مزرعة الموز التى استعد فيها المصريون للقتال .

نادى من المزرعة «استعدوا هم قادمون » ، منتشرين على مسافة عدة مئات من الأمتار ، بدأ جنود الكتيبة المصرية الأولى فى التقدم تجاه الكيبوتس بسير منتصب، الضباط ساروا أمامهم ، يلوحون بمسدساتهم ويصرخون : عليهم ، كل شيء بدا مثل تدريب هجوم نقل من كتاب إرشاد عسكرى قديم .

عندما اقترب الجنود بمقدار مائة متر من الجدران الشائكة، توقفت المدفعية المصرية عن القذف من أجل عدم المساس بالمهاجمين ، أعطى « بنحاس مرمور » أوامره بإطلاق النيران دفعة الطلقات كانت دقيقة وقاتلة ، أصيب كثير من الجنود

المصــريين قبــل أن يســتطيعوا اســتخدام ســلاحهم ، وارتفعــت صـيحات الألم والخوف من الميدان، حاول الضباط تشجيع الجنود ولكنهم لم يستمعوا لهم .

الرغبة فى الحياة ، فى البقاء ، كانت أقوى من الجميع ، القتلى والمصابون بقوا فى الميدان عندما هرب المصريون باتجاه هضبة صغيرة وجدوا ملاذا وراءها .

تنفس المدافعون عن مستوطنة « يد موردخاى » الصـعداء ، لكـن لـيس لفتـرة طويلة ، قوة مصرية أخرى هجمت فجأة من مزارع الموز ، هذه المرة تقدم الجنود بحذر أكثر ، حاولوا الهجوم واضطروا للانسحاب مرة أخـرى ، الهجـوم الثالـث لمئات الجنود الذين لم يتـأخروا فى المجـيء كـان يسـتهدف فى الأسـاس المعقـل الشمالى من الكيبوتس .

تنازل الضباط المصريون عن المواقع الأمامية فى الهجوم وهددوا بقتل كل من يحاول الإنسحاب ، وقد نفعت هذه الحيلـة هـذه المـرة ، أغـار المهـاجمون تجـاه مواقع الكيبوتس وهم يطلقون النيران بدون توقف ، عندما رأى « بنحاس مرمـور» بـأن المصــريين عـلى وشـك حصــاره نـادى رجالـه بجمـع السـلاح والـذخائر والانسحاب إلى وسط المزرعة ، هجم المصريون على المعقل الخالى ودخلـوا إلى داخله بصيحات فرح، صعد عدد منهم على السطح الأسمنتى وبدأوا فى الـرقص ، هزمنا اليهود ، صاحوا بكل قوتهم الله أكبر .

تحت ستار غطاء من الدخان بدأ جنود المشاة من الكتيبـة المصـرية الأولى ، فى التقدم تجاه الكيبوتس ، حائرين ، أطلق أفراد كيبوتس يد موردخاى النيران فى كـل اتجاه ، على أمل أن يصيبوا المهاجمين على الرغم من كل هذا .

اقترب المصريون من الجدار وبدأوا فى فكه ، لكن فى ذلـك الوقـت بالضـبط ، مثل العصا السحرية الخفية ، جاءت الرياح فى النهاية ، وفى غضون دقيقة أو اثنتـين تبدد ستار الدخان وظهر الجنود المصريون بوضوح ، مرتبكين مثلما قبض عليهم

مكشوفين علانية ،أطلق المدافعين عن يد موردخاى النيران مثل المجانين وأصابوهم من مدى قصير ، تم إلقاء القنابل اليدوية من المواقع تجاه المهاجمين ، ونشرت قذيفة هاون صغيرة بينهم عشرات القنابل .زاد عدد المصابون والقتلى المصريين بسرعة ، وعندما اتضح أن من بين القتلى قائد كبير، يوزباشى (النقيب) «محمد الموجى»، بدأ الباقون على قيد الحياة فى الهرب ، محاولين الهرب من النيران الإسرائيلية التى لاحقتهم .أثار الانسحاب الخوف أيضاً بين القتلى الذين احتلوا المعقل الجنوبى ، وأخلوه وهربوا عندما فهموا أن زملاءهم لن ينجحوا فى احتلال بقية المواقع الإسرائيلية .

مع بزوغ الفجر تم استدعاء اليوزباشى (النقيب) سعد الجمال ، قائد سرية فى الكتيبة السابعة ، لقيادة الكتيبة ليس بعيداً من يد موردخاى ، وقد حلت كتيبته محل الكتيبة الأولى بعدما تكبدت خسائر فادحة فى الهجوم على « يد موردخاى » ولم تنجح فى احتلال الكيبوتس

انتظره قائد الكتيبة فى مكتبه بفارغ الصبر ، وقال ! أنا أريد تكليفك بأهم المهام التى قمت بها أثناء حياتك ، وضع يده عى كتف الضابط البالغ من العمر ثمانية وعشرين عاماً ونظر إليه نظرة دافئة ، انت وجنودك ستقودون الهجوم الجديد على الكيبوتس ، أنا أعتمد عليك ألا تعود إلى هنا قبل أن تحتل المنطقة .

أظهرت الرواية حرص بن جوريون الشديد على التمسك بالأرض وعدم التفريط فى أى شبر منها، وخوفه من تكرار الانسحاب الذى حدث فى مستوطنة يد موردخاى فى مستوطنات أخرى .

سمع بن جوريون من مكتبه بغضب وخوف التقرير حول ترك « موردخاى » بواسطة المدافعين عنه ، الوضع فى الجبهات المختلفة كان خطيراً ، فى الشمال هاجم السوريون مستوطنة عمق هيردن ، والعراقيون فى الجسر ، فى لطرون أحبط الفيلق الأردنى الهجوم الذى كان يستهدف شق الطريق إلى القدس ، كانت

مستوطنة « يد موردخاى » هى المستوطنة الإسرائيلية الأولى التى تـم مغادرتهـا فى أعقاب الهجوم المصرى ، وبن جوريون خاف أيضا من انسـحاب المـدافعين فى مستوطنات أخرى ،كتب فى يومياته :

هربت مستوطنة يد موردخاى ولاتريد العودة على الرغم من الأوامر ، أعطيـت تعليمات بإعطائهم دعماً وإجبارهم على العودة .

سارت هيئتان آدميتان بسـرعة وحـرص فى حقـول كيبـوتس جفـر – عـم عبـر خطوط مواقع الجيش المصرى فى ليلة ٢٢ مايو ، دافيد مزراحـى وعـزرا حـورين كانا أعضاء القسم العربى فى البالماح ، من قدامى المستعربين ، خبراء فى أسـاليب اللغة العربية ولهجاتها المختلفـة ، فى الماضـى خرجـوا أكثـر مـن مـرة متنكـرين كالعرب ، لتنفيذ مهام مخابراتية وعمليات تدمير فى المسـتوطنات العربيـة المعاديـة ، زعم الادعاء الرسمى أن مهمتهم الحالية ، فى مهمة شعبة المخابرات للقيـادة العامـة ، كانت التسلل بين صفوف العدو والتوصل إلى معلومات كثيرة بقدر الإمكـان عـن جيش الغزو المصرى .

يشير الكاتب فى الفقرة التالية إلى اتبـاع سـلطات التحقيـق المصـرية فى غـزة لأساليب وحشية وطرق تعذيب من أجل انتزاع الاعترافات من المتهمين .

كليهما أسمر الشعر وصاحب بشرة سمراء ، ارتدوا الجلاليب العربية ونجحوا فى عبور الخطوط المصرية الأمامية دون أن ينتبه لهم أحد .

ولكن ساء حظهم فور بزوغ الفجر ، أوقفـتهم دوريـة مصـرية وهمـا يتجـولان بجوار نقطة تجمع عسكرية وأرسلتهم للتحقيق فى غزة . قام المحققون بتعـذيبهم بوحشـية حتـى أخرجـوا مـن فمهـم اعتـراف بـأنهم يهـود ، مبعوثـو المخـابرات الإسرائيلية ، ولكن هذا لم يكن كافيا ، بعد سلسلة من التعذيب الإضافية أجبروهم على كتابة اعتراف بأنهم أرسلوا من أجل تسميم بئر المياه فى غزة .

خارج المستوطنات والقرى التى تقع جنوب تل أبيب ظهرت فى غداة اليوم التالى منشورات تدعو إلى التجنيد ، أقيمت مراكز التجنيد فى كل مستوطنة ، فى غضون أربع وعشرين ساعة تم تسجيل أكثر من ثلاثة آلاف رجل للعمل ، بعضهم من العاملين فى المخابز ، من العاملين في منتجات الألبان والبيض ، وكان يجب إعادتهم إلى منازلهم بالقوة حتى لايتضرر نمط الحياة .

فى يوم ٢٥ مايو بدأ العمل بكل قوة : يزهار سميلانسكى (س. يزهار) مدرس وأديب من رحوفوت ، ضابط مخابرات فى اللواء جفعاتى ، وقف متعجباً أمام آلاف الرجال الذين هجموا فى ظلام الليل كنمل يعمل فى الطرق المتوجهة من رحوفوت جنوباً وغرب أيسدور ، كتب فى مذكرته الكلمات التالية ، التى فى وقت متأخر جداً خرجت إلى النور فى كتاب قصصه « تسداديم » (مقتطفات) ، هذا قاتم جداً مظلم جداً ، لايشعلون الأنوار ، لكن الظلام ليس الشيء الصعب ، الشيء الصعب هو هم ، المصريون ، هم قادمون وتقريبا لاشيء يمنعهم ومن هنا حتى تل أبيب ، الكل متاح .

أحصى مجموعة ضباط مصريون السلاح القليل الذى جمع من رجال المستوطنة ، كان هناك عدة بنادق، رشاش واحد، بنادق ستانيم قلائل وقاذف بيات ، خرج من إجمالى العملية ، فى داخل قلبهم تعجبوا من أن الجيش المصرى احتاج إلى قوات مشاة ، مدرعات، مدفعية وطائرات حتى يتغلب على عدد قليل من الرجال وقلة من السلاح .

استعد نافخوا الأبواق فى الكتيبة المصرية فى الصف ونفخوا فى الأبواق، الأسرى نقلوا على الشاحنات وسافروا إلى المجدل ، حاول الجمهور الذى رأهم فى الخارج القيام بهجوم عليهم ، لكن الجنود بدأوا فى إطلاق لنيران فى الجو، ومنعوا أية محاولة للاقتراب من الشاحنات ، الأسرى نقلوا إلى محطة الشرطة ، هناك قام بتصويرهم مصورون صحفيون مصريون ، وبعد ذلك أخذوا إلى

العريش،« دفورا أفشتين » أصيبت إصابة بالغة فى بطنها ، أبقوها فى شرطة مجدل وتوفيت هناك من إصابتها .

من العريش نقل الأسرى فى القطار إلى القاهرة ، يرافقهم جنود مصريون مسلحون ، أكثروا من ضربهم وشتمهم ، الدكتور « فرلموتر » طبيب الكيبوتس وبخهم ، ردوا عليه بضربات مقابض البنادق التى كسرت ضلوعه وضربوا رأسه حتى نزف جسمه كله بالدم .

أثناء الحرب سيطر جنود قائد السرية « كراوس » على موقع مدفعجى من طراز « فيكرس » الثقيل . « كراوس » أمر المدفعجى المصرى بتوجيه مدفعه نحو المصريين ، الجندى رفض ، فقام « كراوس » بغرزه بخنجر ، وكان الجندى مثل من ركبه عفريت وبدأ فى إطلاق النار نحو زملائه .

على الرغم من عدد المصابين المتزايد استمرت الحرب بلا توقف ، فى جزء من المواقع أظهر المصريون معارضة قوية وفقط بعدما تم استدعاء الاحتياط لقائد السرية « بن بارثون » بدأ التشكيل المصرى فى الانهيار ، الواحد تلو الآخر بدأ سيطر جنود جفعاتى على المواقع المصرية وقاموا بتطهيرها ، قائد السرية شلومو (تسيتس) ليندنر ، أظهر فى الموقع الذى تم احتلاله مركبات كثيرة ، معدات وملابس جديدة بكثرة ، هو أزال ملابسه البالية وارتدى ملابس عقيد مصرى وعندما استمر فى تمشيط الموقع ، أكتشف لدهشته فى احد المواقع فتاة ترتعد من الخوف ، نادته عندما أسرعت اليه « ستنقذنى » واثقة أنه ضابط مصرى ، كشف تسيتس إنها عاهرة أتت من القاهرة لتسلية وقت الضباط فى الموقع .

الجهود اليهودية للحصول على السلاح والطائرات أثناء الحرب

فى إطار كبير من السرية غمر مجيء طائرات « المسرشميدتيم » الأوائل للبلاد ، فى صباح ٢٩ مايو ، تم تركيب الطائرات بسرعة وأخفيت فى كراجات المطارات

فى تل نوف حتى لاتكتشفهم طائرات العدو ، تمنى الجميع أن ظهور الطـائرات فى ميدان القتال ستفاجئ الجيوش العربية وتزعزع ثقتهم .

فى مبنى القيادة فى تل نوف تم إعداد مأدبة متواضعة فى يوم وصـول الطـائرات ، حضر فيهـا أيضـا الطيـارون الإسـرائيليون والأجانـب ، رفـع قائـد سـلاح الجـو «أهارون رمز» كأس من الخمر بمناسبة الإنجاز ، بعد ذلك قال بصـوت احتفـالى : بهذا أنا أعلن عن إقامة سرب القتال الأول فى جيش الدفاع ، سرب طائرات ١٠١ .

كانت الخطة الأصلية هى إرسال طائرات المسرشـميدتيم فى نفـس اليـوم مـن أجل تفجير طائرات القتال والنقل المصرية المستقرة فى مطار العريش ، لقـد كـان المطار الذى انطلقـت منـه الطـائرات المصـرية لتفجيـر تـل أبيـب ومسـتوطنات الجنوب على طول مسار تقدم الجيش المصرى .

وفقاً لتقدير المخابرات كان فى مطار العريش بضع عشرات مـن طـائرات القتـال ، القصف والنقل ، قائد سلاح الجو كان واثقاً أن المصـريين لايفكـرون فى احتمـال أن يتم قصف المطار من الجو ، لكن كان للقيادة العامة نظام أولويات آخر .

على ضوء قرص الشمس الأحمر، الذى بدأ فى الغـروب فى حافـة بحـر أسـدود، رأى الطيارون الصف المصرى الرابض على الطريق، مطمـئن وهـادئ عـلى طـول عدة كيلومترات ، على حسب تقدير « لنـرط »، عـدة مئـات مـن المركبـات وآلاف الجنود الذين توقفوا من جنوب الجسر على الطريق الذى تم تفجيره قبل ذلك بيوم بواسطة خبراء تفجير « جفعاتى » ، أطلق جنـود اللـواء عـلى هـذا الجسـر الاسـم الرمزى «عد هالوم » (حتى هنا) .

مرت ثوانى قليلة سمعت فيها فقط أصوات المراوح ، تمنى « عيـزر وايزمـان » أن يكون المصريون على غرة من أجل عدم تشغيل الدفاع الجوى ، وحقًاً بعد رؤية الطائرات الاسرائيلية ، ساد الهلع للحظة فى الصف المصرى ، لكن رابطة الجأش ظهرت أسرع مـن المتوقـع ، أخـذ الجنـود مواقـع عـلى جـانبى الطريـق ، بـدأت

السيارات المدرعة والدبابات فى الانتشار وبدأت المدافع المضادة للطائرات فى إطلاق النيران .

النيران المصرية كانت قوية جداً، بدا أن كل فوهات المدافع المضادة للطائرات والرشاشات الثقيلة أطلقت تجاه الأربع طائرات المسرشميدتيم ، أسودت السماء من سحب الدخان الكثيفة ، وبالنسبة إلى لنرط الغزير الخبرة، لم يتذكر نيران جهنم قوية بهذه الدرجة فى أية مرة من طلعاته القتالية فى الحرب العالمية، من الأرض تابع أبا كوفنر مع شمعون أفيدان أحداث الهجوم ، صرخ بفزع : إلهى القدير كم عدد المدافع التى لديهم .

الهجوم المفاجئ لطائرات المسرشميدتيم على قوة الغزو المصرية فى أشدود وتدمير جسر « عد هالوم » على طريق الساحل قبل ذلك زعزع من مقدار الثقة الذاتية للمصريين ، فى قيادة اللواء المصرى الثانى، فى أشدود ظهرت علامات خيبة الأمل على وجوه ضباط القيادة ، عندما أبلغ قائد الكتيبة السادسة « محمد نجيب»، و نائب قائد سلاح الغزو « الموجى » ، عن التعليمات الأخيرة التى تلقاها من القائد .

لقد وقف أمام رجاله منتصب القامة ومنضبط النفس ، لقد كان أسمر البشرة منذ الولادة ، لكن بدا أكثر سمرة بعدما تعرض للشمس ساعات كثيرة فى أيام الحرب الطويلة ، حالته المعنوية كانت منخفضة مثل حالة قادة القيادة العامة المصرية ،التقارير التى وصلت من الجبهات المختلفة فى إسرائيل كانت محزنة جداً، العراقيون، الأردنيون، والسوريون توقفوا قبل أن ينجحوا فى تحقيق أهدافهم، الجليل تبقى فى أيدى اليهود، حيفا، القدس، اللد والرملة بقوا أيضا فى أيديهم .

شعر المصريون بغضب شديد تجاه ملك الأردن «عبد الله » الذى لم يحرك ساكناً من أجل مساعدتهم فى الهجوم على رامات راحيل فى ناحية القدس، كان من

الواضح للمصريين أن عبد الله يخشى من احتمال سيطرتهم على المدينة، رفع العلم المصرى على مواقعها ، ويحبطو خطته من أجل الاحتلال، نجيب أبلغ عن ذلك لقادته .

بشعور من اقتراب الكارثة نصب اللواء جفعاتى أمام ٢٣٠٠ جندياً مصرياً المتحصنين فى أشدود حوالى ١١٠٠ من مقاتلى لواء الجنوب ، الذين كونوا كل القوة المتاح تجنيدها من أجل الهجوم .

الخطة : بطاريات مدافع وقذائف هاون ستقصف موقع الدفاع المصرى فى أشدود ، وبعد ذلك سيهجم عليه ٦٠٠ جندى من الجنوب، ٣٠٠ من الشمال، و٢٠٠ من الشرق، بضع عشرات من الجنود سيغلقوا الطريق من المجدل إلى أشدود من أجل منع وصول الدعم، وحدة الغلق من المقرر أن يتم تدبيرها من رجال كيبوتس نيتسيم .

بعد ذلك مر « نجيب » مع مجموعة من ضباطه بالمواقع التى تم حفرها فى شمال مدينة أشدود ومدح صمود الجنود ، لقد سمع أيضاً أشياء لم يتوقع سماعها، اشتكى الجنود من ذخائر كثيرة معيبة ، أبلغ مطلقو القذائف عن انكسار مقدمات مدافع الهاون بعد إطلاق عدة قذائف ، نجيب استدعى ضابط تسليح اللواء .

« هل علم أن جزء من المعدات التى أرسلوها لنا لم تكن مناسبة للاستخدام .

احمر وجه الضابط . «سمعت أنباء هنا وهناك ، لكن لم أفكر أنها جادة، قال « كل الأسلحة وصلت فى صناديق مختومة من المخازن المصرية » .

دور الفيلق الأردنى فى الحرب :

فى صباح يوم ٤ يونيو خرج الأثرى البروفيسور « اليعازر سوكنيك » من منزله فى القدس ، عندما كان يحمل معه صندوق خشبى يحتوى على ثلاث لفائف مخبأة اشتراها فى بيت لحم ، لقد كان شاحبا وممتلئاً بالمخاوف، قبل وقت ما سقطت

المدينة القديمة فى أيدى الفيلق ومحاولة اختراق الحصار على القدس فى لطرون تبددت أمام قوات أردنية متفوقة ، سكونيك خاف من ازدياد الهجوم على العاصمة، منزله الذى حفظ فيه الوثائق الغالية القيمة ، لم يعد مكاناً آمناً ، أصوات أنفجارات القذائف وصرير الطلقات رافقته عندما دخل إلى بنك أنجلو فلسطينى قومبانى فى وسط المدينة وأخفى اللفائف فى الخزانة التى كانت موجودة فى السرداب .

فى ظهيرة نفس اليوم ظهر سرب بحرى مصرى يقترب من سواحل تل أبيب ، فى مقدمته تحركت سفينة المدافع « الأميرة فوزية » ، وعلى جانبيها سفن أقل حجماً منها ، كانت النية نحو الرسو فى تل أبيب ، بافتراض أن هذا العمل سيحرك جيش الدفاع لوضع وحدات عسكرية من الجبهة فى أشدود والتخفيف بذلك من الضغط على المصريين ، سفينة سلاح البحر « إيلات » لاحظتهم عندما كانوا على مقربة من مصب وادى روفين ، السرب المصرى نزل تجاه السفينة الإسرائيلية وأصابها ، قائد إيلات « يوسف الموج » طلب مساعدة جوية فورية .

الطائرة التى حلقت فوق تل أبيب كانت على وشك إلقاء شحنة قنابلها الأولى على ميدان ديزنجوف فى شمال المدينة ، لكن فى ذلك الوقت لاحظ الطيار المصرى شيئاً غير متوقعاً : طائرة مسرشميدتيم إسرائيلية تقترب منه بسرعة .

دكوتا كانت ليست طائرة قتالية وكان واضحاً بالنسبة إلى قائدها المصرى أنه لايستطيع الدخول فى مواجهة مع الطيار الاسرائيلى فى قتال المدافع ، كان لديه خيار واحد هو الهروب فى داخل السحب التى فوقه والاختباء بها حتى يفقد أثره الطيار الاسرائيلى .

لكن قائد المسرشميدتيم خمن نواياه ، وفتح نيران مدافعه فى اللحظة التى بدأت فيها طائرة الدكاتوا فى الارتفاع بزاوية حادة .لم تكن أمام المصرى فرصة، ارتفع الدخان من طائرته وهبطت وهى تحترق إلى داخل البحر .

أثر سقوط مستوطنة نيتسانيم داخل المجتمع المصرى

الفرحة التى انتشرت فى مصر عندما وصلت الأنباء بسقوط نيتسانيم تم تزكيتها بدون توقف بواسطة الصحف والراديو، الأنباء عن الانتصار نشرت فى العناوين الرئيسية ، صحف متحمسة كتبت عن الانتصار العظيم لقواتنا ، واستشهدت بمصادر فى القيادة العامة التى أعلنت أن الجيش المصرى أثبت فعاليته والآن سيأتى دور المستوطنات الجنوبية الأخرى لإسرائيل .

الصورة الرسمية للملك بالملابس العسكرية فى شعبة عمليات القيادة العامة المصرية ، نشرت فى جميع الصحف فى ملحق تعليقات ، التى وفقاً لها يتم اطلاع فاروق صباح مساء حول مستوى تقدم جيشه فى فلسطين .

سافرت شخصيات فى القيادة المصرية برفقة حاشية كبيرة من ضباط الجيش والمصورين إلى نيتسانيم المحتلة ، هناك أعاد من أجلهم قائد قوات الغزو الموجى عملية القتال ، وقادته الكبار الدين لم يشتركوا فى القتال نفسه، أعادوا أمام الكاميرات، مجموعة الأوامر، عمليات إطلاق النيران بالمدافع والتقدم عبر العدو المتخيل بمدرعات سريعة ، أفلام الدعاية حول القتال فى نيتسانيم تم بثها فى دور السينما فى مصر .

على خلاف جو الانتصار الذى ألهب مشاعر المصريين فى أعقاب احتلال نيتسانيم، وصد الهجوم الإسرائيلى على أشدود، ساد فى الجانب لاسرائيلى مشاعر قاسية، جنود فى وحدات الجنوب هوجموا بالخوف واليأس ، هرب عدد قليل وحداتهم ، وأطباء الكتيبة اضطروا إلى إعطاء حبوب تهدئة لهؤلاء الذين أصيبوا بالاكتئاب .

فى غداة اليوم التالى لخضوع نيتسانيم أرسل أفيدان سرية فى الكتيبة ٥١ لاحتلال هضبة ٦٩ ، المطلة على نيتسانيم، من أجل وقف تقدم المصريين عبر بئر طوفيا .

الهضبة التى وقف عليها ثلاثة من أبراج المراقبة ، وهى جزء من موقع عسكرى بريطانى مهجور ، كانت صغيرة جدا بالكاد وجد بها مكان لجنود السرية ب التى هاجموها ، لمفاجأة الجميع ، اتضح أن المصريين لم يكونوا هناك نهائيا، طوال الليل انشغل جنود جفعاتى بحفر المواقع وبناء التحصينات ، يعتقدون أنهم دقوا وتدا فى هذه النقطة الهامة ونجحوا فى إعادة قليل من الثقة بالنفس إلى اللواء التى فقدها .

الاشارة إلى السلبيات فى الجيش الصهيونى

من مميزات الأديب رام أورين أنه لم يسر على طريق معظم الأدباء العبريين الذين يبالغون فى وصف قوة الجندى الاسرائيلى، وأنما أظهر الأديب بعض النواحى السلبية داخل الجيش الاسرائيلى ، مما يدل على أنه يتبع أسلوب الحيادية إلى حد ما ، ولايركز فقط على النواحى الإيجابية فى الجيش اليهودى مثلما فعل كثيرٌ من الأدباء العبريين فى الأدب العبرى.

قائد الكتيبة التى استقرت فى هضبة ٦٩ ، شعربأن السلطة تنتقل بسرعة إلى أيدى المصريين ، أصيب بالصدمة ، فقد صوابه ، ترك موقعه وهرب من المكان وبعد رؤية القائد يهرب بدأ جنوده أيضا فى الهرب ، طاردهم المصريون وهم يطلقون النار ويسقطون ضحايا الواحد تلو الآخر ، طاردت دبابة مصرية أربعة جنود حملوا قائد سرية مصاب اصابة خطيرة ، طلقات مدفع الدبابة قتلت اثنان واضطر الاثنان الآخرون اثناء هروبهم ان يبقوا القائد فى الميدان .

حياة الأسر كانت استمراراً للذل والإهانة ، أخذ المرضى بواسطة الممرض إلى طبيب فى وسط المدينة، عندما نزلوا من السيارة العسكرية أجبرهم الممرض على الرقص أمام الجماهير التى بصقت عليهم باحتقار ، الأسير« شالوم زامير » التى كانت زوجته « تسيلا »محبوسة فى سجن بالمدينة ، نجح بواسطة بطاقات تم تهريبها اليها ومنها فى تنسيق زيارة مشتركة معها عند الطبيب ، هما التقيا فى غرفة الانتظار ، تعانقا بحرارة حتى فرق بينهم الممرض .

الإشارة إلى وجود حرب نفسية ضد اليهود

ذات مرة وقع فى أيدى الأسرى نسخة من جريدة الأهرام المصرية ، فوجئ أريه بن مناحم فى كشف صورة فى الصفحة الأولى صورة لرجال مسنين مقوسى الظهر واقفين فى طابور بجوار المخبز فى تل أبيب ، ذكر « بن مناحم » أنه نفسه صور هذه الصورة – فى جيتو فيلنا الذى كان محاصراً بواسطة النازيين ، جزء من الصور الكثيرة ، التى صورها فى الخفاء فى الجيتو ، جلبها معه عندما وصل إلى إسرائيل .

بعد ذلك بأيام قليلة دخل « محمد نجيب » إلى مكتب « المواوى » فى غزة ، كانت بادية على وجهه علامات التذمر، لم يكن راضياً عن خطط المواوى للقيام بهجوم آخر فى النقب ، وكعادته لم يخف عن قائده هذا الرأى ، قدر نجيب أنه فى أعقاب الهزيمتين فى النقب يجب مهاجمة الكيبوتس بقوات كبيرة عدة أضعاف ، حذر نجيب المواوى « هجومك سيفشل » ، ياللأسف على جنودنا الذين سيموتون هباءاً ،دخن المواوى سيجارته حتى النهاية، بعد ذلك قال بلامبالاة : أنت هنا تخفض من حالتنا المعنوية ، لذلك سأبعدك من القيادة على هذا الهجوم .

لكن « المواوى » وجد أن « نجيب » كان محقاً، لقد قوبل الهجوم الجديد على النقب بمقاومة قوية من جانب المدافعين ، الذين حاربوا بإستماتة للدفاع عن (وطنهم) ، وبعد قتال استمر أربع ساعات ، بدأ الانسحاب المصرى الخائف ، استدعى « المواوى » نجيب وآمره بالانسحاب .

فى جلسة القيادة العامة التى تمت بعد ذلك اشتكى نجيب من العدد الكبير للخسائر فى الهجوم الفاشل ، قاطع « المواوى » كلامه بغضب .

أنت تتعمد المبالغة ، أنت تخلق الفوصى هنا .

اخجل من نفسك ، أصيب ضباط القيادة بالصمت ، وساد فى الغرفة سكون

الموت .

وقف نجيب وقال للمواوى: أعتذر ، أنا غير مستعد لإكمال واجباتى اليومية بعدما قلته .

المواوى الذى أوصى بعد القتال فى مستوطنة نيتسانيم بترقية نجيب فى الرتبة ومنحه وسام البطولة « نجمة الملك » رفض الاعتذار .

غادر« نجيب » الغرفة ، دخل إلى غرفته وأرسل إلى قائد القوات المصرية طلباً رسمياً للاعتذار . المواوى خرج عن شعوره ، وأصدر تعليمات إلى نجيب للمثول فى القيادة العامة بالقاهرة ، وأرسل برقية إلى هناك طالب فيها محاكمته بتهمة عدم الطاعة ، جمع نجيب حاجياته وسافر إلى القاهرة ، ولم يتم محاكمته ، لكنه أيضا لم يعد إلى ميدان القتال ، وعلى الرغم من هذا عُين كمرشد فى مدرسة الضباط .

على الرغم من الثغرات الأولية التى ظهرت فى الجيش المصرى الذى غزا إسرائيل ، لم يسرع فى رفع يديه والهروب من ميدان القتال ، كانت له إخفاقات ، لكن كانت له أيضا انتصارات ، وقد دعمت الحالة المعنوية وبعثت الأمل فى أن الانتصار مازال ممكنا ، الحالة المعنوية فى داخل جنود « جفعاتى » كانت على العكس من ذلك ، فى مستوى متدهور ، الهجوم الفاشل على أشدود ، المحاولة الفاشلة لاحتلال نيتسانيم من جديد والانسحاب من هضبة ٦٩ كانت كافية لتعكير الجو فى اللواء .

فى نفس الليلة ١٦ اكتوبر ، خرج جنود السرية ب سوياً مع الكتيبة كلها لمهاجمة « الثكنات العسكرية فى تسومت ، الهجوم على النقاط العسكرية قوبل كالمتوقع بمعارضة قوية ، الجنود المصريون أمطروا النيران من داخل مواقع مجهزة جيداً . كانت لديهم خبرة فى المعارك الدفاعية ، استعانوا بالمدافع والطائرات القتالية وكانوا مصممين على صد الهجمات الإسرائيلية .

مقتل الكونت برنادوت

جلبت الليالى معها إلى النقب رياح الخريف المقترب ، وخصص الجنود فى كلتا الجبهتين ساعات النهار فى تحصين مواقعهم ، كانت هناك فرصة معقولة إنه إذا اضطر مجلس الأمن كلا الطرفين في وضع سلاحه ، سيبقى الوضع فى المنطقة كخريطة سياسية جديدة . معزى الأمر أن النقب بمستوطناته اليهودية سيبقى فى أيدى المصريين بشكل عملى .

مقتل برنادوت لم يضع نهاية لخطة التوزيع الجديد للأرض ومنح النقب للمصريين « رالف بنتس » مبعوث الأمم المتحدة الذى عين بدلا من « برنادوت » تعهد بالسير فى أعقاب سابقه ، ويقوم بتنفيذ الخطة فى إسرائيل كان قادة السلطة مصممين على المعارضة الشديدة للتوزيع الجديد ، وبينما تصرفت مصر كأنما خطة برنادوت تم التأشير عليها والتوقيع عليها وأن النقب كله يتبعها .

المخاوف من أن يتم فصل النقب بشكل نهائى عن دولة إسرائيل أنتج قلقاً عميقاً فى القيادة العامة ، « يجآل آلون » عُين فى منصب قائد الجبهة الجنوبية ، للأسف العميق من جانب «شمعون أفيدان » القائد الكبير فى الميدان الذى اعتقد أن هذا المنصب مخصص له .

« آلون » كان على عكس « أفيدان » : رجل ودود، يربت على الكتف ، كثير الابتسام . اعتقدت القيادة العامة أنه مناسب للمهام الجريئة ، للمخاطر ، التى لم يكن يأخذها أفيدان الخائف على رجاله .

الهدنة التى تحددت بواسطة الأمم المتحدة عرقلت إعطاء الأمر بالخروج إلى الهجوم ، وبحث« يجآل آلون » عن سبب مناسب لانتهاك الهدنة ، لهذا الهدف تم تنظيم قافلة كان من المقرر أن تنقل الإمداد إلى النقب المحاصر ، لكن فى حقيقة الأمر كانت تهدف إلى استفزاز المصريين لإطلاق النار .

فى القيادة التى خرجت تحت قيادة شلومو (تسيتس) ليندنر احتوت أيضاً على شاحنات مشحونة وقود ، كما هو متوقع فتح المصريون النار ، ألسنة اللهب التى اشتعلت فى شاحنات الوقود ظهرت من بعيد ، ولم يكن هناك شك فى أن المصريين هم الذين انتهكوا الهدنة .

يشوه المؤلف فى هذه الفقرة صورة الجندى المصرى ، حيث يرسم لنا صورة إنسان جبان لاهم له ، سوى الحفاظ على حياته والعودة الى منزله وأهله .

رسم صورة سيئة للجندى المصرى وانه إنسان جبان أثناء الحرب

قائد الفصيلة ، تسيفى (هارى) كرفيتسكى، رجل المارينز السابق الذى تطوع فى جيش الدفاع ، أرسل للسيطرة على النقطة العسكرية الشمالية ، لكن النقطة الشمالية كانت قريبة جداً وتم إطلاق النار من هناك خفيفة نسبياً ، وفقا لرأيه الشخصى ، قرر الهجوم عليها أولاً ، فى نهاية دقائق قليلة وجد المهاجمون أنفسهم يحاربون فى داخل قنوات الاتصال .

أحد الجنود ، خياطاً من تل أبيب ، يرتدى نظارة وضعيف الجسم ، احتل بنفسه موقع مصرى محصناً ، وبدأ المصريون فى الهرب ، خلفوا وراءهم أسلحة وذخائر ليست بقليلة ولكن أيضاً شاحنتين محملتين بملابس شتاء جديدة ، جنود السرية (ب) ألقوا بملابسهم القديمة وارتدوا ملابس المصريين .

فى الجهة المقابلة يقوم المؤلف برسم صورة بطولية للجنود اليهود ، وأنهم شجعان ويقاتلون بإستماتة واستبسال .

استمر القتال ساعات طويلة وعدد الخسائر كان كبيراً فى كلا الطرفين ، أيضاً فى اللحظات الصعبة ، أيضاً فى الوقت الذى سقط فيه الجنود الواحد تلو الآخر ، استمر زملاؤهم فى القتال باستماتة، سرية يوش جولدبرج (هرفز)، التى كانت تحتوى على مهاجرين جدد ومتطوعين كثر من خارج البلاد ، هاجمت إحدى

النقاط العسكرية فى تسومت من خلال أوامر باليديش .هذه كانت التجربة القتالية الأولى لكثير من جنود يوش وهم اجتازوا الاختبار ببطولة ، على النقاط العسكرية تناثرت فى حالة من الفوضى جثث الجنود الإسرائيليين والمصريين .

الهزيمة التى منى بها الجيش المصرى فى « النقاط العسكرية بتسومت » أثارت مخاوف قادته بأن الخطط لفصل النقب ستنهار مثل بنيان من الورق إذا لم يسرعوا فى التعهد بأن النصر سيكون حليفهم فى المعارك الحاسمة القادمة ، حوالى ٣ كيلومترات جنوب تسومت ، حول قرية حوليقات ، امتدت على مدى منطقة واسعة ستة مواقع مصرية ، كان من السهل على المصريين التخمين أن هذا الهدف الإسرائيلى القادم ، وكانوا مصممين فى صد المهاجمين هذه المرة وتوجيه لهم خسائر لايعرفون حجمها ، كل المواقع سيتم دعمها فوراً بقوات إضافية ، خنادق مصبوبة بالخراسنة أخفيت فى التراب ، قنوات اتصال عمقت حتى ارتفاع قامة الانسان ، تم تشكيل مواقع إطلاق نار لتأمين الأسلاك الشائكة ، وتم زرع الكثير من الألغام بين الأسلاك الشائكة ، والعديد من الألغام للمشاة وألغام مضادة للمركبات ، مر القادة بين جنودهم ووعوهم بالنصر .

كانت المشكلة تكمن فى عدم وجود أية فكرة لدى الجيش الاسرائيلى حول الاستعداد المصرى وخططه فى الحليقات ، أفضل جنود الاستطلاع فى جفعاتى تحت قيادة قائد السرية « أفيف برزيلى » ، تم إرسالهم لجمع تفاصيل حول مواقع العدو ، كتيبتين من جفعاتى ، بطاريات مدفعية ودبابتين من طراز « كروميل » التى سرقت بواسطة هاربين من الخدمة البريطانية ، خصصت من أجل تنفيذ الهجوم فى يوم ١٨ أكتوبر .

فى أكتوبر ١٩٤٨ ، عندما بدأت أمطار الشتاء الأولى فى غسل بقع دم المحاربين اليهود والعرب من فوق أراضى الجنوب ، كان من الواضح أن المصريين يقومون بحرب إبادة لافائدة منها .

تحسن الوضع الصهيونى فى الحرب :

وكلما مرت الأيام، انقلبت الأمور ، بعدما وجد مبعوثو الشراء فى الولايات المتحدة صعوبة فى الاستمرار فى العمل بسبب الحظر، انتقل مركز العمل فى أوروبا، رجل الشراء « يهودا أرزى» أرسل إلى هناك ونجح فى عمل مالم يستطع عمله فى الولايات المتحدة ، السلاح والمعدات تم شرائها فى بلجيكا ، فى فرنسا، فى سويسرا وفى إيطاليا ، التى رجحت اعتباراتهم التجارية والسياسية كفة الميزان، شحنات السلاح والطائرات التى وصلت إلى البلاد الواحدة تلو الآخرى، تم ضخها إلى جيش الدفاع وزادت من قوته ، الجيوش السورية ، الأردنية والعراقية ، التى حاربت بدون تنسيق فيما بينهم ، أحاقت بهم الهزيمة واضطروا إلى التنازل عن احتلال صفد وحيفا، نتانيا والقدس، طائرات سلاح الجو قصفت عمان ودمشق وألقت قنابل بجوار قصر فاروق فى القاهرة .

بدأ المواطنون الخائفون فى الهرب إلى خارج المدن العربية خوفاً من استمرار قصف القنابل من الجو ، أرسل الجيش الاسرائيلى إلى الجبهة الجنوبية قوات تدعيم من جميع أجزاء البلاد ، من أجل طرد الجيش المصرى فيما وراء الحدود الدولية .

تم إعداد هجمات « جفعاتى » فى نفس الوقت على ثكنات « تسومت » العسكرية الأساسية ، السرية ب ، هاجمت على إحدى المواقع منهم بقوة نيران أصغر من المخطط ، مدفعان تشيكى الصنع من طراز « بزه » ، اللذان كانا مقررين أن يتم تسليمهما إلى السرية عشية القتال ، لم تصل ، لكن بعد ساعات قليلة من بدء القتال اخذ الجنود فى الأسر مدفعجى مصرى ، المصرى ارتعد من الخوف وطلب بصوت باكى ان يتعهدوا له بالعودة إلى المنزل بسلام وإلى زوجته وأولاده ، جنود السرية ب طلبوا فى المقابل أن يعلمهم طريقة تشغيل مدفع « الفيكرس » وهو استجاب فورا .

فى الوقت الذى قامت فيه قوات من سلاح المشاة والمدرعات بغرس أسافين فى قلب القوة المصرية بهدف إضعاف قواتها، قصفت طائرات إسرائيلية فى ١٥ من أكتوبر التجمعات المصرية وفى نفس اليوم ، مع غسق الشمس ، فاجأوا سلاح الجو المصرى عندما هاجموا المطار المزدحم فى العريش ، حيرة وخوف سادت فى المطار،نقلت سيارات الاسعاف المصابين ، أوامر متعارضة حملت فى الجو عمود دخان، وعندما وصل الهجوم الاسرائيلى إلى نهايته ، تبقى على الطرق أعداداً كبيرة من الطائرات الحربية والنقل المصرية محطمة إلى شظايا .

أيضا سلاح الجو اشترك فى المعركة ، فى ليلة مظلمة ، فى الوقت الذى انتشرت فيه أمواج البحر بضجة وغضب إلى رصيف ميناء حيفا، اقتربت شاحنة عسكرية من الرصيف ، الذى كان مربوطاً فيه عدد من قوارب سلاح البحرية وسفينة إنزال واحدة قديمة ، نزل من الشاحنة ٢٥ جندياً، هم كانوا على وشك الصعود على السفينة لكن سلاح البحرية لسبب ما لم يسمح لهم بالإبحار، مرت ساعاتان غاليتان حتى تم إحضار طاقم بسرعة ، الذى كانت هذه هى المرة الأولى له ليقود سفينة .

فى قيادة القوات المصرية فى غزة تعمق الشعور بالإحباط ، الجنود المصريون تهامسوا فى مجموعات وتحدثوا فى خوف عن تقدم الجيش الاسرائيلى ، وعن الاحتلال السريع لبئر سبع ، لم يتحدث أحد ثانية عن احتلال تل - أبيب بواسطة الجيش المصرى وعن فصل النقب ، هم رغبوا فى العودة إلى الوطن بسلام .

تم إقالة قائد القوة المصرية « أحمد على المواوى » ، وتم تعيين « أحمد فؤاد صادق » ، جمع ضباط قيادته فى جلسة عاجلة فى مكتبه ، وخيم جو من الحزن هناك ، بدا صادق متعباً ، ولم ينم منذ يومين ، ولم يحلق وتقريباً لم يأكل ، الكتائب المسئول عنها تكبدت خسائر فى ميدان القتال .

فى صباح غائم وبارد فى نهاية أكتوبر ظهرت مئات الشاحنات ، المدافع ،

الدبابات ، المدرعات تغادر المواقع المصرية وتتحرك بسرعة ناحية الجنوب ، فى مواقع المراقبة لجفعاتى تابعت طوال اليوم القوافل المصرية ، فى غداة اليوم التالى تم إرسال سيارات الجيب الخاصة « بثعالب شمشون » لفحص المناطق التى تم مغادرتها ، هم وجدوا فى المواقع الخالية وفرة من حقائب القنابل وطلقات البنادق والرشاشات .

من أجل منع المصريين من السيطرة على مواقع جديدة وبهدف طردهم تماماً فى طريق العودة إلى بلادهم ، قام جيش الدفاع الاسرائيلى فى ٢٢ من ديسمبر بالهجوم الأكبر من كل الهجمات السابقة ، تحت قيادة « يجآل آلون » ، تم القيام بعملية «حوريف » التى اشتركت فيها قوات كبيرة بشكل خاص .

نفذت طائرات سلاح الجو بمالا يقل عن ٢٤٣ طلعة جوية، وألقت على التجمعات المصرية مئات الأطنان من القنابل ، سفن سلاح البحرية قصفت قوات العدو فى مناطق الساحل ، وحدات المشاة والمدرعات عبرت الحدود المصرية ، احتلت قواعد عسكرية أساسية فى سيناء ، وتسببت فى إصدار إنذار بريطانى طالب بالانسحاب الفورى من المناطق المصرية ، عملية حوريف ستستمر حتى بداية يناير ١٩٤٩، وحينئذ سيطلب المصريون إجراء مفاوضات من أجل الهدنة .

فى قنوات الاتصال وفى المواقع المحصنة لـ« جيب الفالوجا » وضع الجنود سلاحهم وقرأوا المنشورات ، روحهم المعنوية كانت منخفضة ، انتصار الإسرائيليين فى عملية « يؤاب » ، تسبب فى انسحاب اللواء التاسع المصرى ، الذى وجد نفسه محاصراً من جميع النواحى فى جيب كبير فى منطقة الفالوجا – عراق المنشيا . ٥٠٠٠ جندى و٢٠٠٠ محارب محلى تخندقوا فى الجيب وفقدوا سريعاً أى أمل فى النجاة من هناك .

أخذ ناصر المنشور وأحضره إلى قائد القوات المحاصرة ، الأميرالى (العميد) سيد طه بك ، وجد هذا الرجل أسمر البشرة ، ابن لأم سودانية ، يزرع أشجار بصل

فى حوض بجوار خيمة قيادته ، طه بك (النمر الأسود) ضابط محارب قديم ، ضخم الجثة ، ومستدير الوجه ، تم ترقيته بعد الانتصار فى يد موردخاى، يشجع جنوده على زرع الخضروات للأكل ، احتياطى الطعام نفذ سريعاً ، وتم تخفيض الوجبات الثلاث إلى اثنتين يومياً ، هو لايعرف كم من الوقت سيستطيعون الصمود داخل دائرة الحصار .

الهجوم الإسرائيلى بدأ كما هو متوقع بقصف مدفعى مستمر ، الإصابات كانت دقيقة وتسببت فى دمار كبير ، فتحت فى الحوائط ثقوباً كبيرة ، وسحب من الدخان غطت جنود بدر ، هم كانوا فى حالة عجز .

« ليس لدينا أكياس رملية من أجل إغلاق الفتحات ، صرخ الجنود تجاه قائدهم .

خذوا جثث القتلى وأغلقوا هذه الفتحات ، رد عليهم .

تم تجميع الجثث بجوار الفتحات فى الحائط ، لكن قنابل المدافع تسببت الواحدة تلو الآخرى فى إحداث المزيد من الفتحات الكبيرة .

على ثكنة عسكرية مصرية محصنة ، ليس بعيداً من الشرطة . أمر عبد الناصر جنوده بإطلاق النار على الإسرائيليين ، عسكرى المدفع الخبير به تلقى ضربة فى رأسه وقتل ، ناصر رأى شخص ما يمسك المدفع ويستمر فى إطلاق النار فقط بعد دقائق قليلة عرف هوية هذا الشخص ، لقد كان الرقيب « عزيز رشيد » وكان أعمى .

رشيد أصيب فى إحدى العمليات السابقة ، فقد نور عينيه ، لكن طلب من الأطباء اعادته إلى كتيبته ، ناصر وافق على عودته ، لأن عودة الجندى الأعمى سيشجع زملائه ، الآن رآه يشغل المدفع بدون أن يعلم إلى أين يوجهه ، أخرج من يده المدفع وأمره بالإختباء فى إحدى قنوات الاتصال حتى ينتهى الهجوم .

فى شرطة العراق سويدان ، المجاورة لكيبوتس نجفا ، نظر القائد ، البكباشى

(المقدم) صلاح بدر ، ليرى مايحدث فى الخارج ، من خلال نافذة إطلاق النار المحمية بأكياس الرمل ، رأى قوات إسرائيلية تنتشر ليس بعيداً من الشرطة ، لاحظ أيضاً مدافع يتم جرها إلى مواقعها ، ودبابتين بدأت تتحرك نحوهم .

لقد كانت هى الدبابات التى سرقت من مخازن الجيش البريطانى بواسطة الضابطين اللذين تطوعا للخدمة فى جيش الدفاع الإسرائيلى ، بدا فعلاً فى الواقع أن هناك هجوماً وشيكاً .

سيطر المصريون على الشرطة بعدما سلمها البريطانيون إلى أيديهم مع خروجهم من البلاد ، جنود الجيش المصرى ، الذين تخندقوا جيداً فى المعاقل الأسمنتية ، منعوا هذه الهجمات سبع مرات متتالية ، لكن بدر لم يكن واثقاً أنهم سيستطيعون الدفاع عليها مرة أخرى ، فى الفناء كانت ملقاة هناك جثث القتلى الذين لم يستطيعوا إخلائها ، المصابون صرخوا من الألم فى إحدى غرف الشرطة والمسعفين لم تبقى لديهم معدات طبية ، الذخائر نفدت تقريباً ، والذخائر الجديدة تأخرت فى المجىء .

بعد التمهيد الذى قامت به المدفعية، هجم جنود قوات المشاة للواء الثامن تحت غطاء المدرعات والدبابات على الشرطة ، أجرى بدر اتصالاً مع قيادة الجيش فى غزة ، أرسلوا إلينا تعزيزات ، توسل ، لقد طالب أيضاً بمساعدة جوية من أجل منع سقوط الشرطة ، « لاتقلق ، الطائرات فى الطريق »، أبلغه ، لكن لم تصل أية طائرة .

الجنود المصريون دافعوا عن الشرطة باستماتة ، لكن اضطروا إلى الخضوع بعدما قام خبراء مفرقعات الكتيبة ٨٩ ، بمساعدة قاذفات ألقت على الشرطة قنابل غاز مسيل للدموع ، نجحوا فى شق ثقب فى الحائط الغربى للمبنى ، شق جنود الكتيبة إلى الداخل، المصريون رفعوا الراية البيضاء وخرجوا من الشرطة بأيد مرفوعة .

كتب بعد ذلك فى جريدة « دافار » : « خضع عراق سويدان » ، الجنود المصريون انفجروا بالبكاء . الحقيقة كانت أن أعينهم ملئت بالدموع من الغاز ،

الذى فتح بواسطة « يائير كليفنسكى » : شقيق الطيار الراحل « مودى ألون » .

صلاح بدر وجهه أسود منتفخ ، ملابسه ممزقة ورأسه منحنى ، أتى به بواسطة جنديين إسرائيليين إلى قائد العملية « يتسحاق ساديه » . قال له ساديه « سيدى أنا أهنئك على الحرب البطولية لرجالك »

جو مظلم ساد فى جيب الفالوجة مع سقوط الشرطة ، حتى الخضوع ساد بين الجنود المصريين لسبب ما شعور بأن الحصار سيصمد ، عراق سويدان كانت رمزاً، نموذج الحرب ، ومضة الأمل لإحتمال آن يتنازل الإسرائيليون فى نهاية الأمر عن احتلال موقع الشرطة ، سيرفعون الحصار ويسمحون للجنود بالإنسحاب بدون خسائر .

قيادة الجيش المصرى فى رفح ، التى تعبت من البرقيات اليائسة ومن الردود التشجيعية التى أرسلتها بدون توقف ، فهمت فى النهاية أن الآف الجنود المحاصرين لطه بك فى الجيب لاتوجد لهم فرصة فى البقاء لفترة طويلة ، اقترحوا على القائد اختراق الحصار الإسرائيلى والوصول إلى غزة .

« هذا سيكون انتحار » أجاب طه بك بغضب ، الشاحنات التى لم تصب بواسطة سلاح الجو الإسرائيلى ليس لديها وقود ، عربات المدافع معطلة ، الذخائر غير كافية للدفاع ، طلب أن يأتى الجيش المصرى لمساعدته وإنقاذ رجاله .

صمد جيب الفالوجا حتى تم توقيع اتفاق الهدنة بين إسرائيل ومصر فى نهاية فبراير ١٩٤٩ ، أثناء المباحثات بين الوفود المصرية والإسرائيلية فى رودوس ، تم الاتفاق على السماح بالإخلاء التدريجى للواء المصرى من الفالوجا بشرط أن يتم التوصل إلى اتفاق الهدنة حتى ٢٣ يناير ، وعندما حان الوقت وكان الاتفاق بعيداً ، رفضت إسرائيل السماح بإنقاذ المحاصرين ، لكن وافقت على إرسال الطعام والدواء لهم ، تم التوقيع على اتفاق الهدنة فى نهاية ٢٤ فبراير .

عاد طه بك إلى مصر واستقبل بالهتافات عندما مر مع جنوده بميادين القاهرة ،

لكن بعد ذلك بوقت قصير تم إبعاده بواسطة قيادة الجيش ، وأرسل ليقود وحدة صغيرة فى مكان ما بعيداً عن القاهرة ، اتهمه قادته بأنه خضع أمام الإسرائيليين وأضر بذلك بهيبة الجيش المصرى .

قام قائد جبهة الجنوب «يجآل آلون» بعمل تقدير سريع للموقف ، وكان من الواضح أمامه أنه ينبغى الطرق على الحديد وهو ساخن ، وإجراء مفاوضات مع المصريين بشأن الخضوع ، الخضوع كان ضرورياً لأنه فى أعقابه سيكون من الممكن إطلاق سراح جزء كبير من الجنود الذين حاصروا منطقة « الجيب » وتوجيههم إلى مناطق قتال أخرى ، وبحث عن متطوع يقوم بنقل اقتراح إجراء المفاوضات إلى طه بك ، الثالث له ، يروحام كوهين ، مثل أمامه .

قال « لدى متطوع » .

من ؟

« أنا بنفسى » .

« يروحام كوهين » النحيف ، ينتمى لأسرة يمنية كبيرة ، وكان يطلق عليه من قبل الجميع « يروحام الأحمر ، كان ذا خبرة عسكرية ثرية فى الهاجاناه ، والأكثر أهمية – أنه يتحدث العربية الدارجة ، يجآل أمر بإحضار مدرعة تحت حوزته عليها مكبرات صوت وعلم أبيض كبير .

لكن ولا طلقة أنتهكت الصمت على طول خطوط الجبهة ، فجأة ظهرت ثلاث هيئات من خلف الأسوار الشائكة المصرية ، ولوحت له من أجل الإقتراب منهم .

عندما فعل ذلك ، لاحظ أن الثلاثة ينتمون إلى طبقة الضباط ، حياهم بأداء التحية العسكرية ، أزالوا الجدار الشائك ، اقتربوا منه ، صافحوه وقدموا أنفسهم أمامه ، كان أكبر ضابط هو جمال عبد الناصر ، كان مهتما بمصير قائد شرطة عراق سويدان و يروحام كوهين قال : أنه رأه فى السبى ، وبدا له أنه فى حالة جيدة .

كرر كوهين ، قائدى يريد مقابلة طاهر بك .

سأل عبد الناصر بشك ، هل يريد أن نستسلم ؟

« هو يريد التوصل إلى طريق لوقف القتال .

ناصر طلب من أحد الضباط أن يذهب إلى طاهر بك ومعرفة رده .

فى هذه الأثناء حكى ليروحام كوهين عن مشاركته فى معارك يد موردخاى ونيتسانيم وعن إصابته فى القتال بجوار كيبوتس نجفا ، الذى هاجمت فيه وحدة سيارات الجيب لثعالب شمشون .

سأل يروحام كوهين لماذا جئتم إلى هنا بشكل عام ؟، لماذا دخلتم فى حرب بعيدة عن أراضيكم ، بدون أن يكون لكم سبب حقيقى لمحاربتنا ؟

أجاب ناصر ، لقد تورطنا بدون داعى ، لكن نحن الآن نحارب من أجل شرف الجيش المصرى ، لن نستطيع أن نعود إلى الوطن كجيش مهزوم .

أجرى طه بك اتصالا بقيادة الجيش فى رفح وحكى لهم عن الاقتراح الإسرائيلى ، قال لهم بتأثر مصابونا يموتون بسبب عدم المعالجة ، أعطونى رداً فورياً .

الضابط الذى أرسله ناصر إلى طه بك عاد وقال :إن قائد منطقة « الجيب » ليس لديه مانع من اللقاء ، لكن عليه أن ينتظر تصديق قادته ، ناصر ويروحام كوهين حددوا اللقاء فى نفس المكان صباح الغد .

فى برقية الرد اجاب قادة طه بك « نحن نضع حرية الإختيار فى يدك » .

أسرع « يروحام » إلى الكيبوتس وفاجأ زملاءه بإبلاغهم أن هناك ضيوفاً مصريين سيصلوا بعد الظهر ، المشكلة كانت أن أغلب المنازل فى المزرعة تهدمت بسبب القنابل المصرية و ولم تكن مناسبة لعقد لقاء بين المشاركين فى اللقاء . فى النهاية اتضح أنه فى أحد المبانى بقيت غرفتين سليمتين وتقدم أعضاء

الكيبوتس بحماس لتنظيفها و وإخلاء الأجزاء المهدمة خارجها .

أسرع الطباخون بخبز الفطائر وأحضروا من البستان جوال من البرتقال الطازج الذى قطف للتو ، من اجل أن يثبتوا للمصريين أن الحياة فى الكيبوتس تسير على مايرام ، على الرغم من الحرب ، أمر كل الزملاء بالانتشار فى الحديقة الخضراء وفى بساتين الفاكهة ، والخروج إلى الغابة بالجرارات وإظهار نشاط روتينى .

طاقم القيادة للمصريين المحاصرين وصل فى الوقت المحدد بقافلة من سيارات الجيب ، حاملين أعلاماً بيضاء ، طه بك صافح يجآل آلون ، ونائبه يتسحاق رابين .

بعد ذلك دخل الوفود المرافقة إلى الغرفة ، وجلسوا من كلا الجانبين على المائدة الطويلة .

يجآل آلون استهل الحديث بتوجيه التقدير تجاه حرب المصريين فى شرطة عراق سويدان .

« شكراً كثيرا » سيدى ، رد طه بك ، « أيضاً جنودك حاربوا ببطولة ، على الاعتراف انه فى أكثر من مرة وضعونا فى مواقف صعبة جداً .

البارات المظلمة لفنادق « جت ريمون » ، و « بارك » التى تقع على شاطئ بحر تل أبيب ، كانت الأماكن المفضلة لقضاء وقت طيارى سلاح الجو ، وعلى الأخص المتطوعين من خارج البلاد ، صب الويسكى هناك كالمياه ، وفى أكثر من مرة أضطروا إلى جر طيار من البار بسبب شربه حتى فقدان الوعى ، قبل ان تصل هناك الشرطة العسكرية ، أحبوا الشراب ، والتفاخر بالنساء اللاتى اغتصبوهن ، والتحدث عن المعارك الجوية التى خاضوها .

فى نهاية ١٩٤٨ حزمت مجموعة من المتطوعين من خارج البلاد حقائبها ، وعادوا إلى بلادهم ، آخرون كانوا على وشك القيام بذلك قريباً ، كثيرون من

المغادرين تركوا البلاد بحزن .

انتهت المعارك الجوية فى أغلبها بانتصار الطيارين اليهود، فقط فى أوقات قليلة كان طياروا الجيوش العربية خصماً من الصعب مواجهته، التجربة و الخبرة حسمت بشكل عام مصير القتال حتى قبل أن يبدأ ، فى خبايا قلوبهم تمنى طياروا سلاح الجو أن يأتى اليوم ويستطيعون مواجهة قوات مكافئة أو أفضل ، وهذا حدث أسرع مما توقعوا .

فى صباح يوم ٧ يناير ١٩٤٩ ، حلقت طائرتا « سفيتفريم » إسرائيليتان، تم شراءهما فى وقت سابق لذلك ، من مطار فى منطقة حاتسور تجاه منطقة أبو عجيلة فى سيناء ، الطائرات القتالية لسلاح الجو اعتادوا على الطيران فى أزواج فقط ، طائرات العدو حلقت بشكل عام فى مجموعات من أربع أو ستة طائرات ، كل تشكيل أكبر من طائرتين ينبغى أن يكون تابع للعدو ، فوق منطقة أبو عجيلة قابلت الطائرات الاسرائيلية فى الساعة ٩.٣٠ مجموعة مكونة من ٦ طائرات سفيتفريم ، اندلع قتال قصير ، تم إسقاط اثنتين من الستة طائرات وفر الباقون ، الطيارون الذين عادوا إلى حاتسور كانوا مندهشين . قالوا : يبدو لنا أننا أسقطنا طائرات بريطانية .

حلقت طائرتا « سفيتفريم » إسرائيليتان آخريان بعد وقت قصير فى الجنوب للقيام بجولة فوق المنطقة المصرية ، فجأة ظهرت فى السماء ستة طائرات سفيتفريم بريطانية، مرة ثانية اندلع قتال جوى ، تم إسقاط طائرة واحدة وفر الباقون .

الاتصالات بين المصريين واليهود أثناء الحرب

وجهت قيادة الجيش المصرى تعليمات لطه بك بالاستمرار فى التحصن فى «جيب الفالوجا» لكن الاتصالات بين يروحام كوهين وعبد الناصر استمرت ، وفقاً لطلب كوهين ، سمح ناصر للحاخام شلومو جورين ، الحاخام العسكرى الكبير ، بإجراء الصلاة بجوار الأماكن التى دفن فيها المصريون جنود السرية الدينية للواء «الكسندرونى» الذين سقطوا فى الهجوم على موقع عراق المنشية ، فى كل لقاء أحضر

كوهين هدية لناصر – كيس برتقال او علب شيكولاته فاخرة ، عندما ولد الأبن الثالث لناصر ، أرسل له يروحام كوهين بدلة طفل وتلقى خطاب شكر مؤثر .

بعد ذلك بتسع عشرة عاما ، فى عام ١٩٦٧ ، أعاد التاريخ نفسه : مصر تجد نفسها ثانية فى حرب مع إسرائيل ، ومن يحارب أمامها ليس شخص آخر سوى صديق يروحام كوهين ، من جيب الفالوجا ، « عبد الناصر » رئيس مصر .

مقتل رئيس الحكومة المصرية النقراشى باشا على أيدى الأخوان

بعد ذلك بوقت قصير على رأس قائمة الأخبار ، أعلن المذيع فى راديو القاهرة عن مقتل رئيس الحكومة النقراشى باشا على أيدى مغتال ، النقراشى باشا ترأس حملة اضطهاد بهدف تقليص قوة « الإخوان المسلمين » ، أعضاء المنظمة الذين عادوا غاضبين من ميادين القتال فى فلسطين ، اتهموا النظام بالهزيمة ، وحكت إشاعات متعنتة عن خطط قيادة الإخوان السرية من أجل القيام بانقلاب مسلح ، بعد ذلك بأسابيع قليلة ، فى كونه فى ذروة قوته وتأثيره ، قتل سراً حسن البنا ، زعيم الإخوان المسلمين ، بواسطة رجال الشرطة السرية المصرية ، فى عملية انتقامية قتل الإخوان رئيس الحكومة .

زواج الملك فاروق من زوجته الثانية ناريمان

فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ ، فى قصر عابدين فى القاهرة ، اجتمع كل قادة المجتمع المصرى للمشاركة فى فرحة الزوج الملكى بمناسبة ولادة « أحمد فؤاد » ، النجل الأول لفاروق وزوجته الثانية « ناريمان » ، « فاروق » عرفها قبل ذلك بعامين فى محل مجوهرات فاخر فى شارع قصر النيل ذو الأشجار ، وقفت بجوار المنضدة برفقة شاب، قامت بقياس خاتم زواج، وكانت جميلة لدرجة أن الملك انتهز الفرصة ليعرفها شخصيا .

قال لثالث « أعرف لى من هذه » .

الثالث ذهب وجاء . اسمها « ناريمان » وهى تبلغ من العمر سبع عشرة عاماً ، قال الرجل الذى بجوارها خطيبها ، وهو موظف فى الأمم المتحدة .

أريد أن يعود إلى أمريكا فى أسرع وقت ، أرسل إلى هذه الفتاة بعد ذلك فوراً ،؟ واضح .

« نعم جلالة الملك ، سأعالج الموقف .

عاد « فاروق » إلى قصره متأثراً من الشوق ، التفكير فى الفتاة التى عرفها للتو ، كان على رأس أولوياته ، فى نفس الأسبوع طلق« فاروق » زوجته « فريدة » التى تركت القصر مع بناتها الثلاث ، وبعد أيام قليلة تزوج الملك من ناريمان فى مراسم فاخرة فى قصر عابدين بالقاهرة .

أحداث ثورة يوليو فى الرواية

فى يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ، كان من المقرر أن يستولى المتمردون على مركز الاتصالات فى كوبرى القبة فى القاهرة ، لكن عندما وصلوا الى هناك اكتشفوا لدهشتهم أن المبنى مغمور بضوء الكشافات ووحدات عسكرية مدعمة تقوم بحراسته .

كان من الواضح أن شخصا ما وشى بهم ، وتم اتخاذ خطوات لإحباط السيطرة على مركز الاتصالات ، لكن لم يكن هناك طريق للعودة . جنود تابعون للانقلاب أطلقوا النار فى الهواء كتحذير ، ولدهشتهم الكبيرة ، سمع من مركز الاتصالات طلقات منفصلة فقط ، وفور ذلك وضع الحراس أسلحتهم وتم احتلال المبنى فى غضون فترة بسيطة بدون سفك دماء .

قوافل من الدبابات والمدرعات حاملات الجنود ، التى خرجت من قواعد الجيش العسكرية بجوار القاهرة ، انضموا للثوار ، ملأوا الشارع المركزى على اسم الخليفة المأمون ، المؤدى إلى القاهرة ، وشقوا طريقهم إلى المدينة .

بدأت موجة الاعتقالات بموجة كبيرة وتم اعتقال عشرات الضباط والقادة فى الشرطة السرية المخلصين للملك ، اتصل رجال نجيب بسفارات الولايات المتحدة وبريطانيا ، أبلغوهم بالانقلاب وحذروهم من التدخل فى التطورات ، لأنها شأن مصرى داخلي .

استيقظت مصر على واقع جديد ، القاهرة كانت فى أيدى الثوار ، أغلب الجيش وقف إلى جانبهم ، فاروق وأسرته كانوا محاصرين فى قصرهم أمام الميناء الغربى للإسكندرية ، فى الوقت الذى كانت تجوب فيه سفن سلاح البحرية أمام نوافذ القصر ، كانت تتقدم طوابير الدبابات من القاهرة لإحكام الحصار على قصر الملك فى الإسكندرية ، اجتمع الثوار فى جلسة عاجلة ، من أجل مناقشة مصير الملك ، اقترح البعض تقديمه للمحاكمة بسبب أعمال الفساد التى ارتكبها ، الآخرون وعلى رأسهم « محمد نجيب » طالبوا بطرده من مصر ، استمرت المناقشة فترة طويلة بدون حسم ، وفى النهاية اقترح نجيب أن القرار سيكون فى أيدى الثوار الذين سيطروا على القاهرة وعلى رأسهم جمال عبد الناصر ، هؤلاء قرروا الطرد ، وأرسل نجيب برقية إلى الملك يخبره فيها بخروجه من مصر حتى الساعة السادسة فى يوم ٢٦ يوليو .

بدون اختيار ، قبل الملك شروط الطرد ، قال إنه سيخرج من مصر إلى إيطاليا مع أسرته فى سفينة التنزه الملكية « محروسة » ، وطلب أن يقوم الحرس بإطلاق ٢١ طلقة مدفع من العيار الثقيل عند إبحار السفينة ، وافق نجيب لكن طلب أن يتم إعادة السفينة التى تم شراؤها بأموال الشعب المصرى إلى مصر بعد توصيل الملك إلى مكان نفيه .

فى الساعة السادسة مساء خرجت الملكة ناريمان ، مرتدية فستان التنزه الأبيض ، من القصر فى طريقها إلى الرصيف الملكى ، سارت فى أعقابها المربية البريطانية ، حاملة بين أذرعها ابنها الأمير الطفل « أحمد فؤاد » ، فاروق بالزى الرسمى ، خرج

بعدهم ، الحمالون حملوا ٢٣ صندوقاً من الملابس ، المجوهرات ، وأمتعة شخصية ، عزفت معازف القصر النشيد الوطنى ، وأطلقت المدافع ٢١ طلقة نارية .

صعد « نجيب » على سفينة التنزه قبل أن تبحر ، وجه « فاروق » كان شاحب الوجه كالجير ، ناريمان وقفت بجوار درابزين السلم بدون حركة وأرسلت نظرة أخيرة تجاه الإسكندرية . نجيب أدى التحية للملك ، وفاروق رد له التحية ، كليهما كان مرتبكاً وللحظات قليلة لم يتفوه أحد منهم بكلمة ، قدم زعيم الثوار للملك كتاب الموافقة بالطرد ، أمسك « فاروق » قلمه الذهبى وبدأ فى التوقيع ، لكن يده ارتعدت وفسد التوقيع ، وقع مرة أخرى ، رفع عينيه إلى نجيب وقال قمت بواجبك ، حان وقت الفراق .

ابتعدت المحروسة عن الرصيف وأبحرت تجاه البحر الفسيح ، الآلاف من المصريين وقفوا على ساحل البحر وتابعوا بصمت السفينة المبتعدة ، لم يذرف أحد منهم دمعة ، وقف فاروق على سطح السفينة ونظر للمرة الأخيرة إلى الدولة التى طردته بالعار بسبب حرب لافائدة منها ، سياسة خاطئة وفساد ليس له حدود .

موقف الديانة اليهودية
من الأغيار (غير اليهود)

للموقف الغير معتدل من جانب المتدين تجاه التصرف الديني والأخلاقي أثر ، بالطبع أيضاً على العلاقة بين العالم الغير يهودى ، كتاب المتدينين يحتوى على مجموعة كاملة من التعليمات فيما يتعلق بالاتصال بمراسم العبادة النصرانية .

على اليهودى أن يمتنع عن أى اتصال مع هؤلاء ، اليهودى لايدخل إلى مصنع أجنبى ، أو فناء مصنع أجنبى ، ومن يتجاوز ذلك عليه الكفارة [١] .

ومن الأمثلة التى تظهر تميز بنى إسرائيل بالنسبة لغير اليهود فى كتاب التلمود ما يلى :

أ - «إذا ضرب الوثنى يهوديا استحق الموت»، والإسناد عندما أقدم موسى على قتل المصرى وطمره فى الرمل عقاباً له على ضرب رجل عبرانى من أخوته .

ب - من ضرب إسرائيليا على فكه ، فكأنما اعتدى على الحضرة الإلهية ، وفى هذا التفسير تصريح لليهودى بقتل غير اليهودى إذا ما اعتدى عليه وتشبيه الإسرائيلى بالحضرة الإلهية وذلك ذروة السمو والتعالى[٢] .

يزعم التلمود أن أرواح اليهود تتميز عن بقية الأرواح ففى تفسيرات الفقرات :

« وأكثرت من زناها بذكر أيام صباها التى زنت بأرض مصر ، وعشقت

(١) יעקב כ"ץ ، בין יהודים לגויים ، יחסי היהודים לשכניהם בימי - הביניים ובתחילת הזמן החדש ، מוסד ביאליק 1967 . ירושלים עמ' 99

(٢) د. عبد الخالق عبد الله جبة ، الفكرة الصهيونية فى الأدب العبرى الحديث ، كلية الآداب جامعة المنوفية ٢٠٠٨ ص ٥٥ .

معشوقيهم الذين لحمهم كلحم الحمير ، ومنيهم كمنى الخيل » [١] .

فسر التلمود هذه الفقرات بأن أرواح اليهود تتميز عن باقى الأرواح بأنها جزء من الله ، كما أن الابن جزء من والده وأرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لباقى الأرواح غير اليهودية هى أرواح شيطانية وشبيهة بأرواح الحيوانات وأن نطفة غير اليهودى كنطفة باقى الحيوانات .

وهنا بلغ حد تمييز العنصر اليهودى لدرجة جعل أرواح اليهود تختلف عن أرواح بقية الأجناس فهى جزء من الله . وبأن أرواح غير اليهود شيطانية حيوانية وهكذا يبلغ ادعاء التميز إلى ذروته.

فيجعل التلمود النعيم مأوى لأرواح اليهود فلايدخل الجنة إلا اليهود أما الجحيم فمأوى الكفار من المسيحيين والمسلمين ولانصيب لهم فيه سوى البكاء [٢] .

العلاقة المتوترة بين اليهود وغير اليهود

تتسم العلاقة بين اليهود وغيرهم بأنها علاقة خاصة يسودها جو من التوتر ، ولم يكن هذا نابعا من فراغ ، بل كان نتيجة حتمية للمؤثرات اليهودية التى خلقت مع مرور الوقت عداء بين اليهود وغيرهم ، وهذه العلاقة المتوترة لم تكن قاصرة على شعب بعينه أو دولة بذاتها ، فقد كان اليهود مصدر قلق للشعوب التى يعيشون بينها .

ولم يكن هذا إلا نتيجة للأسلوب الغريب الذى أضفاه اليهود على نوعية علاقاتهم مع الآخرين ، واستغلالهم كثيرا من الوسطاء نتيجة سيطرتهم المالية والاقتصادية وعزلتهم الاجتماعية التى فرضوها على أنفسهم [٣] .

(١) المرجع السابق ص ٥٧.

(٢) المرجع السابق ص ٥٨.

(٣) د.جمال عبد السميع مصطفى الشاذلى ، مفهوم النكبة فى الرواية العبرية الحديثة (١٩٦٥-١٩٧٥) ، رسالة دكتوراة ١٩٩٧.

الموقف الصهيونى من الأغيار فى الرواية :

أظهرت الرواية صورة سيئة للجيش المصرى حيث شبههم المؤلف بجيش ألمانيا النازية :

فى ظل الإحساس بوجود كارثة تقترب ، وقف اللواء جفعاتى أمام ٢٣٠٠ جندى مصرى متحصنين فى أشدود ، حوالى ١١٠٠ من محاربيه ومحاربى اللواء الجنوبى ، الذين كونوا كل القوة المتاح تعبئتها بهدف الهجوم ، الخطة : ستقوم بطاريات المدافع وقذائف الهاون بقصف موقع الدفاع المصرى فى أشدود ، وبعد ذلك سيهاجمه ٦٠٠ جندى من الجنوب ، ٣٠٠ من الشمال ، حوالى ٢٠٠ من الشرق ، سيغلق عدة عشرات من الجنود الطريق من منطقة المجدل إلى أشدود من أجل منع وصول الإمدادات . وحدة الإغلاق من المقرر أن يتم أخذها من كيبوتس نيتسانيم .

لقد كانت هذه فصيلة « أفراهام شفرتستين » . فى الليلة التى بين ١ -٢ من يونيو ، فى حقول محاصيل الذرة ، ليس بعيداً عن أشدود تركزت القوة المعدة للهجوم . افا كوفنر وقف بينهم ، وظهر من الظلام صوته الحاد والمتحمس .

أيها الجنود ... الليلة ستصعدون على أشدود .... الليلة ستهاجم فصائل المشاة التابعة لنا العدو وستدمره فى قتال متلاحم ، وجهاً لوجه .

كعادته تحدث كوفنر بحماس وبصوت مرتفع ، مثلما تحدث فى مسامع المتمردين فى جيتو فيلنا . المصريون لم يكونوا أفضل فى عينيه من الألمان ، هؤلاء وهؤلاء يريدون تدمير الشعب اليهودى ، صرخ صرخة أرض الوطن المنتهكة تحت أقدام الغزاة الأجانب ، ونادى بالرد على العدو ، وطرده من هذه الأرض التى لاتخصه .

صورة بدو فلسطين فى الرواية

أظهرت الرواية صورة البدو فى فلسطين ، حيث يظهرهم خائنين لوطنهم ، ويقومون بمساعدة القوات الصهيونية فى الحرب ضد القوات العربية ، وأنهم

يمدونهم بالمعلومات من أجل مساعدتهم على تدمير القوات العربية .

« في ليلة يوم ١٥ مايو ، تحت سماء كثيرة النجوم ، أسرع بدوى مسن من خيمته في الأرض المنبسطة جنوب رفح ، وشق طريقه بخطوات سريعة تجاه كيبوتس «نيريم » ، من على بعد سمعت أذنيه أصوات الغناء والعزف ترتفع من الكيبوتس الصغير في غرفة الطعام المزخرفة ، أضاءت أضواء كهربائية ملونة وجوه المتحمسين لفتية وفتيات رقصوا هناك بكل قوتهم ، الفرحة بإعلان الدولة سحرتهم ، وأخفت المخاوف من الغد الملبد بالغيوم فوق الكيبوتس كظل مخيف .

البدوى اقترب من الموقع المحصن في حذر بجوار مدخل الكيبوتس . هو يعلم فقط كلمات معدودة بالعبرية ، وتمنى أنها تمنع السكان في الكيبوتس من إطلاق النيران عليه .

صرخ سلام سلام ، أنا « أبو خفاجة » .

هم يعرفونه ، لقد كان حارس الحقول الذى عمل عندهم منذ إقامة الكيبوتس .

ماذا تريد ؟ صرخ نحوه أحد المدافعين .

استدعوا لى الخواجة « لوفلسكى » بسرعة .

عن طريق جهاز اتصال داخلى تم استدعاء قائد الكيبوتس من غرفة الطعام ، انقطع عن دائرة الرقص وجرى نحو الموقع بجوار الباب . وقف البدوى هناك ، على ضوء بياض القمر ، واحتضنه « دودو لوفلسكى » بحرارة .

سأله بقلق ماذا حدث ؟

تشويه صورة الشخصية العربية

أظهرت الرواية على حد زعم المؤلف ،التعاون الوثيق بين البدو والمستوطنين الصهاينة في بناء المستوطنات الجديدة وتقديم البدو المياه واللحوم للمستوطنين مقابل المواد الغذائية الأخرى ، ومعالجة الطبيب اليهودى للكيبوتس للبدو في خيمة

الاستضافة .

تم إنشاء كيبوتس « نيريم » فى غضون ليلة قبل ذلك بسنتين . قبل أن يصل البريطانيون لمعرفة ماحدث ، تم إنشاء المبانى الأولى على السلك الشائك للبريطانيين. ربطت علاقات حميمة بين البدو فى المنطقة وبين المستوطنين الجدد .

فى وقت بناء الأكواخ الأولى مد البدو رجال الكيبوتس بالمياه من آبارهم ، أعطوهم ماعز وأخذوا مقابلها قمح ، أرز ، ملح وسكر .

بعد ذلك بأسابيع قليلة بعد ظهور الكيبوتس على الأرض أقام المستوطنون فى مدخله « مضيفة » (خيمة استقبال الضيوف) ، والتى تم فيها استضافة البدو عابرى الطريق بالطعام والشراب ، فى يوم الزيارة الأسبوعى للطبيب ، وصل دائماً عدد من البدو من أجل تلقى العلاج ،إخلاصه أنقذ من الموت عدد غير قليل منهم .

نظر « أبو خفاجة » حوله فى خوف وتنهد فى تأثر ، وقال: الجيش المصرى عبر الحدود فى رفح ، هم يعتزمون مهاجمتكم هذه الليلة أو غدا .

من أين لك بهذه المعلومات ؟

قابلت جنود مصريين ، هم قالوا لى .

هل رأيت كثير من الجنود ؟

كثير جداً . يوجد لديهم دبابات ومدافع .

تعجب « دودو لوفلسكى » ، لقد كان يعلم حقاً أن الجيش المصرى على وشك غزو البلاد ، لكن حتى هذه اللحظة لم يعلم النوايا بتحويل مستوطنة « نيريم » أحد الأهداف الأولى للقوة الغازية .

مخابرات اللواء الجنوبى على غرار مخابرات الجيش الناشئ كلها كانت فى مهدها، لم تكن لديه الوسائل المطلوبة لكشف حجم قوة القوة المصرية وخططها .

ملحق

حول المنظمات الإرهابية العسكرية فى فلسطين

المنظمات الإرهابية اليهودية فى فلسطين

منذ الأيام الأولى لبدء النشاط الصهيونى فى العالم لم يغب عن قادته ضرورة وجود قوات دفاعية تعمل على المساعدة والإسراع فى عملية العودة إلى صهيون وكانت الخطوات الأولى فى المجهود الصهيونى، إقامة مستعمرات فى المناطق التى تزدحم بالعرب، وقد فرضت تلك الأوضاع التفكير فى إنشاء قوة عبرية مسلحة ، وقد ظهر ذلك فى كتابات المبشرين الأوائل الذين سبقوا المشروع الصهيونى لجماعة « أحباء صهيون » ، وكان قد تم خلال فترة الهجرة الأولى محاولات عملية لتشكيل منظمات متطوعين للدفاع عن الأرواح والأملاك ففى زخرون يعقوف تشكلت عام ١٨٨٧ منظمة مسلحة لحماية هذه المستعمرات أطلق عليها اسم « أجودات مكابيم فنوطرى منوحات هموشافاه » كما تأسست فى رحوبوت عام ١٨٩٢ منظمة سميت « أجودات عشروت » (رابطة العشرات)، وفى مستعمرة بيتح تكفا تم تنظيم وحدات دفاعية محلية تضم الفرسان والمشاة وكذلك تشكلت فى مستعمرة ريشون لتسيون منظمة للحراسة الداخلية والخارجية[1].

وقد راودت فكرة إنشاء « الحرس الصهيونى المسلح » زعماء حركة عمال

---

(١) د.حمدان بدران ، دور منظمة الهجانا فى إنشاء دولة إسرائيل ، دار الجليل للنشر – عمان عام ١٩٨٥ ص ٩.

صهيون ، فى شرق أوروبا منذ أواخر القرن التاسع عشر ، حين سعت هذه الحركة فى روسيا وبعض بلدان شرق أوروبا إلى تنظيم وحدات يهودية للدفاع عن أحياء الجيتو – فى المدن – ضد أعمال الاضطهاد ، وسميت هذه الوحدات « جماعات الدفاع الذاتى »، وكان إسحاق بن تسفى أحد أصحاب هذه الفكرة ومنفذيها فى روسيا ، فحملها معه عندما هاجر إلى فلسطين ، حيث التقى مع بن جوريون فى مستعمرة بتاح تكفا [1] .

يقول « يجآل ألون » من قادة البالماح فى كتابه تكوين الجيش الإسرائيلى :

منذ عام ١٨٨٠ ، عندما كانت البلاد لاتزال تحت الحكم العثمانى ، ولم يكن عدد السكان يزيد على بضع عشرات من الألوف ، ابتدأ تشكيل خلايا سرية للدفاع ... ولم تكن لهذه التنظيمات صفة سياسية ، ولكن ترتب عليها بصورة غير مباشرة نتائج سياسية ، وهكذا تكونت منذ بداية هذا العصر نوى متعددةمختلفة لمنظمات عسكرية يهودية سرية ذات اتجاهات سياسية ، وأهمها فرق هاشومير التى تعتبر المنظمة التى سبقت منظمة الهاجاناه ، وقد أخذت هذه الفرق تفكر فى هذه المرحلة فى أن يكون دفاعها عن اليهود على مستوى وطنى قومى واسع ، وكانت مستعدة دوماً للدفاع عن أية مستعمرات مهما كانت بعيدة أو نائية [2] .

التنظيمات الصهيونية قبل عام ١٩٤٨ :

يمكن تقسيم المنظمات الصهيونية العسكرية قبل ٤٨ من منظور الوظيفة التى تطلع بها الى قسمين أساسيين ، فكانت بعض المنظمات توجه عملياتها العسكرية ضد السكان العرب الفلسطينيين أصحاب البلاد ، وكان البعض الآخر يوظف

---

(١) العميدأ.ح . طه محمد المجدوب ، العسكرية الصهيونية ، المجلد الأول ، مركزالدراسات السياسية والاستراتيجية ، مؤسسة الأهرام القاهرة ١٩٧٢ ص٢٨ .

(٢) د. هيثم الكيلانى ، الإرهاب يؤسس دولة نموذج إسرائيل ، دارالشروق . الطبعة الأولى ١٩٩٧ ، ص ٩٦.

نفسه فى خدمة الدولة الإمبريالية الراعية و صراعاتها الممتدة إلى خارج المنطقة ، وهذا الازدواج فى الوظائف نتيجة طبيعية لوضع المستوطنين الصهاينة كجماعة وظيفية ، ثم دولة وظيفية فى وسط معاد ، وهى فى حربها ضده تحتاج الى دعم امبريالى من الخارج ، وعليها أن تدفع الثمن ، وهو أن تضع تحت تصرف الراعى الامبريالى .

ومن المنظمات التى أسست لخدمة الأغراض الداخلية « أى الهجوم على العرب » نجد منظمة بارجيورا ، ثم منظمة الحارس « هاشومير » التى أسست عام ١٩٠٩ ، ثم النوطريم التى أسستها سلطات الانتداب البريطانى بالتعاون مع الهاجاناه ، للمساعدة فى قمع الثورات الفلسطينية العربية التى قامت فى فلسطين فى الفترة من ١٩٣٦ حتى ١٩٣٩ ، ومنها أيضا منظمة اتسل التى قامت عام ١٩٣١ انطلاقا من أفكار جابوتنسكى وأما المنظمات التى تم تأسيسها للمشاركة فى تدفق المجهود الحربى الاستعمارى منظمة الحراس نفسها ، ثم فرقة البغالة الصهيونية والكتائب ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ التى شكلت الفيلق اليهودى فى الحرب العالمية الأولى ، إضافة إلى الهاجاناه والبالماح واللواء اليهودى الذى تم تشكيله بقرار من الحكومة البريطانية عام ١٩٤٤ ، هذا بالاضافة الى منظمة شتيرن ، التى طرحت الوقوف إلى جانب ألمانيا النازية للتخلص من الاحتلال البريطانى لفلسطين ، ثم إقامة الدولة اليهودية(١) .

البذور الفكرية للعسكرية الصهيونية :

نجد أن الصحفى « فلاديمير جابوتنسكى » حين جاء إلى فلسطين عام ١٩٠٨ للاطلاع على الإجراءات الصهيونية ، قد نادى بأمرين جوهريين ضروررين لإقامة المستعمرات والبقاء فيها ، هما :

---

(١) د.عبدالوهاب المسيرى ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، المجلد السابع ص٢٠٢.

١- تعلم اللغة العبرية والتحدث بها .

٢- الضرب بقوة وبقسوة .

هكذا كانت دعوة جابوتنسكى منذ البداية ، دعوة إلى القوة المباشرة المكشوفة ، أما زميله بن جوريون فقد كان يخالفه الرأى فيقول : « أن الهجرة والاستيطان على نطاق واسع سيخلقان حتماً الحقائق السياسية التى ستأتى بالاستقلال، وسيظل وعد بلفور حبراً على ورق مالم ننجح فى ذلك .

وبهذا يكون بن جوريون داعية عنف هو الآخر، ولكنه عنف مرتبط بمخطط يعتمد على المرحلية والواقعية ، وينفذ إلى أغراضه من خلال فرض الأمر الواقع وهى عين السياسية التى جرت عليها الصهيونية فيما بعد [١] .

منظمة بارجيورا

منظمة عسكرية صهيونية سرية أسسها فى فلسطين عام ١٩٠٧ كل من (يتسحاق بن تسفى / وإسرائيل شوحط) وغيرهما من المستوطنين الصهاينة الأوائل، وكان شعارها بالدم والنار سقطت يهودا ، وبالدم والنار ستقوم يهودا ، وقد استلهمت اسمها من اسم شيمون بارجيورا قائد التمرد اليهودى الأول ضد الرومان فى فلسطين ما بين (٦٦ – ٧٠م) [٢] .

وقد وضعت الأسس الأولية للمنظمات العسكرية الصهيونية فى فلسطين خلال الهجرة الثانية (١٩٠٤) ، و قامت بذلك طلائع الهجرة الثانية من حزب « بوعالى تسيون » الذين سبق لهم أن كانوا أعضاء فى كتائب الدفاع العاملة بين بعض التجمعات اليهودية فى روسيا وكان هؤلاء يؤيدون « احتلال العمل » فى المستوطنات اليهودية من قبل العمال اليهود ، ولكنهم لاحظوا أيضا أن الحراسة

(١) العميد أ.ح . طه محمد المجدوب ، مرجع سابق ص (٦٩).

(٢) د.عبدالوهاب المسيرى ، مرجع سابق ص ٢٠٣.

فى المستعمرات اليهودية « محتلة » أيضاً من قبل العرب والشركس، إذ كانت كل واحدة من تلك المستوطنات قد عهدت بشئون حراستها إلى احدى القبائل البدوية العربية أو الشركس الذين يسكنون بالقرب منها ، ولهذا عقد فى آواخر أيلول ١٩٠٧ المؤتمر الثالث لحزب بوعالى تسيون فى يافا وتقرر خلاله إقامة منظمة سرية أطلق عليها اسم « بارجيورا » ، وكان الهدف الرئيسى لهذه المنظمة إقامة قوة دفاعية – مقاتلة ، وبالطبع لم يكن من السهل على أعضاء بارجيورا تحقيق غايتهم لعدم قدرتهم على ذلك من جهة. وللظروف الموضوعية التى كانت قائمة حينذاك من جهة أخرى ، ولذلك قاموا بتجميع أنفسهم فى مستوطنة السجن فى الجليل للقيام بأعمال الحراسة فيها وتدريب أنفسهم على استعمال السلاح ولم توافق المستعمرة على تسليمهم حراستها ، إلا بعد أن غافلوا الحارس الشركسى الذى كان يعمل فيها ، فسرقوا بغلة من بين المواشى التى كلف بحراستها ، عندها اضطر مدير المستوطنة إلى إقالته من عمله وتسليمهم الحراسة وكان شعار تلك المنظمة «بالدم والنار سقطت يهودا وبالدم والنار ستنهض يهودا»وكان هدفهم هو احتلال الحراسة والعمل من أيدى العرب وإقامة مستوطنات زراعية – عسكرية على غرار القوقاز [1] .

وهكذا كان إنشاء القوة المسلحة منذ البداية ، وفى نفس العام الذى قررت فيه المنظمة الصهيونية «البدء فى ممارسة الاستعمار الصهيونى فى فلسطين على أوسع نطاق » وهو نفس عام ١٩٠٧ – الذى صدر فيه قرار مؤتمر حزب عمال صهيون أثناء انعقاده فى مدينة الرملة بفلسطين ، بالسعى لتحقيق الاستقلال السياسى لليهود فى فلسطين ، إن ذلك كله إنما يضع الحقيقة واضحة تحت الضوء ، ويؤكد أن عبارة « الدفاع والحراسة لم تكن تعنى فى حقيقتها سوى العنف والاغتصاب » .

وفى مستعمرة الشجرة بمنطقة الجليل ، نشط العمل الصهيونى حين انتقل اليها

(١) د.حمدان بدران ، مرجع سابق ص(٩-١٠).

« بن جوريون » ورفاقه ، حاملين دعوة الاعتماد على النفس فى العمل والدفاع ساعين إلى التخلص من العمال العرب والخفراء الشراكسة ورغم معارضة المزارعين اليهود الذين لم يكن حمل السلاح من صفاتهم والذين كانوا يفضلون تجنب مواجهة العرب – إلا أن بن جوريون وأعوانه تمكنوا من التغلب على هذه المعارضة واتصلوا بالمسئول العثمانى للحصول على السلاح ، وقد رحب الأتراك بإعطائهم السلاح طالما كان فى ذلك إضعاف العرب الذين بدأوا يناوئون الحكم العثمانى فى ذلك الحين ، وبذلك تكونت منظمة « هاشومير » على نمط جماعات الدفاع الذاتى فى روسيا ، ولم يكن شعارها « الحراسة والدفاع » بل كان شعارها الذى نادى به النبى المسلح « بن جوريون » : « بالدم والنار سقطت يهودا وبالدم والنار سوف تعود من جديد »[١].

الفيلق اليهودى :

الفيلق اليهودى هو تشكيلات عسكرية من المتطوعين اليهود الذين حاربوا فى صفوف القوات البريطانية والحلفاء أثناء الحرب العالمية الاولى ، مثل الكتيبة اليهودية رقم ٣٨ التى جندت فى انجلترا عام ١٩١٥ ، ١٩١٧، والكتيبة ٣٩ التى نظمها بن جوريون وبنتسفى فى الولايات المتحدة بين عامى (١٩١٧ / ١٩١٨)، والكتيبة ٤٠ التى تم تشكيلها فى فلسطين ، وكذلك كتائب حملة البنادق الملكية وفرقة البغالة الصهيونية التى نظمها (جابوتنسكى/ ترمبلدور) فى مصر عام ١٩١٥ ، وقد بلغ عدد أفراد هذه المنظمات ٦٤٠٠ فرد وكان يشار اليها جميعا باسم الفيلق اليهودى ، وتبلغ فكرة هذه التشكيلات التي صور الصهاينة أنه ينبغى عليهم مساعدة بريطانيا القوة الاستعمارية الصاعدة ، حتى تساعدهم هى على تأسيس وطن قومى لليهود[٢] .

(١) العميد أ.ح . طه محمد المجدوب ، مرجع سابق ص ٣٨ .

(٢) د.عبدالوهاب المسيرى ، مرجع سابق ص٢٠٥.

هاشومير :

ولما كانت القوة العسكرية تمثل أحد دعائم المخططات الصهيونية ، لذلك كان أول عمل منظم مارسته الصهيونية فى فلسطين خلال هذه الحقبة هو وضع حجر الأساس للبناء العسكرى الصهيونى وخلق نواته العسكرية فقد بدأت الحقبة عام ١٩٠٧ بإنشاء أم المنظمات العسكرية فى فلسطين وهى منظمة الحارس «هاشومير» ، تحت ستار الحراسة والدفاع وفقا للأساليب العسكرية البحتة، وانتهت نفس الحقبة فى عام ١٩٠٧ – بإنشاء الكتائب اليهودية التى شاركت القوات البريطانية فى القتال بمنطقة الشرق الأوسط قرب نهاية الحرب العالمية الأولى [١] .

منظمة تعنى بالعبرية « الحارس » ، وقد شكلت هذه المنظمة اللبنة الأساسية للهاجاناه فيما بعد ، وأمدتها بالعناصر المدربة على استخدام السلاح، وكان الحرس اليهودى أسس فى العام ١٩٠٩ ، من قبل مجموعة من المهاجرين إلى فلسطين .

عنيت هاشومير منذ تأسيسها بأعمال الحراسة ، ثم تحولت إلى قوة محاربة منظمة ، مهمتها بادئ الأمر الدفاع عن المستعمرات الصهيونية فى الجليل ثم عن المستعمرات فى مختلف أنحاء فلسطين [٢].

أسست هذه المنظمة فى فلسطين عام ١٩٠٩ على يدى (يتسحاق بن تسفى / إسرائيل جلعادى / ألكسندر زيد / إسرائيل شوحط) الذى كان بمنزلة العقل السياسى المحرك والقيادة الفعلية للمنظمة ، أما الأعضاء فجاء معظمهم من صفوف حزب عمال صهيون ، ومن بين مهاجرى روسيا الأوائل، ورغم ذلك رفضت المنظمة أن تكون تابعة لسلطة الحزب بشكل مباشر وتعد منظمة الحارس

(١) العميدأ.ح . طه محمد المجدوب ، مرجع سبق ص ٣٨

(٢) د. هيثم الكيلانى ، الإرهاب يؤسس دولة نموذج إسرائيل ، دارالشروق . لطبعةالأولى ١٩٩٧ ، ص ١١٥.

استمراراً متطوراً لمنظمة بارجيورا السرية ، وهي بذلك من المحاولات الأولى لتأسيس قوة مسلحة يهودية فى فلسطين تعمل على فرض الاستيطان الصهيونى وتدعيمه، وقد بدأت الحارس كمنظمة سرية ولم يزد عدد أعضائها عند التأسيس عن ثلاثين عضو، وتولت حراسة المستوطنات الصهيونية فى الجليل مقابل نظير مالى ، ثم توسعت فيما بعد لتعمل فى مناطق أخرى، رغم اعتراض قيادات اليشوف القديم على هذه الأنشطة لما تثيره من استفزاز للسكان الفلسطينيين، وكان نموذج الحارس هو اليهودى حامل السلاح الذى يجيد اللغة العربية ويرتدى الزى العربى أو الشركسى ، وكان العضو ينضم للمنظمة بعد المرور بسنة اختبار، وبعد الحصول على موافقة ثلثى الحاضرين فى المؤتمر السنوى العام للمنظمة [1].

تعرضت هاشومير إبان الحرب العالمية الأولى للمطاردة من قبل الأتراك ، وأثناء الانتداب البريطانى واصلت هاشومير القيام بمهامها الإرهابية ضد العرب ، وفى بداية العشرينيات ، حينما أصبحت الحاجة ماسة إلى تأسيس قوة صهيونية محاربة كبيرة وموحدة ، قررت هاشومير حل نفسها وإعلان تأسيس الهاجاناة [2] .

وفيما بين عامى (١٩١٨ / ١٩٢٠) كان هناك ثلاث منظمات تعمل على مسرح العسكرية الصهيونية فى فلسطين : وهى منظمة هاشومير أو الحارس ، ومنظمة جابوتنسكى أو قوات الدفاع الذاتى ، ومنظمة ترمبلدور أو فرق العمال .

وبحلول عام ١٩١٩ كانت منظمة هاشومير تعانى ضعفاً شديداً بفعل أحداث الحرب العالمية الأولى ، وما ترتب عليها من توقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، وازدياد الهجرة العكسية منها حتى بلغ عدد من هاجروا إلى خارج فلسطين خلال الحرب حوالى ٣٠ ألف يهودى [3] .

(١) د.عبدالوهاب المسيرى، مرجع سابق ص٢٠٤.

(٢) د. هيثم الكيلانى ، مرجع سابق ص ١١٥ .

(٣) العميد أ.ح . طه محمد المجدوب ، مرجع سابق ص (٧٣) .

ولم يقتصر نشاط المنظمة على الحراسة ، بل قامت بدور أساسى فى إقامة المستعمرات الصهيونية فى فلسطين ، حيث أسست أول مستعمرة لها فى تل عداشيم ١٩١٣، ثم ألحقتها بمستوطنة أخرى فى كفر جلعادى ١٩١٦ ، وكانت المنظمة أحد الأطر الرئيسية لتدريب لعناصر العسكرية التى شكلت فيما بعد قوام منظمة الهاجاناه، وأثناء الحرب العالمية الأولى، والحملة البريطانية على فلسطين ، انضم قسم من أعضاء منظمة الحارس إلى الفيلق اليهودى وقاتل فى صفوف الجيش البريطانى، بينما انضم قسم آخر إلى جانب الأتراك ، وكانت تلك بداية الصراعات الداخلية التى تطورت لتصل إلى ذروتها خلال المؤتمر العام للمنظمة فى مايو عام ١٩٢٠، حيث تباينت الآراء بين الحفاظ على استقلال المنظمة ، وبين تحويلها الى منظمة موسعة للدفاع تخضع لإشراف المؤسسات السياسية العامة لليشوف الاستيطانى ، وقد تقرر فى النهاية حل المنظمة والانضمام للهاجاناه[١].

وفى سنة ١٩٢١ تحولت فرق (هاشومير) إلى جماعة كبيرة مسلحة وسرية سميت (الهجانا)، التى وضع « بن جوريون » أيضاً بصماته على تفكيرها من البداية ، لقد كان بن جوريون يريد من الهجانا أن تصبح قوة عسكرية مسلحة تساند المطالب السياسية للصهيونية فى فلسطين، وفى كتاب (بن جوريون ينظر للوراء) يؤكد هو أن الصهيونيين « لولم يعتمدوا على القوة المسلحة ، لما استطاعوا اختراق أرض جديدة[٢] .

الكتائب العبرية

الكتائب العبرية : أربع وحدات مقاتلة عبرية تطوعت في جانب الجيش البريطانى فى الحرب العالمية الأولى، اكتائب قائدى البغال الخاصة بصهيون –

(١) د.عبدالوهاب المسيرى ، مرجع سابق ص٢٠٤.

(٢) محمود عوض ، ممنوع من التداول ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢ ، ص ٣٤.

كتائب نقل تشكلت فى عام ١٩١٥ وجنودها كانوا متطوعين من أصحاب المستوطنات الذين تم طردهم على أيدى الأتراك إلى مصر، وكان قائد الكتيبة العقيد البريطانى «جورج بترسون»، وكان نائبه «يوسف ترومبلدور»، وكانت لغة القيادة هى اللغة العبرية، تم تفكيك الكتيبة فى عام ١٩١٦، ولكن تم نقل جزء من جنودها إلى لندن وتم استخدامهم كنواة لبناء كتيبة جديدة [١].

كان من أبرز المبادرين إلى إقامة كتيبة البغال الصهيونية «زئيف جابوتنسكى» و«يوسف ترمبلدور»، ولكن الأول رفض الانضمام إلى الكتيبة عند إقامتها، لأن السلطات البريطانية لم تعهد إليها بمهام قتالية، بينما وافق الثانى، ولهذا ترك «جابوتنسكى» مصر، وكان قد وصل إليها بوصفه صحافياً، بعد إنشاء الكتيبة، واتجه إلى أوروبا عن طريق روما وباريس، للترويج لفكرته الداعية إلى تأسيس كتائب يهودية مقاتلة، تحارب إلى جانب الجيش البريطانى لاحتلال فلسطين [٢].

وفى أوائل الحرب العالمية الأولى تمت المحاولة الثانية لإنشاء بعض الوحدات اليهودية المسلحة حين تصور قادة الحركة الصهيونية أن وجود مثل هذه القوات سيمكنهم من المساومة السياسة مع بريطانيا فيما بعد على خلق الوطن القومى، كما تصوروا - بالذات جابوتنسكى - أن هذه الوحدات يمكن أن تكون مجالاً خصباً لإبراز شخصية المقاتل اليهودى بعد عهود طويلة من حرمان اليهود من حمل السلاح [٣].

وفى الإسكندرية حدثت تحركات صهيونية بين اليهود الذين غادروا فلسطين

(١) אנציקלופדיה כללית כרטאבכרך אחד، משר דהביטחון – ההוצאהלאור، תש״ן1990עמ'296.

(٢) صبرى جريس، تاريخ الصهيونية، الجزء الثانى (١٩١٨-١٩٣٩)، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث ١٩٨٦، ص ٨٢.

(٣) د. النعمانى أحمد السيد، التركيب الاجتماعى للمجتمع الاسرائيلى وأثره على النسق السياسى (١٩٤٨-١٩٧٥)، مكتبة النهضة الشرق (بدون تاريخ) ص ١٧٣.

منذ أن دخلت تركيا الحرب ، بهدف تجميع الشباب اليهودى فى منظمة عسكرية تكون بمثابة التشكيل العسكرى الذى سيتولى حماية التكوين الصهيونى فى فلسطين عند عودتهم إليها، وكان جابوتنسكى يعمل مراسلا لصحيفة Russkay Vyedomosti التى كانت تصدر فى موسكو ، وكانت مقالاته التى كتبها أثناء وجوده بالإسكندرية بتوقيع (Altalena) عن الحرب فى الشرق الأوسط قد جذبت انتباها واسع المدى، أما « ترمبلدور» فكان ذا خبرة عسكرية نظرا لاشتراكه فى الحرب الروسية اليابانية[1] .

ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى ، انتقل « جابوتنسكى » إلى غرب أوروبا فى رحلة صحفية حيث تجول بين السويد وانجلترا وبلجيكا وفرنسا كمراسل حربى لصحيفته .

ولما أعلن عن اشتراك تركيا فى الحرب، أيقن أن الأمل الوحيد فى استعادة فلسطين يكمن فى تجزئة الإمبراطورية العثمانية، وبدأ يفكر فى تكوين كتائب عسكرية تضم الشباب اليهودى وتساعد فى تخليص فلسطين من أيدى الأتراك ، وبدأت مكاتبات بينه وبين الزعيم الروسى إسرائيل روسوف حول وسائل تنفيذ هذه الفكرة منذ نوفمبر ١٩١٤ [2] .

بدأ « جابوتنسكى » نشاطه فى الإسكندرية بأن شكل « قوة بوليسية لحفظ النظام، كنواة للتشكيل العسكرى الذى كان يحلم به ، وفى ٢٣ فبراير عام ١٩١٥ ، ناقش فكرته مع « ترمبلدور » ، وفى مساء نفس اليوم ، اجتمع بثمانية من اليهود كانوا أعضاء فى لجنة إعانة اليهود بالإسكندرية ، وعرض « جابوتنسكى » الخطة التى اتفق عليها مع « ترمبلدور»، وتكونت لجنة الفيلق اليهودى من اليهود

(١) محمد عبدالرؤوف سليم ، تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة (١٨٩٧-١٩١٨) ، معهد البحوث والدراسات لعربية ، ١٩٧٤ ص (٢٣٨-٢٣٩).

(٢) محمد عبدالرؤوف سليم ، مرجع سابق ص (٢٣٨-٢٣٩).

الخمسة الذين وافقوا على فكرة « جابوتنسكى » ، وبعد أسبوع اجتمع «جابوتنسكى» مع مائة شاب يهودى بالإسكندرية حيث حدثهم بالعبرية عن العزم عن تكوين فيلق يهودى لاستعادة فلسطين من أيدى الترك ، ثم جعل يتابع جهوده حتى جمع حوله عدداً من الشبان اليهود الذين آمنوا بفكرته [(١)] .

وقد تم تغذية التطوع لصالح هذه الكتائب من ذكريات الماضى اليهودى حول بطولاته وإذلاله ،ومن هذا الاتجاه لإعادة كبرياء هذا الشعب والمساعدة فى تحقيق أهداف الصهيونية

يجب رؤية هذا التطوع على خلفية الحركة العامة لإنشاء فيالق لشعوب مضطهدة فى إطار جيوش الشعوب القوية المحاربة ضد أعداء شعب المتطوعين ، على غرار فيالق البولنديين فى جيوش نابليون ، وكذلك جيش النمسا فى الحرب العالمية الأولى ، وكذلك التشيك بجوار جيش روسيا فى نفس الحرب [(٢)] .

وفى مارس عام ١٩١٥ تم فى مصر – بمنطقة برج العرب غرب الإسكندرية – إنشاء كتيبة النقل البغالى الصهيونية من ٨٠٠٠ فرد من يهود فلسطين ، وبعد تدريب قصير أبحرت الكتيبة فى إبريل عام ١٩١٥ إلى الدرنيل يقودها ضابط بريطانى يعطف على الصهيونية ويؤيدها ، هو الكولونيل « جون هنرى باترسون » الذى اختار « يوسف ترمبلدور» أركان حربه ، وهكذا رضى صاحب الذراع الواحدة [(*)] أن يساق إلى جاليبولى ومعه ٨٠٠٠ سائق بغل صهيونى [(٣)] .

(١) المرجع السابق ص (٢٣٩-٢٤٠).

(٢) האנציקלופדיההעברית ، כרךעשירי ، חברהלהוצאתאנציקלופדיותבע״מ ، ירושלים –
תשכ״ט – תלאביבעמ' 265

(*) كان ترمبلدور ضابط فى الجيش الروسى ، وفقد إحدى ذراعيه أثناء اشتراكه فى الحرب الروسية اليابانية.

(٣) العميد أ.ح . طه محمد المجدوب ، مرجع سابق ص(٤٤).

وكانت فترة التدريب فى الإسكندرية قصيرة مما حدا بباترسون إلى استئناف التدريب على ظهر السفينة التى نقلت الكتائب إلى الجبهة التى عملوا فيها ، بل يذكر أن باترسون جند عدداً من أفراد تلك الكتائب قبل الإبحار بساعات .

وقسمت الكتائب إلى أربع مجموعات لكل منها آمر إنجليزى وآخر يهودى ، واستغرق التدريب أسبوعين ، فقط أعدت الكتائب للقيام بأعمال نقل المعدات والتموين وليس للحرب الفعلية وسلحت ببعض مما غنمه الإنجليز من الترك حين مهاجمتهم قناة السويس فى فبراير ١٩١٥ ، وحمل أعضاء الكتائب شارة لدرع داود [١] .

وفى يوليو ١٩١٥ ، قدم باترسون تقريراً عن وضع اليهود فى جاليبولى جاء فيه أن عدد رجاله قل إلى النصف نتيجة الخسائر من القتلى والجرحى ، وتنبأ بأن تلك الوحدة اليهودية سوف تنتهى تماماً فى غضون شهرين إذا استمرت الخسائر على نفس المستوى ، واستصدر أمراً بانتقاله إلى الإسكندرية بحجة تجنيد كتيبتين جديدتين من يهود مصر ، وأبحر إلى الإسكندرية فى ٢٥ يوليو وكان ترمبلدور فى معيته [٢] .

وباءت هذه الحملة بالفشل الذريع ، وتم تسريح الكتيبة فى مايو ١٩١٦ مع استبقاء ١٢٠ فرد منها أرسلوا إلى لندن فى أكتوبر من نفس العام كنواة لكتيبة يهودية يمكن تكوينها فى بريطانيا [٣] .

وقد تركت شخصيتا (جابوتنسكى / ترمبلدور) بصمات عميقة فى الجانب العسكرى الإرهابى من الحركة الصهيونية [٤] .

(١) محمد عبدالرؤوف سليم ، مرجع سابق ص (٢٤٢).

(٢) المرجع السابق ص (٢٤٥).

(٣) العميد أ.ح . طه محمد المجدوب ، مرجع سابق ص(٤٥).

(٤) د. هيثم الكيلانى ، مرجع سابق ص ١١٥ .

اتجه « جابوتنسكى » إلى لندن – بعد فشله فى مصر – لدعوة الحكومة البريطانية إلى قبول إنشاء الكتيبة اليهودية ، وتمكن عام ١٩١٦ من الحصول على وعد من الحكومة البريطانية بقبول فكرة إنشاء كتيبة يهودية فى بريطانيا للعمل بفلسطين[*] .

أما « بن جوريون » فقد ركز جهوده مع بن تسفى فى الولايات المتحدة – منذ ذهبا إليها خلال النصف الأول من عام ١٩١٥ – وأعلنا تأييدهما لإنشاء القوة اليهودية المسلحة ، ثم شرعا فى تجنيد كتيبة يهودية جديدة من يهود الولايات المتحدة وغيرهم ، على أن تلحق هذه الكتيبة بالجيش البريطانى[١] .

وفى ٢٧ يوليو ١٩١٧ صدرت الأوامر إلى « كولونيل باترسون » بتكوين الفيلق اليهودى[٢] وفى ٢٣ أغسطس عام ١٩١٧ أعلنت الحكومة البريطانية رسمياً عن تشكيل الكتيبة اليهودية وتعيين الكولونيل باترسون قائداً لها ، وكانت نواة هذه الكتيبة من الأفراد المنتقين من كتيبة البغالة الذين دربوا فى لندن ، ورقوا إلى رتبة الضباط وضباط الصف ، وقد طلب « باترسون » إلحاق « جابوتنسكى » بمكتب الكتيبة التنظيمى وعهد إليه بتدبير المجندين والمتطوعين لضمهم إلى الكتيبة[٣] .

تكوين الكتيبة (٣٨) :

أشرفت على تشكيل هذه الكتيبة وشئونها مجموعة اليهود المنتمين لأصل روسى فى لندن ، نقابة العمال الصهيونية العالمية كانت منقسمة بين فريقين ، الفريق السلبى الذى طالب بالسكون حتى وقت الحرب ، والفريق الإيجابى الذى طالب بالعمل إلى جانب الزملاء، وقد انضم جابوتنسكى للفريق الأخير ، الذى لم

(*) المرجع السابق ص١٤٩ من الكتاب.

(١) العميد أ.ح . طه محمد المجدوب ، مرجع سابق ص(٤٥).

(٢) محمد عبدالرؤوف سليم ، مرجع سابق ص (٢٥٨).

(٣) العميد أ.ح . طه محمد المجدوب ، مرجع سابق ص (٦٦).

ييأس من فكرة الكتيبة المحاربة على الرغم مـن فشـله فى الإسـكندرية ، وقـد رأى فيها قيمة سياسية : كانت تهدف إلى أنه فى أوقـات مناقشـة لجنـة السـلام تكـون فى داخل الحامية العسكرية الموجودة فى فلسطين قوة يهودية ذات قوة فعالة [(١)] .

وقد عمدت الحكومـة البريطانيـة منـذ أن قامـت الحـرب إلى تجنيـد الجهـود البشرية لكل السكان ومن بينهم اليهود ، فى نطاق المجهـود الحربـى، وقـد اهـتم المسئولون بالتوجيه المعنـوى للضبـاط والجنـود اليهـود العـاملين فى الجيـوش البريطانية ، فكان يرافق القوات المحاربة التى ضـمت عـددا مـن اليهـود حاخـام يهودى أو أكثر .

وكثيرا ما قام الحاخام الأكبر لطائفة اليهود البريطـانيين بجـولات فى الخطـوط الأمامية بغية رفع روحهم المعنوية وإقناعهم بأن الغرض الذى يحاربون من أجلـه شريف وسام .

وبدأ المسئولون اليهود يفكرون فى تجنيد كل اليهود منذ أن بدأ ميزان الحرب يميل إلى غير صالح الحلفاء، فيذكر باترسون أن حكومته قررت تكوين الفيلق اليهودى بعـد أن زادت حـراجة موقف جيوشهم المحاربـة ، وفى نهايـة ١٩١٦، وصـل إلى العاصـمة البريطانية مائة وعشرون يهوديا كانوا يعملون فى كتائـب أبنـاء صـهيون، وأعلنـوا عـن رغبتهم فى الخدمة فى الجيوش البريطانية بعد تسريح كتائبهم [(٢)] .

فى الفترة (١٩١٥-١٩١٧) قام « جابوتنسكى » بعمـل دعايـة قويـة مـن أجـل فكرته ، وقد نجح من خلال هذه الدعاية فى إقناع حوالى ٢٠٠ رجل كانوا جاهزين

(١) האנצ " קלופדיה העברית ، כרך עשירי ، חברה להוצאת אנצ־קלופדיותבע " מ ، רושלים – תשכ" ט – תל אביב עמ' ٢٦٧

(٢) محمد عبدالرؤوف سـليم ، تـاريخ الحركـة الصـهيونية الحديثـة ، القسـم الثـانى تصـريح بلفـور وأصداؤه العالمية (١٨٩٧-١٩١٨) ، معهد البحوث والدراسـات العربيـة ، ١٩٧٤ ص (٢٥٦-٢٥٧).

للتطوع .

ومن خلال اعتبارات سلطات الانتداب البريطانية لتجنيد الأجانب بدون قوة إجبار شديدة ، تم تشكيل الكتيبة ، وتم تعيين باترسون قائداً لها وكانت تحتوى على ٨٠٠ فرد[١] .

وقد تم تجنيد أفراد الكتيبة الأولى (٣٨) الخاصة بالملك قلعى فى بريطانيا عام ١٩١٧ من داخل اليهود الذين هاجروا من روسيا إلى بريطانيا ، بمبادرة « زئيف جابوتنسكى » وبتأييد « حاييم وايزمان »، فى عام ١٩١٨ وصلت الكتيبة إلى الجبهة المصرية ، وإلى أرض فلسطين ، توغلت فى منطقة نابلس ومنطقة وادى الأردن ، واشترك عدد من جنوده فى استعراض الانتصار فى القدس[٢] .

تشكيل الكتيبة (٣٩) :

فى عام ١٩١٥ دار حديث بين جابوتنسكي وروتنبرج بشأن توزيع العمل فيما بينهم من أجل إنشاء الكتائب العبرية ، وقد توجه « روتنبرج » إلى الولايات المتحدة ، وقد التقى هناك بدافيد بن جوريون ويهودا بن تسيفى ، الذين تم طردهم من فلسطين ، وقام كل فرد منهم بحسب طريقته بتهيئة القلوب من أجل التطوع فى أرض فلسطين .

ومع دخول الولايات المتحدة الحرب فى مارس ١٩١٧ أثمرت هذه الاستعدادات عن ثمارها ، وبدأت حركة تطوع شعبية متحمسة ، وحسب تقديرات « يهودا بن تسيفى » تطوع فى الولايات المتحدة عدد إجمالى يصل الى ٦٥٠٠ فرد ، وصل منهم إلى انجلترا فى منتصف ١٩١٨ حوالى ٤٠٠٠ فرد ، وقد

(١) האנציקלופדיההעברית ، כרךעשירי ، חברהלהוצאתאנציקלופדיותבע״מ ، ירושלים – תשכ״ט - תלאביבעמ' ٢٦٧

(٢) אנציקלופדיהכלליתכרטאבכרךאחד ، משרדהביטחון – ההוצאהלאור ، תש״ן1990עמ'296

امتدت هذه الحركة حتى وصلت إلى كندا والأرجنتين ، وقد جاء متطوعين منهم أيضاً [١] .

وقد صدرت الأوامر إلى باترسون أثناء فترة تدريب الكتيبة ٣٨ بتكوين كتيبتين آخيرتين غير الكتيبة الحالية (٣٨) ، وحين اكتمل عدد المجندين ، أخبرت السلطات البريطانية بتشكيل كتيبة جديدة حملت رقم (٣٩) ، وقد أوصى باترسون بأن يتولى أمر تنظيمها وتدريبها « ماجور كنوليس » [٢] .

الكتيبة الثانية الخاصة بالملك قلعى وقد تشكلت فى الولايات المتحدة عام ١٩١٧ بمبادرة بنحاس روتنبرج ، يتسحاق بن تسفى ، ودافيد بن جوريون ، وكان متطوعيها من منظمة « החלוץ » ومنظمات أخرى كثيرة ، وقد أرسلت هى الأخرى فى نهاية ١٩١٨ إلى مصر وفلسطين [٣] .

وقد أيد بن جوريون وبن تزفى – الموجودين فى الولايات المتحدة – الجهود التى بذلت فى لندن ، وسارعا إلى الوقوف فى طليعة المتطوعين لإنشاء كتيبة أخرى من اليهود الأمريكيين ، وحاولا إغراء المترددين ودعاة الوسائل السلمية من العمال الصهيونيين ، بالانضمام إلى الجيش الصهيونى الذى ينوى الاستيلاء على فلسطين بالقوة ، تحت ستار طرد الأتراك منها ، من خلال التعاون مع جيوش الحلفاء ، ونجح بن جوريون وزميله فى دعوتهما ، فشكلت « الكتيبة ٣٩ حملة البنادق الملكية » من اليهود الأمريكيين ، وعين قائداً لها الكولونيل اليهودى اليعازر مرجولين من مستعمرة رحبوت، ووصلت هذه الكتيبة إلى مصر فى أغسطس ١٩١٨ ، غير أن الروح المعنوية انهارت بمجرد ذهابها إلى الصحراء وفر

(١) האנציקלופדיההעברית ، כרךעשירי ، חברהלהוצאתאנציקלופדיותבע״מ ، ירושלים – תשכ״ט – תל אביב עמ'268

(٢) محمد عبدالرؤوف سليم ، تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ، مرجع سابق ص (٢٧٣).

(٣) אנציקלופדיה כלליתכרטא בכרךאחד ، משרדהביטחון – ההוצאהלאור ، תש״ן (1990עמ'296).

بن جوريون الى المستشفى بحجة المرض [١] .

وفى الولايات المتحدة الأمريكية، ألهبت فكرة تشكيل تكوين عسكرى يهودى يشارك فى (تحرير) فلسطين حماس آلاف الشبان اليهود ، وبعد أن دخلت أمريكا الحرب فى إبريل ١٩١٧ ، والتحق كل المواطنين فى الجيش العام ، ولم يبق سوى الأجانب (أى اليهود) فتطوع بعض شبانهم فى الكتيبة التى جرى تكوينها هناك [٢] .

ونتيجة لهذه الجهود ، تم تشكيل كتيبة يهودية بعد إعلان تصريح بلفور مباشرة بغرض مشاركة جيوش اللنبى فى تحرير فلسطين ، وبدأ بالتطوع فى هذه الفرقة ، عدد من الشبان اليهود المتحمسين للفكرة الصهيونية، ثم انضم إليهم عدد من الشبان اليهود فى الولايات المتحدة وكندا وبلاد أخرى .

ويذهب أحد المؤلفين الصهيونيين الأمريكيين إلى أن إعداد هذه الكتيبة كان اعتماداً على ما ظهر أنه « وعد بإنشاء دولة يهودية فى فلسطين، وأنه كان على هذه الكتيبة أن تساعد فى غزو فلسطين ، وتبقى هناك بعد الحرب لتكون العمود الفقرى للتكوين العسكرى للدولة اليهودية المستقبلة » .

ومن ذلك يتضح أن الصهيونيين الأمريكيين أظهروا صراحة أن الغرض من التكوين العسكرى اليهودى تكوين نواة لجيش الدولة اليهودية المرتقبة [٣] .

وفى روسيا نشط يوسف ترمبلدور – قادماً من لندن بعد عودة كتيبة البغالة الصهيونية من حملة جاليبولى ، فى صيف ١٩١٧ – فسعى لإنشاء جيش يهودى ضخم قوامه ٧٥ – ١٠٠ ألف يهودى ، يغزو به فلسطين عن طريق القوقاز بعد أن يشق طريقه بالقوة عبر أرمينيا والعراق ، ويحتل فلسطين الشرقية (شرق الأردن) ، غير أن

(١) العميد أ.ح . طه محمد المجدوب ، العسكرية الصهيونية ، المجلد الأول ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، مؤسسة الأهرام القاهرة ١٩٧٢ص (٦٧).

(٢) محمد عبدالرؤوف سليم ، مرجع سابق ص (٢٧٩).

(٣) المرجع السابق ص (٢٨٠).

انهيار الحكومة الروسية فى ذلك الوقت وضع حداً لهذا المشروع الجامح [(١)] .

ووصلت الكتيبة (٣٩) مصر فى نهاية ابريل ١٩١٨ وكانت بقيادة (Lieut – Colonel Eliezer Margolin) ذلك اليهودى الذى كان يحلم بان يتولى قيادة المجندين اليهود للاستيلاء على فلسطين ، وهو ابن لأحد طلائع منظمة (Bilu) ، وقد عاش طفولته فى مستعمرة رحوفوت بفلسطين ، ثم رحل إلى استراليا حيث أصبح رجل أعمال ناجح ، ثم عين ضابطاً فى الجيش الاسترالى ، وحارب فى جاليبولى مع القوات الاسترالية والنيوزيلندية هناك ، ورقى مرتين قبل أن يتولى قيادة الكتيبة (٣٩) [(٢)] .

تشكيل الكتيبة ٤٠

من ١٩١٥ – حتى عام ١٩١٧ واجه الاستيطان فى فلسطين مشكلة خطيرة من الجوع والاضطهاد ، وقد ظهر الشوق إلى الخلاص من خلال تطوع حوالى ١٠٠ شاب من أجل الخدمة كضباط فى الجيش التركى ، وقد تم استقبال الإنجليز كمحررين للأرض فى نهاية عام ١٩١٧ ، لكن الإستيطان كان ضعيفاً، وكثيراً من أبنائه ابتعدوا عنه، وقد خرجت الدعوة الأولى للتطوع العسكرى من القائد الانجليزى فى يافا – تل أبيب الجنرال هيل .

وقد وجدت دعوته صدى بين طائفة العماليين (وعلى الأخص حزب وحدة العمل אחדות העבודה) ، وبين تلاميذ المدرسة الثانوية فى تل أبيب ، وبين عدد من طائفة المزارعين وعلى رأسهم موشيه سميلانسكي .

وقد تم تعبئة ٧٠٠ متطوع لهذه الكتيبة من يافا ، ومن المستوطنات ومن القدس ، وعندما تم السيطرة على منطقة الجليل تم تعبئة ١٥٠ فرد منها ، انضم إليهم ١٠٨ من الأسرى اليهود من الجيش التركى ، وعدداً آخر قليل من الأحياء

(١) العميدأ.ح . طه محمد المجدوب ، مرجع سابق ص (٤٥-٤٦).

(٢) محمدعبد الرؤوف سليم ، مرجع سابق ص (٢٧٨).

الفقيرة فى الإسكندرية ، وقد وصل العدد الإجمالى للكتيبة إلى ١١٠٠ فرد[١] .

وقامت حملة دعائية صهيونية كبيرة لحث يهود مصر على الاقتداء بيهود أوروبا وأمريكا الذين سارعوا بالانضمام إلى جيوش الحلفاء ، دفاعا عن الشعوب الضعيفة ، ونتيجة لتلك الجهود ، تم تكوين كتيبة من يهود مصر حملت رقم (٤٠) تولى قيادتها أول الأمر فريدريك صمويل (الذى تحول للصهيونية أثناء الحرب العالمية الاولى فقط) [٢] .

وفى العاشر من يونيو ١٩١٨ أعلنت السلطات العسكرية البريطانية موافقتها على قبول المتطوعين من اليهود فى فلسطين ، وباشرت السلطات نقل أولئك المتطوعين إلى مصر لتدريبهم [٣] .

وقد أثار تشكيل الكتيبة خلاف داخلى بين الرافضين وعلى الأخص رجال العامل الفتى وبين الملزمين وعلى رأسهم بيرل كتسنلسون وموشيه سميلانسكى ، واهتمت الكتيبة بوظائف الحراسة فقط فى جنوب البلاد، فى سيناء وفى مصر ، وبعد نهاية الحرب تفككت الكتائب من انجلترا والولايات المتحدة ، وتبقت فقط الكتائب اليهودية ، تبقت وخصصت من أجل أن تكون جزء من الحامية، وأطلق عليها لقب الكتيبة الأولى ليهودا [٤] .

وبعد انتهاء القتال مع تركيا ، نقل جنود الكتيبة ٤٠ من مصر إلى فلسطين وانضموا إلى جنود الكتيبتين الآخيرتين ، مشكلين بذلك مع مطلع عام ١٩١٩ قوة

(١) האנציקלופדיההעברית ، כרךעשירי ، חברהלהוצאתאנציקלופדיותבע״מ ، ירושלים – תשכ״ט - תלאביבעמ' (٢٦٨-٢٦٩) .

(٢) محمد عبدالرؤوف سليم ، مرجع سابق ص (٢٨١).

(٣) صبرى جريس ، تاريخ الصهيونية ، الجزء الثانى (١٩١٨-١٩٣٩) ، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الأبحاث ١٩٨٦ ص ٨٤.

(٤) אנציקלופדיהכלליתכרטאבכרךאחד ، משרדהביטחון – ההוצאהלאור ، תש״ן1990עמ'296

يهودية فى فلسطين ، مؤلفة من نحو خمسة آلاف جندى[١] .

وقد ساهمت هذه الكتائب فى الهجوم البريطانى الثانى ، الذى بدأ فى سبتمبر ١٩١٨ لاحتلال شمال فلسطين وسوريا ولبنان، فاشتركت الكتيبة ٣٨ فى احتلال نابلس ، أما الكتيبة ٣٩ فقد عبرت نهر الأردن واشتركت فى الإغارة على السلط ، وبقيت الكتيبة ٤٠ تقوم بأعمال الحراسة فى مصر ثم انتقلت الى فلسطين [٢] .

وانتقل التشكيل العسكرى الصهيونى إلى فلسطين فى شكل الكتائب اليهودية الثلاث (٣٨، ٣٩، ٤٠)، ثم انضم التشكيل إلى الجيش البريطانى تحت اسم فرقة المشاة الملكية ، وقد تميز رجاله عن غيرهم من جنود الجيش البريطانى برمز لدرع داود يزين أكمام سترهم ، وأصبح عدد الرجال فى فرقة المشاة الملكية يوم توقيع اتفاقية الهدنة ستة آلاف من بينهم نسبة كبيرة من المفكرين الذين يمتهنون مهناً حرة [٣] .

وبانتهاء الحرب العالمية الأولى ، وتسريح الكتائب اليهودية تكونت فى فلسطين طبقة من العسكريين المحترفين تدعمهم مجموعات من العسكريين المغامرين من أعضاء منظمة هاشومير التى ظهرت عام ١٩٠٧ ، وفى نفس الوقت نهض النشاط الصهيونى فى فلسطين فى محاولات لإعادة تنظيم القوى العسكرية الصهيونية وتشكيلها فى منظمات جديدة ، تختلف باختلاف اتجاهات الفكر العسكرى الصهيونى السائد فى ذلك الوقت و بين عامى ١٩١٨ و ١٩٢٠ كان هناك ثلاث منظمات عسكرية صهيونية فى فلسطين وهى منظمة « هاشومير » ، ومنظمة جابوتنسكى ، ومنظمة ترومبلدور[٤] .

---

(١) صبرى جريس ، مرجع سابق ص ٨٤.

(٢) العميد أ.ح . طه محمد المجدوب، مرجع سابق ص (٦٨).

(٣) محمد عبدالرؤوف سليم ، مرجع سابق ص (٢٨١).

(٤) العميد أ.ح طه محمد المجدوب ، مرجع سابق ص ٧٣ .

وقد لجأ جابوتنسكى فى مارس عام ١٩١٩ إلى إصدار تعليمات سرية لأفراد الكتائب اليهودية للتمسك بالبقاء فى الخدمة العسكرية حيث إن فى مصلحتهم البقاء فى صفوف الجيش إلى أن يتخذ القرار النهائى بصدد فلسطين، وتتمكن المنظمة الصهيونية من مباشرة النشاط الاستعمارى المنظم، لذلك فإن مهمة الكتائب اليهودية هى الآن أهم بكثير مما كانت عليه فى أى وقت مضى[١].

المجموعات العسكرية اليهودية التنظيمية فى فلسطين

وفى عام ١٩٤٨ كان التجمع الصهيونى الاستيطانى فى فلسطين يضم ثلاثة تنظيمات عسكرية وهى الهاجاناه وهى كبرى التنظيمات الثلاثة وكانت خاضعة للوكالة اليهودية، ومنظمة اتسل المنبثقة عن أفكار « جابوتنسكى » التنقيحية، ومنظمة ليحى، وكانت أصغر المنظمات الثلاثة [٢].

كانت الهاجاناه هى الجناح العسكرى القانونى للوكالة اليهودية، وكانت الأرجون وعصابة شتيرن هى تنظيمات غير قانونية، وكانت تتولى مهام القتال ضد العرب، ومن أجل تمويل هذه العمليات، تم إرسال الآنسة « ميرسون » من قبل الوكالة اليهودية إلى الولايات المتحدة فى مهمة لجمع التبرعات، وخلال ستة أسابيع جمعت مالا يقل عن ٥٠ مليون دولار، تم تحويلها فى الحال إلى الهاجاناه لتمويل العمليات السرية لفروعها فى أوروبا [٣].

إن التكوين الحقيقى للجيش .. بدأ مع قيام منظمة الهاجاناه، وقد أطلق الاسم على المنظمة السرية المسلحة التى أقامها المجتمع اليهودى فى فلسطين فى ظل حكم الانتداب البريطانى، فبعد صدور وعد « بلفور » تكونت أولى الكتائب

(١) المرجع السابق ص (٧١).

(٢) د.عبدالوهاب المسيرى، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد السابع ص ٢٠٣.

(٣) Standford ، HOOVER Institution Press ، Decision on Palestine ،van M. Wilson California 1979 p 132، Standford ،University

اليهودية داخل إطار الجيش البريطانى الذى يقاتل فى مسرح أحداث الشرق الأوسط خلال سنوات الحرب العالمية الأولى ، وكانت هذه الكتائب مكونة من متطوعين ومجندين يهود ... من فلسطين وبريطانيا وأمريكا ، زودوا الشباب اليهودى بفرصتهم الأولى لاكتساب مر ن عسكرى وتنظيم أفضل ، واستطاعت هذه الكتائب أن تجمع كمية معينة من الأسلحة الخفيفة التى ثبت فيما بعد إنها ذات فائدة كبيرة [١] .

الهاجاناه :

الهاجاناه هى كلمة عبرية تعنى الدفاع ، وهى منظمة عسكرية صهيونية استيطانية ، أسست فى القدس عام ١٩٢٠ ، لتحل محل منظمة الحارس، وجاء تشكيلها ثمرة نقاشات طويلة بين قيادة التجمع الاستيطانى الصهيونى فى فلسطين، فكان جابوتنسكى صاحب فكرة تأسيس مجموعات عسكرية يهودية علنية تتعاون مع سلطات الانتداب البريطانى ، بينما كان قادة اتحاد العمل والماباى يفضلون خلق قوة مسلحة غير رسمية ، مستقلة تماما عن السلطات البريطانية وسرية بطبيعة الحال ، وقد قبل فى النهاية اقتراح الياهو جولمب بإنشاء منظمة عسكرية سرية ، تحت اسم الدفاع والعمل ، ثم حذفت كلمة العمل فيما بعد .

وقد ارتبطت الهاجاناه فى البداية باتحاد العمل ثم بحزب الماباى والهستدروت رغم أن ميثاقها كان يصفها بأنها فوق الحزبية، وإنها عصبة للتجمع الاستيطانى الصهيونى ، وعكس نشاط الهاجاناه الارتباط الوثيق والعضوى بين المؤسسات الاستيطانية الصهيونية والمؤسسات العسكرية والزراعية التى تهدف إلى اقتحام العمل والارض والحراسة والانتاج ، وإن كان اهتمامها الأساسى قد انصب على العمل العسكرى [٢] .

(١) محمود عوض ، ممنوع من التداول ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢ ، ص ٩٧.

(٢) د.عبدالوهاب المسيرى ،مرجع سابق ص٢٠٨.

وقد استغل « جابوتنسكى » الوجود العسكرى اليهودى فى فلسطين ، فبدأ منذ ديسمبر ١٩١٩ فى تأسيس قوات عسكرية عرفت فيما بعد بالهاجاناه، وكانت المقاومة العربية قد بدأت فى فلسطين حينما قامت فرقة من الفدائيين العرب بمهاجمة أربع مستعمرات يهودية فى الجليل الأعلى، إلى جانب هجمات أخرى أودت بحياة عشرات من اليهود كان من بينهم ترمبلدور ، شريك جابوتنسكى فى تكوين البناء العسكرى اليهودى (١).

تعثرت هذه الجهود حتى وقعت اضطرابات يافا فى مايو ١٩٢١ ، فأسرع الياهو جولومب فى يونيو من نفس العام إلى عقد اجتماع لقيادة حزب « العمال المتحدين » لإيجاد مجتمع صهيونى دفاعى ، وأمكن التغلب على كافة العقبات بين الفئات الصهيونية العديدة ، وفى ٢٥ يونيو ١٩٢١ وافقت اللجنة العامة للهستدروت ومن أعضائها بن جوريون وبن تسفى على مقترحات جولومب بإنشاء أول منظمة عسكرية صهيونية سرية فى فلسطين « هاجاناه » .

ومن الجدير بالذكر أن الاسم هاجاناه لم يطلق على هذه المنظمة السرية فى بداية الأمر ، وإمعانا فى إخفاء طبيعتها العسكرية أطلق عليها اسم فرقة الدفاع والعمل ، ورغم ذلك فلم يستخدم هذا الاسم علناً ، وكان الاسم المتداول فى السنوات الأولى لإنشائها هو فرقة العمل ، مع إغفال كلمة الدفاع ، وفيما بعد أصبحت فرقة العمل أكبر وأقوى ، وصارت تضم وحدات عسكرية نظامية عرفت باسم منظمة الدفاع أى هاجاناه (٢) .

وهذه المنظمة هى المنظمة العسكرية الإرهابية الصهيونية الأم، وقادت الهاجاناه الصراع المسلح الارهابى لإنشاء دولة اسرائيل منذ عام ١٩٢١ حتى ١٩٤٨ ، حين شكلت مع غيرها من المنظمات العسكرية الإرهابية الصهيونية

(١) محمد عبدالرؤوف سليم ، مرجع سابق ص (٢٨٣).

(٢) العميد أ.ح . طه محمد المجدوب ، مرجع سابق ص (٧٦-٧٧) .

المماثلة « جيش الدفاع الإسرائيلى » .

وفى عام ١٩٢٤ صدر دستور الهاجاناه الذى عرفها بأنها منظمة عسكرية سرية تستهدف الحفاظ على التجمع الاستيطانى الصهيونى فى فلسطين ، وبأنها مفتوحة لكل عبرى وعبرية يبلغ من العمر سبعة عشر عاماً وما فوق .

تشكلت الهاجاناه فى بداية الأمر تحت اسم « فرقة الدفاع والعمل » ، ثم أسقطت كلمة العمل فيما بعد ، ويلاحظ هنا الارتباط العضوى بين المؤسسات الصهيونية الاستيطانية العسكرية والزراعية التى تهدف إلى احتلال الأرض بالقوة المسلحة والطرد والإرهاب ، كما تهدف إلى العمل والحراسة .

فى البداية كانت كل مستعمرة صهيونية وكل حى صهيونى مسئولين عن دفاعهما الذاتى بإدارة القيادة المركزية للهجاناه، وبعد أحداث ثورة ١٩٢٩ أعادت الهاجاناه تنظيم نفسها على أساس التوسع بالاحتلال والعدوان والإرهاب ، وبدأت تجمع السلاح وتكدسه وتصنع بعض أنواعه [(١)] .

دور الهاجاناه فى قمع الانتفاضة العربية :

وفى عام ١٩٢٩ شاركت الهاجاناه فى قمع انتفاضة العرب الفلسطينيين ، وقامت بالهجوم على المساكن والممتلكات العربية ، ونظمت المسيرات لاستفزاز المواطنين العرب وإرهابهم ، كما ساهمت فى عمليات الاستيطان وخصوصا بابتداع أسلوب السور والبرج لبناء المستوطنات اليهودية فى يوم واحد .

وبالإضافة إلى ذلك قامت الهاجاناه منذ تأسيسها بحماية المستعمرات الصهيونية وحراستها .

وقد تعرضت الهاجاناه لعدة انشقاقات كان أبرزها عام ١٩٣١ ، عندما انشق جناح من غير أعضاء الهستدروت بقيادة إفراهام تهومى ، وكون تنظيماً مستقلاً

(١) د. هيثم الكيلانى ، مرجع سابق ص ١١٦-١١٧.

سمى الهاجاناه ب ، وهو الذى اندمج مع منظمة بيتار فى العام نفسه لتشكيل منظمة اتسـل ، ولم تتوقـف عمليـات الصـراع والمصـالحة بـين الهاجانـاه والجماعـات المنشقة عنها ، واستمر الخلاف بشكل مستمر حتى قيام الدولة [١] .

التعاون بين الهاجاناه والقوات البريطانية :

وقد شهدت سنوات الانتفاضة تعاوناً كبيـراً بـين الهاجانـاه وقـوات الاحـتلال البريطانى ، وبرز التعاون خاصة مـع تعيـين تشـارلز وينجـين ضـابط للمخـابرات البريطانية فى فلسطين عام ١٩٣٦، حيث أشرف على تكوين الفرق الليلية الخاصـة والسرايا المتحركة التابعة، وتنسـيق الأنشـطة بـين المخـابرات البريطانيـة وقسـم المخابرات الخاص بالهاجاناه والمعروف باسم شاى .

وفى الوقت نفسه تعاونت القوات البريطانية والهاجاناه فى تشكيل شرطة حراسة المستوطنات اليهودية والنوطريم ، و كان معظم أعضائها من الهاجاناه .

وقد مرت العلاقة بين الطرفين بفترة تـوتر قصـيرة فى أعقـاب صـدور الكتـاب الأبيض عام ١٩٣٩، حيث شجعت الهاجاناه الهجرة الغير شرعية، إلا أن نشـوب الحرب العالمية الثانية أدى إلى اسـتعادة التحـالف القـديم ، إذ اعتبرهـا الصـهاينة فرصة لاستغلال التناقضات بين الأطراف المتصارعة وتحقيق مشروعهم المتمثل فى إقامة الدولة الصهيونية ، وهكذا وقفت الهاجاناه إلى جانب بريطانيا والحلفـاء ، وانضم كثير من أعضائها إلى اللواء اليهودى للقتال فى صفوف القوات البريطانيـة ، وتصدت بشدة للجماعات اليهودية الأخرى التى طالبت بالانضمام إلى النازى وفى مقدمتها منظمة ليحى [٢] .

وقد تحملت الهاجانـاه العـبء الأساسـى فى مجـال تكـوين القـوة المسـلحة

(١) د.عبدالوهاب المسيرى ، مرجع سابق ص٢٠٨.

(٢) د.عبدالوهاب المسيرى ، المرجع السابق ص٢٠٩.

وتنظيمها وتدريبها وتسليحها ، فضلاً عن قيامها ببعض العمليات الحيوية ، وبدأ تدعيم الهاجاناه بإيجاد « هيئة عاملة للأركان العامة » مزودة بالعناصر المدربة [(١)] .

ومن أبرز أعمال الهاجاناه إقامة شبكة واسعة النطاق من المخابرات لجمع المعلومات سواء عن العرب أو البريطانيين ، كما اهتمت الهاجاناه بأمور التسليح وشراء الأسلحة .

وفى مجال التنظيم الدفاعى ، أنشأت الهاجاناه نظاما دفاعياً للمستعمرات ووضعت خطة لإنشاء المستعمرات الجديدة بحيث يمكنها تغطية الثغرات وتلافى العيوب التكتيكية والاستراتيجية، كما حولت كافة المستعمرات إلى شبكة دفاعية منسقة ، واعتمدت إلى حد كبير على نظام السور والبرج فى توفير الأمن المحلى للمستعمرة .

وقد كانت الهجرة غير الشرعية تتم تحت إشراف الهاجاناه ، فتأتى السفن إلى شواطئ فلسطين ، حيث تتولى الكمائن البحرية ودوريات الزوارق والكمائن البرية حماية رأس الشاطئ الصغير، حتى يتم إنزال المهاجرين ونقلهم إلى الداخل وفى أوروبا تولت الهاجاناه نقل المهاجرين من شرق أوروبا ووسطها إلى الساحل الأوروبى للبحر المتوسط ، وتنظيمهم في معسكرات سرية وتحميلهم على السفن، وذلك تحت إشراف لجنة الهجرة غير الشرعية « موساد » التابعة للهاجاناه [(٢)] .

المنظمة العسكرية القومية « اتسل »

منظمة صهيونية إرهابية ، اسمها « أرجون تسفائى لئومى » أى المنظمة العسكرية القومية ، وتختصر حروف اسمها فى كلمة اتسل ، وشعارها يد تمسك ببندقية مكتوب تحتها هكذا فقط רק כך ، وقد تأسست عام ١٩٣١ منشقة عن الهاجاناه واحتجاجا عليها ، حين اتهمت الارجون الهجاناه بالاعتدال فى حربها

(١) العميد أ.ح . طه محمد المجدوب ، مرجع سابق ص(١٤١) .
(٢) المرجع السابق ص (١٤٢) .

ضد العرب، وأن عليها الالتزام منذ البداية بخطة للهجوم دون التراجع قيد أنملة عن أهداف الصهيونية الكبرى ، ويعتبر « جابوتسنكى » الأب الفكرى لهذه المنظمة الإرهابية، وقد وضع كتاباً عن الفرقة اليهودية ، صور فيه اليهود غزاة أوروبيين ، عليهم أن يحتلوا فلسطين بالقوة ويطهروها لكى تتسع رقعة أوروبا حتى نهر الفرات[1].

وعلى مدى سنوات كان غالبية أعضائها شباب من الحركة الإصلاحية بيتار ، ولأسباب سرية لم يعتادوا على مناداة المنظمة باسمها وكانوا يطلقون عليها الهجانا أو المعمد (המעמד) [2].

كانت التعليمات الدائمة التى لقنت لأفراد الأرجون تنص على مايلى :

قتل أى فلسطينى، مهما كان عمره أو جنسه ، سواء كان طفلا أو شيخاً أو امرأة أو شاباً ، اضرب واهرب، اضرب بقسوة وقوة ، إلقاء القنابل فى التجمعات العربية التى يرتادها العرب والفرار فورا [3] .

عندما ظهرت الأرجون ، اعتمدت على نموذج جابوتنسكى للجندى المحترف غير السياسى ، وجندت أعضاءها من المستعمرات الزراعية الخاصة القديمة مثل (روش بينا / بتاح تكفا / رحابوت / ريشون لتسيون)، وبذلك أصبح النظام الزراعى الرأسمالى حول تل أبيب هو مصدر الأرجون للقوى البشرية ، وتركز الخلاف بين الهاجاناه والأرجون حول قضية الالتزام السياسى ، وقد خدم هذا الاختلاف المخطط الصهيونى دون شك ، فيما يتعلق بتوزيع الأدوار بين المنظمات العسكرية المختلفة .

فقد شكلت الأرجون على أساس إنشاء جيش صهيونى أكثر تخصصا بعيداً عن

(١) د. هيثم الكيلانى ، مرجع سابق ص ١٢٠.

(٢) מתוךויקיפדיה، האנציקלופדיההחופשית

(٣) د. هيثم الكيلانى ، مرجع سابق ، ص ١٢٢.

تيارات السياسة ، أما الهاجاناه فقد ظلت تابعة للصهيونية الاشتراكية تتلقى أوامرها من اليشوف وترتبط عملياتها بالقرارات السياسية المعلنة ، وهكذا يتحقق التوازن بين مطالب السياسية الصهيونية الخفية والرسمية [1] .

بداية إنشاء المنظمة :

فى البداية كانت الأرجون تسمى « الهجانا ب » ، عندما قام أغلب قادة الهجانا والزعماء فى القدس بإنشاء منظمة مستقلة وانضمت إليها فروع أخرى فى صفد وحيفا وتل أبيب وكانت هناك اتفاقية غير رسمية مع بيتار ومكابى (النادى الرياضى الإقليمى) بشأن تجنيد أعضاء جدد وكان من أسباب حدوث هذا الانقسام فى منظمة الهجانا الاختلافات السياسية والفردية ولكن كان هناك أيضاً أسباب أخرى ، الهجمات العربية التى حدثت فى عام ١٩٢٩ أظهرت عيوب خطيرة فى الدفاع الذاتى اليهودى وقد تسبب ذلك فى مناقشات حادة ، فرع الهجانا ب لم يكن جزءاً من الحركة الإصلاحية التى كانت تضم فى إدارتها أحزاب يمينية (بما فى ذلك حزب أجودات يسرائيل الغير صهيونى) القوة الفعلية كانت فى أيدى الحركة الإصلاحية التى استوعبت غالبية الضباط وأغلب رجال الصف والقيادة ، « أفراهام تهومى » لم يكن بأى حال من الأحوال رجل حزبى ولم يلتزم بتعليمات الحزب بشأن تعيينه لجابوتنسكى ، وفى السنوات الأولى من قيام المنظمة كانت منظمة صغيرة وكان لديها القليل من السلاح وبدون تمويل مالى تقريباً [2] .

ولم يكن الوضع مختلفاً بالنسبة للمنظمة ب اتسل ، التى كانت ، عملياً ، عبارة عن فرع الهجاناه المنشق فى القدس ، وضم نحو ١٠٠ عضو ، وبقيت كذلك خلال سنة ونصف سنة بعد الانشقاق ، إلى أن أقيم فرع آخر لها فى صفد فى شهر

(١) العميد أ.ح . طه محمد المجدوب ، مرجع سابق ص (١٤١) .

(٢) זאבלקויר، תולדותהציונות، תרגוםחיםגליקשטיין، הוצאתשוקןירושליםותלאביב 1974 עמ' 297

نوفمبر عام ١٩٣٢، ثم أقيم خلال السنة التالية ، فرعان آخران فى مدينتى تل أبيب وحيفا ، وكذلك مدت اتسل جذورها إلى بعض المستوطنات اليهودية ، خصوصاً تلك منها التى كان للتصحيحيين نفوذ ومؤيدين فيها ، فأقيمت ثلاثة فروع أخرى فى كفار سابا ورامات جان وناتانيا ، وقدرت قوة اتسل فى ربيع عام ١٩٣٣ ، بنحو ٣٠٠ عضو ، تحت تصرفهم ٩٠ مسدس ، بينما قدرت قوة الهاجانا البشرية بنحو عشرة أضعاف ذلك العدد ، وبالنسبة للسلاح بنحو عشرين ضعف [١].

وفى الفترة من ١٩٣٣-١٩٣٤ بعد مقتل « ألروزلوف » أدى هذا الأمر إلى استقطاب كثير من المتطوعين إلى المنظمة ، وتم تأسيس فروع فى المستوطنات الزراعية انضم إلى صفوفها مهاجرين جدد [٢].

طابع المنظمة

« زئيف جابوتنسكى » هو من رسم الطريق الفكرى للمنظمة والقائد الأعلى لها وقد جاء أعضاء منظمة اتسل فى الأساس من صفوف منظمة بيتار والحركة الإصلاحية فى الأساس من داخل فلسطين وخارجها وقد منحت الحركة الإصلاحية للمنظمة السرية جبهة شعبية فعلية وكان زئيف جابوتنسكى مؤسس الصهيونية الاصلاحية هو قائدها الأعلى حتى وفاته ، وقام بتحديد الخطوط العامة لعمل المنظمة مثل سياسة ضبط النفس وكسرها وفى ضوء التعاليم التى وضعها عمل رجال المنظمة السرية [٣].

بعد اندلاع أحداث ١٩٣٦ كانت منظمة الهجانا ضد القيام بعمليات انتقامية ، وكان هناك اختلافات فى الرأى داخل المنظمة ، وعارض كل من تهومى وجابوتنسكى العمليات الإرهابية المضادة ولكن كثيراً من الضباط الصغار لم

(١) صبرى جريس ، مرجع سابق ص ٣٠٩-٣١٠.

(٢) זאבלקויר، שםעמ׳ 297 .

(٣) מתודויקיפדיה، האנציקלופדיההחופשית.

يوافقوا على ذلك فقاموا بعمليات انتقامية بدون الحصول على تصريح من القيادة المركزية ، وبالإضافة إلى ذلك فقد توصل « تهومى » إلى استنتاج مفاده أنه من الضرورى توحيد منظمتى الهجانا اليهوديتين فى وقت حالة الطوارئ القومية ، وعندما تم اقترح توحيد منظمة الهجاناه من جديد تم قبول هذا الاتفاق وتأييده بواسطة أغلب المؤيدين الغير إصلاحيين ، وفى ابريل ١٩٣٧ انقسمت المنظمة بعد التصويت الذى تم أجراؤه من أجل الانضمام إلى الهجانا أو عدم الانضمام [١] .

فى عام ١٩٣٧ حدث انقسام فى منظمة اتسل ، وعاد أفراهام تهومى إلى صفوف منظمة الهجانا ومعه تقريباً نصف أعضاء منظمة اتسل ، الباقون بدأوا فى نوفمبر من عام ١٩٣٧ بعمليات عدائية ضد العرب فى أماكن مختلفة فى فلسطين ، ورد البريطانيون عليهم بحزم ، تزايدت أعمل منظمة اتسل ضد الجيش البريطانى فى مايو ١٩٣٩ مع الإعلان عن صدور الكتاب الأبيض .

وقد عملت هذه المنظمة فى فلسطين فى نهاية فترة الانتداب البريطانى (١٩٣٧-١٩٤٨) ، وجاء أغلب أعضائها من صفوف الإصلاحيين ، بيتار ، رابطة الجندى العبرى – منظمة الجنود اليهود الذين تم تسريحهم من جيوش أوروبا ، تم إنشاء هذه المنظمة فى أعقاب الانقسام الذى حدث فى صفوف منظمة الهجانا عام ١٩٣٧ ، وقد انفصل عدد من قادة وأعضاء المنظمة وكونوا فى ذلك الوقت المنظمة العسكرية ب برئاسة أفراهام تهومى ، وفى شهر ديسمبر ١٩٣٦ تم تعيين تهومى قائداً لمنظمة اتسل ، وكان خاضعاً لتعليمات « جابوتنسكى » ، وقد طالب الإصلاحيون باتباع أسلوب أكثر شدة مع العرب ، ولكن أعلنوا معارضتهم للمقاومة المسلحة ضد سلطات الانتداب [٢] .

(١) זאבלקויר، שמעמ' 297 -298.

(٢) אנציקלופדיהכלליתכרטאבכרךאחד ، משרדהביטחון – ההוצאהלאור ، תש״ן 1990עמ' 164

رمز المنظمة

كان رمز المنظمة عبارة « هكذا فقط » («רק כך») وبجوارها يد ممسكة بالبندقية على خلفية أرض اسرائيل من كلتا ضفتى نهر الأردن وقد عبر هذا الرمز عن التطلع للسيطرة على كل (أرض إسرائيل) والتى سيتم الوصول إليها فقط عن طريق قوة السلاح العبرى، وقد صمم هذا الرمز « يهوشع أدرى » الرسام وفنى الكاريكاتير الخاص بصحيفة « المراقب » (המשקף) .

قادة منظمة اتسل

القائد الأعلى (١٩٣٧-١٩٤٠) زئيف جابوتنسكى

(١٩٣١-١٩٣٧) أفراهام تهومى

(١٩٣٧) روبرت فيتكار

(١٩٣٧-١٩٣٨) موشيه روزنفرج

(١٩٣٨-١٩٤١) دافيد رزيئيل

(١٩٤١-١٩٤٣) يعقوف مريدور

(١٩٤٣-١٩٤٨) مناحم بيجن [١] .

وقد سار نصف عدد أعضاء الهجانا (البالغ عددهم ثلاثة آلاف عضوا) أو عدداً أقل من النصف بقليل وراء تهومى من أجل العودة إلى الهاجاناه واستمر الباقين فى كونهم قوة عسكرية مستقلة تحت قيادة « روبرت فيتكار » وبعد ذلك « موشيه روزنبرج » و« دافيد رزيئيل » ، وقد أكدت « الأرجون » على الانضباط العسكرى بشكل أكبر من منظمة الهجانا التى كانت تعانى من ضعف فى الحالة التنظيمية ،

(١) מתוךויקיפדיה, האנציקלופדיההחופשית.

ولكنه فى الحقيقة كان نضالاً صعباً، وغير متوقف فى داخل المنظمة، وكان يمثل ضغطاً معارضاً على القيادة العليا من جهة فروعها ، وبدأت مجموعات منفصلة من المنظمة رداً على مقتل عدداً من اليهود فى القيام بهجمات ضد العرب الذين مروا بأحياء يهودية ، وتمت أيضا عمليات إلقاء لقنابل فى الأسواق العربية وفى محطات الأوتوبيسات ، فى الوقت الذى كانت فيه هذه العمليات الانتقامية غير مصحوبة بأخطار كبيرة ، ولكنها كانت تقريباً بدون فائدة، ولم تسبب أية خسائر لأولئك المسئولين عن قتل اليهود ولم تنجح هذه العمليات فى إيقاف المقاومة العربية ، وبعد إعدام محارب شاب عضو بالمنظمة يدعى « بن يوسف » بعد إصدار حكم عليه بالإعدام عن طريق محكمة عسكرية بريطانية ، ازداد معدل الهجمات من قبل المنظمة على المواطنين العرب ، وعندما كمنت المنظمة وقتلت يهودى عن طريق الخطأ بعدما ظنته أنه عربى ، تم اعتقال الذى قام بعملية الاغتيال بواسطة الهجانا وردت منظمة الأرجون باختطاف عضو الهجانا ، وأمام احتمال اندلاع حرب أهلية يهودية تم إجراء مباحثات طارئة بين قادة الجهات المتنازعة[1] .

منظمة اتسل وسلطات الانتداب البريطانى :

منظمة اتسل تعتبر منظمة إرهابية فى نظر حكومة الانتداب البريطانى، وبناء على ذلك كان يتعاون جزء من معارضى المنظمة مثل العناصر الإضافية الأخرى مثل لجنة التحقيق الأنجلوأمريكية حول شئون البلاد ، الصحف القومية فى الفترة التى سبقت قيام الدولة .

هناك مؤرخون يرون فى النضال المسلح الذى قامت بجزء منه منظمة اتسل ، عنصر جوهرى فى خروج البريطانيين من فلسطين بينما نظر مؤرخون آخرون بالسلب تجاه عدم انصياع المنظمات المنشقة (اتسل / ليحى) لقيادة اليشوف

(١) זאבלקויר, שםעמ 297 -298 .

وأيضا لم يروا أعمالهم عنصراً جوهريا فى خروج البريطانيين [١] .

وقد تم إرسال « دافيد رزيئيل » إلى العراق من قبل المخابرات البريطانية وهناك لقى مصرعه ، وتم تعيين مناحم بيجن قائداً لمنظمة اتسل بدلاً منه .

فى عام ١٩٤٠ انفصل « أفراهام شتيرن » عن المنظمة وكون منظمة لحي ، فى بداية عام ١٩٤٤ بعدما أغلق البريطانيون أبواب فلسطين أمام الناجون من الكارثة النازية ، وفرضوا عقوبات على امتلاك الأراضى والاستيطان اليهودى ، استأنفت منظمة اتسل عملياتها ضد البريطانيين بقوة أشد من ذى قبل .

تمت مهاجمة مؤسسات حكومية، ومعسكرات تابعة للجيش ، مبانى شرطة ومعتقلات ، مطارات وقطارات، ورد البريطانيون بيد قوية ، تم اعتقال أكثر من ثلاثة آلاف رجل فى معسكرات الاعتقال ، وتم نفى حوالى ثلاث مئة شخص إلى أفريقيا ، وتم إعدام عدد آخر على المشنقة .

عمليات اتسل التى عارضت سياسيًا مؤسسات الاستيطان العليا والحركة الصهيونية ، أوصلت اليهود إلى حافة الحرب الأهلية فى فترة النزاع بين الحركات السرية ، ساعدت منظمة الهجانا البريطانيين على اعتقال عدد من أعضاء اتسل ، ولكن فى نهاية ١٩٤٥ عندما اتضح أن الحكومة البريطانية تتنكر لوعودها ومستمرة فى اتباع سياسة الكتاب الأبيض ، حدث تعاون مؤقت بين منظمات الهجاناه واتسل ولحى فى إطار حركة التمرد ، وفى نفس هذا الوقت تم تفجير فندق الملك « داود » وسرعان ما تفككت حركة التمرد ، فى حين استمرت اتسل فى أعمالها بشكل مستقل حتى إقامة الدولة ، مع اندلاع حرب ٤٨ ازداد التعاون بين اتسل والقوات الدفاعية، وفى ١/٦/١٩٤٨ انتهت منظمة اتسل ، والتحق جنودها بجيش الدفاع الإسرائيلى [٢].

---

(١) מתוךויקיפדיה, האנציקלופדיההחופשית .

(٢) אנציקלופדיהכלליתכרטאבכרךאחד ، משרדהביטחון – ההוצאהלאור ، תשי"ן 1990 עמ'

164

وكانت منظمة الأرجون قد اتخذت موقفاً مناوئاً لسلطات الانتداب البريطانى ، منذ بداية ظهورها ، وهو موقف يتعارض مع آراء « جابوتنسكى » الأب الروحى لهذه الجماعة الذى كان يرى أن يعمل هذا التنظيم تحت إشراف حكومة الانتداب ، ويكون خاضعاً لسلطتها وتوجيهها المباشر ، لذلك اعترض « جابوتنسكى » على هذه السياسة ، باعتبار أن الأرجون تجاوزت حدود آرائه .

ولما نشر الكتاب الأبيض فى مايو ١٩٣٩ ، أعطى للأرجون خير مبرر لمزيد من أعمال الإرهاب ، وفى أغسطس من نفس العام أذاعت هذه العصابة بيانا تبرر به أعمالها الإرهابية ، ذكرت فيه ان غزو فسطين واستقلال أمة مظلومة لايتم إلا حين تدعمه القوة العسكرية ، وأن حوادث أعوام ٢٠، ٢١ ، ٢٩ ، ٣٦ أثبتت بالتأكيد نية العرب فى استعمال العنف المسلح لمقاومة إنشاء الدولة اليهودية .

ولكن بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية فى ٣ سبتمبر ١٩٣٩ ، دفع زعماء الصهيونية إلى وقف أعمال العنف والإرهاب والتوقف عن إحراج بريطانيا أثناء حربها ضد العدو المشترك « المانيا النازية » وكان ذلك هو موقف جميع الاتجاهات الصهيونية ، ذلك لأنها وجدت مصلحتها الكبرى فى هزيمة ألمانيا ، لأن انتصارها يعنى القضاء على الصرح الذى شيدته الصهيونية فى فلسطين بمساعدة بريطانيا التى تقف الآن فى مواجهة العدو الأول لليهود [١] .

أما التصحيحيون واتسل ، فقد انتهجوا طريق مغاير تماماً ، نجم عن سياسة مخالفة لتلك التى انتهجتها القيادة الصهيونية ، فالتصحيحيون لم يكتفوا بإعلان معارضتهم للتقسيم فقط ، بل بذلوا كل ما فى وسعهم لإفشاله ، وراح « جابوتنسكى » يطلق نظريات جديدة ، فرداً على دعوات حل القضية الفلسطينية بواسطة إقامة دولتين ، يهودية وعربية ، أطلق « جابوتنسكى » نظرية الترحيل ، التى دعت إلى ترحيل اليهود من دول أوروبا الشرقية ونقلهم إلى فلسطين وشرق الأردن ليصبحوا أكثرية هناك ،

(١) العميد أ.ح . طه محمد المجدوب ، مرجع سبق ص (١١٩) .

تشكل أساسا لإقامة الدولة اليهودية على المنطقتين بكاملهما [١].

وانطلاقا من موقفهم هذا، انتهج التصحيحيون فى فلسطين سياسة مخالفة لتلك التى اتبعتها الوكالة اليهودية والهاجاناه، ففيما كان هؤلاء يدعون إلى التمسك بضبط النفس، أرسل جابوتنسكى، فى أواخر أبريل ١٩٣٧، تعليمات إلى اتباعه أوضح لهم فيها أنه فى حال تجدد الاضطرابات فى فلسطين والتعرض لليهود، ينبغى عليهم الرد، وفى أواخر يوليو ١٩٣٧، وبعد أن قتل ثلاثة يهود، قام رجال اتسل بشن هجمات على العرب، فى أماكن عدة فى تل أبيب والقدس، أسفرت عن سقوط عدد من القتلى والجرحى [٢].

ومع مطلع يوليو ١٩٣٨، راحت اتسل تشن هجماتها ضد العرب فى القدس وتل أبيب - يافا وحيفا، بأساليب مختلفة، مثل رمى القنابل على أماكن تجمعات العرب أو إطلاق النار على المارة هنا وهناك، أو على الباصات العربية، ثم صعدت من إجراءاتها، فلجأت إلى زرع الألغام فى أماكن التجمع العربية، بهدف إيقاع الإصابات بأكبر عدد ممكن من العرب، ففى السادس من ذلك الشهر، انفجر برميل حليب الواحد تلو الآخر، مملوءان بالديناميت ومزودان بساعتى توقيت، فى السوق العربى فى حيفا، فأدى انفجارهما إلى مقتل ٢١ وجرح ٥٢ عربيا، وبعد ذلك بثلاثة أيام، انفجر لغم آخر، كهربائى هذه المرة، فى محطة الباصات فى يافا، أسفر انفجاره عن مقتل ثلاثة وجرح ١٩ عربياً، وفى الخامس عشر من الشهر ذاته، انفجر لغم مماثل فى سوق الخضار فى المدينة، أسفر عن مقتل عشرة وجرح ٣٠ عربياً، وبعد ذلك بعشرة أيام جاء سوق حيفا ثانية، حيث انفجر فى سوقها لغم آخر مماثل أدى إلى مقتل ٣٥ وجرح ٧٠ عربياً [٣].

(١) صبرى جريس، مرجع سابق ص ٣٧٥.
(٢) صبرى جريس، مرجع سابق ص ٣٧٥ -٣٧٦.
(٣) صبرى جريس، مرجع سابق ص ٣٧٦ -٣٧٧.

التعاون بين اتسل والقوات البريطانية :

وكانت إحدى الأعمال التى قامت بها اتسل لخدمة بريطانيا أثناء الحرب تهدف إلى تدمير قوات الموالية للنازية فى العراق ، وقد خرج للقيام بهذه العملية « دافيد رزيئيل » قائد المنظمة و « يعقوب سيكا أهاروني » ويعقوب مريدور » من أجل تفجير طائرات المانية فى مطار حفنيا فى منطقة بغداد، وقتل دافيد رزيئيل فى العملية، وقد أدى سقوط قائد المنظمة ضربة قاسية أدت إلى انقسام المنظمة ووفاة « جابوتنسكى » .

قيادة اتسل الجديدة برئاسة يعقوب مريدور قامت بوقف العمليات من أجل إعادة بناء المنظمة التى هدأت بسبب الضربات التى تعرضت لها وفى هذه الفترة حدث تقارب بين معسكر منظمة اتسل ومعسكر الوكالة اليهودية، وتم التوقيع على اتفاق من أجل خطة عمل صهيونية خلال فترة الحرب ومؤتمر السلام ولكن إصرار « بن جوريون » رئيس إدارة الوكالة اليهودية على قبول المنظمة لسيادة الوكالة عليها نسف كل الجهود [1] .

فى عام ١٩٣٧ توصل « تهومى » (قائد اتسل) إلى اتفاق مع الهاجاناه لدمج الحركتين معاً فى قوة دفاعية واحدة ، ولكن فى أعقاب الاتفاق طرأ انشقاق فى اتسل فى نيسان ١٩٣٧ فسار حوالى نصف عناصر اتسل البالغ عددهم ثلاثة آلاف شخص مع تهومى والبقية ظلوا فى اتسل لمواصلة وجودهم المستقل ، وأصبح القائد الأول للمنظمة بعد الانشقاق « روبرت بيتكر » وبعده « موشيه روزنبرج » ثم دافيد رزيئيل [2] .

(١) מתוך ויקיפדיה, האנציקלופדיה החופשית .

(٢) أفرايم ومناحم تلمى : معجم المصطلحات الصهيونية ، ترجمة : أحمد بركات العجرمى ، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية ، الطبعة الأولى ١٩٨٨ ص ٣٠.

وقد تطور نشاط المنظمة واتجه أيضاً للقيام بحرب عصابات ضد سلطات الانتداب البريطانى – والقيام بهجمات على محطات الشرطة البريطانية وعلى قواعد الجيش البريطانى .

فى مرحلة محددة فى الفترة (١٩٤٠-١٩٤٤) قامت منظمة اتسل بعملية ضبط النفس ، وأوقفت عملياتها الإرهابية ، وهى هدنة مع البريطانيين اتفقتا فيهما منظمتا الهجاناة واتسل ، كان الهدف منها منع وقع ضرر تجاه جهود الحرب البريطانية ضد العدو الألمانى فى الحرب العالمية الثانية ، وفى فترة متأخرة بعد ذلك ، فى فترة التمرد العبرى ، من نوفمبر ١٩٤٥ وحتى اغسطس ١٩٤٦ ، تعاونت المنظمات الثلاث – اتسل وليحى والهجانا فى النضال المسلح ضد البريطانيين[١] .

مع دخول بريطانيا الحرب ضد النازيين أوقفت اتسل كفاحها ، وأعلنت عن استعدادها لمساعدة قوات الحلف ومن ضمنها بريطانيا ، ومع مرور الوقت حدثت خلافات داخل اتسل حول أساليب وطرق العمل ، وفى عام ١٩٤٠ انشقت عن اتسل مجموعة متطرفة بزعامة أفراهام شتيرن ، وأطلقت على نفسها اسم «ليحى» ، وبما أن البريطانيين لم يغيروا مواقفهم المعادية للصهيونية ، وواصلوا محاربتهم للهجرة ومنعوا اليهود من شراء الأراضى والاستيطان جددت اتسل نشاطها ورد البريطانيون بعنف واعتقلوا مئات الأعضاء من اتسل وهجروهم إلى خارج فلسطين .

تصاعد الصراع مع الإنجليز فى نهاية الحرب العالمية الثانية عندما شدد وزير الخارجية بيفن قراراته ضد الهجرة والاستيطان اليهودى فى فلسطين[٢] .

(١) נעמיגל-אור ، המחתרתהיהודית : טרוריזםשלנו ، הוצאתהקיבוץהמאוחד 1990 עמ' ٢٥

(٢) أفرايم ومناحم تلمى، مرجع سابق ص ٣١ .

منظمة ليحي :

ليحي اختصار العبارة العبرية « لوحمى حيروت يسرائيل »وهى منظمة عسكرية صهيونية سرية أسسها « أفراهام شتيرن » عام ١٩٤٠ بعد انشقاقه هو وعدد من أنصاره عن منظمة اتسل، وقد أطلق المنشقون على أنفسهم فى البداية اسم «أرجون تسفائى لئومى بإسرائيل » أى المنظمة العسكرية القومية فى إسرائيل تمييزاً عن اسم المنظمة الأم ثم تغير فيما بعد إلى ليحى ، ومنذ عام ١٩٤٢ أصبحت المنظمة تعرف بإسم مؤسسها « شتيرن » بعد مقتله على أيدى سلطات الانتداب البريطانى فى فلسطين، وقد تركزت الخلافات التى أدت إلى الانشقاق حول الموقف الواجب اتخاذه من القوى المتصارعة فى الحرب العالمية الثانية ، حيث اتجهت اتسل إلى التعاون مع بريطانيا، بينما طرحت جماعة « شتيرن » الوقوف إلى جانب ألمانيا النازية للتخلص من الاحتلال البريطانى لفلسطين ومن ثم إقامة الدولة الصهيونية [(١)].

وتتلخص سياسة شتيرن إلى الدعوة من أجل إنشاء جيش يهودى مستقل ، وتشكيل لجنة وطنية تكون أشبه بحكومة مؤقتة خلال الحرب ، وتبنى خطة للهجرة اليهودية المنظمة إلى فلسطين ، وإعلان هدف الصهيونية وهو إقامة دولة يهودية على ضفتى الأردن بقوة السلاح [(٢)].

والانقسام الذى حدث داخل منظمة الأرجون فى النصف الأول من عام ١٩٤٠ لم يأت بشكل مفاجئ، لأن العلاقة بالنسبة لبريطانيا لم تكن القضية الوحيدة الموضوعة فى كفة الميزان ، وقبل ذلك بعدة سنوات اتخذ « شتيرن » سياسة تهدف إلى فصل « الأرجون » عن الحركة الإصلاحية وقد مثل منظمته فى بولندا فى الفترة (١٩٣٨ - ١٩٣٩) عندما قام بإجراء تدريبات لعدد من الأعضاء المختارين

(١) د.عبدالوهاب المسيرى ، مرجع سابق ص ٢١٢.

(٢) د. هيثم الكيلانى ، مرجع سابق ص (١٢٢-١٢٣).

بمساعدة الجيش البولندى، وقد قام « شتيرن » بشراء أسلحة من أجل منظمته، كما ساعد فى تأسيس صحف بلغة اليدش واللغة البولندية من أجل تدعيم سياسته، بدون الاهتمام بالسياسة الإصلاحية وبالانضباط الحزبى، كما حاول تحمل مسئولية الهجرة الغير شرعية التى كانت تحت مسئولية الآخرين ، لم يخف «شتيرن » حقيقة أنه لايجل احتراماً كبيراً لجابوتنسكى، وفى مؤتمر صحفى تم عقده بواسطته وبواسطة منظمته ذُكر « جابوتنسكى كزعيم حازم فيما مضى وأنه أصبح ضعيفاً وراضياً عن نفسه »، وقد فقد « شتيرن » ومنظمته أى ثقة فى العمل الدبلوماسى ، وكان تطرفهم نابعاً عن الإيمان المطلق بالعمل المباشر من إحدى الجهات وباليقظة السياسية الشديدة من جهة أخرى [١] .

وقد عملت ضد سلطات الانتداب البريطانى منذ سنة ١٩٤٠ وحتى قيام الدولة الإسرائيلية فى عام ١٩٤٨ وقد أعلنت سلطات الانتداب أن هذه المنظمة هى منظمة إرهابية، وكذلك أعلنت الحكومة الإسرائيلية المؤقتة فى أعقاب قيام دولة إسرائيل فور مقتل « برنادوت »، حاول رجال هذه المنظمة استهداف رموز سلطات الانتداب والجيش البريطانى من خلال القيام بعمليات اغتيال واستهداف الأجهزة الاستراتيجية البريطانية وأيضاً حاولوا إبرام تحالف مع ألمانيا النازية خلال فترة الحرب العالمية الثانية من أجل مساعدتهم فى تهجير اليهود إلى أرض فلسطين وأن المنظمة سوف تحارب معها ضد البريطانيين [٢] .

هذا الخليط فى المبادئ التى تبنوها دفعهم إلى اتخاذ سياسة انتحارية واضحة وقد كان جابوتنسكى قلقاً جداً من هذه التطورات، وقد تطرق إلى سياسة « شتيرن» على إنها سياسة خاطئة جداً بسبب رفضه العمل السياسى، وهذا على العكس من أسلوب وايزمان وقبل أيام قليلة من موت جابوتنسكى فى أغسطس عام ١٩٤٠

(١) זאב- לקויר، תולדות- הציונות، مصدر سبق ذكره עמ' 299 .

(٢) מתוךויקיפדיה، האנציקלופדיההחופשית.

أرسل برقية لتكليفه من جديد برئاسة المنظمة التى استقال منها تحت ضغط داخلي، وقد رفض « شتيرن » الانصياع إلى تعليمات جابوتنسكى واستقل بذاته مع جماعة من مؤيديه، وكون (المنظمة العسكرية القومية فى إسرائيل التى تغير اسمها بعد ذلك إلى اسم المحاربون من أجل حرية إسرائيل « لحى ») وقد تم تعليق عمليات المنظمة بدءاً من عام ١٩٤٠ وحتى بداية عام ١٩٤٤ عندما استأنفوا هجماتهم على البريطانيين بعدما تولى بيجن قيادة الأرجون ، من ناحية أخرى استمر « شتيرن » ومجموعة من مؤيديه فى عمليات النضال المسلح طوال فترة الحرب ، وقد تسببت عملياتهم فى قلقاً بسيطاً للسلطات البريطانية؛ لأن عملياتهم كانت تستهدف فى الأساس البنوك اليهودية وضحايا هذه الحوادث كانوا فى الأساس من اليهود(١) .

لقى أفراهام شتيرن مصرعه عام ١٩٤٢ على ايدى القوات البريطانية ، فاغتال عملاء شتيرن اللورد موين فى القاهرة فى ٦- ١١-١٩٤٤ بحجة الثأر لمقتل «شتيرن» .

وقد نفذت ليحى بالتعاون مع المنظمات الصهيونية الأخرى عمليات إرهاب وقتل وتخريب واسعة ضد العرب ، من بين هذه العمليات جريمة نسف سرايا يافا فى نوفمبر ١٩٤٧ (٢) .

وفى مايو ١٩٤٨ انضمت قوات شتيرن إلى جيش الدفاع الإسرائيلى ، ولكن جناحها العامل فى القدس ظل متمردا وأطلق على نفسه اسم جبهة الوطن ، وهو الذى قام بالتنسيق مع المنظمات الصهيونية الأخرى باغتيال كونت برنادوت فى ١٧-٩-١٩٤٨ ، وقد دفع هذا الحادث الحكومة الإسرائيلية إلى ملاحقة أعضاء شتيرن واعتقال عدد منهم ، واعترفت الحكومة الإسرائيلية ، فيما بعد بأن الخدمة

(١) זאבלקויר، שםעמ' 299

(٢) د. هيثم الكيلانى ، مرجع سابق ، ص (١٢٢-١٢٣).

العسكرية فى صفوف شتيرن خدمة خاضعة للتقاعد فصرفت لجميع الذين خدموا فيها رواتب التقاعد المستحقة لهم ، ومنحت بعضهم وسام محاربى الدولة[1] .

الاختلاف بين منظمتى اتسل وليحى

وفى الوقت الذى كانت فيه الأرجون وفية لمبادئ « جابوتنسكى » طورت «لحى» تعاليم جديدة مبتكرة تتعارض مع مبادئ منظمة الأرجون ، وقد أظهرت إيماناً صوفياً فى إسرائيل مع تأييد نضال التحرير العربى ، فى السياسة الخارجية للمنظمة كان العامل الأساسى فيها العداء الدائم لبريطانيا ، بعد عام ١٩٤٢ أظهرت المنظمة تعاطف مع الاتحاد السوفيتى، وعلى خلاف منظمة الأرجون رأى رجال « شتيرن » أنفسهم كاشتراكيين ثوريين بإيمانهم بأن الطريق السليم لنيل دعم الاتحاد السوفيتى هو الاشتراك بشكل فعال فى تحرير كل الشرق الأوسط من أغلال الاستعمار ، تعلموا كيفية الدفاع عن المنشآت الحيوية عارضوا انتهاك الهدنة وتبنوا شعار دولة يهودية اشتراكية[2] .

وقد انضمت لحى إلى حركة التمرد العبرى التى وحدت كل القوى المحاربة فى مناطق الانتداب وعلى الرغم من ذلك استمرت منظمتا اتسل ولحى فى القيام بعمليات المقاومة المسلحة أيضاً بعد توقف منظمة الهجانا عن القيام بها ، وقامت منظمة « لحى » فى توسيع نطاق عملياتها خارج حدود فلسطين ، وقد تم حل كلا من منظمتى « الأرجون » و « لحى » بعد إقامة دولة إسرائيل ، وفى عام ١٩٨٠ اعترفت إسرائيل بمساهمة منظمة « لحى » فى إقامة الدولة وفى نفس العام تم صنع وسام لحى الذى تم وهبه إلى أعضاء هذه الحركة السرية [3] .

وقد وجهت هذه العصابة جهودها لأعمال القتل والاغتيال ، أما عصابة

(١) د. هيثم الكيلانى ، المرجع السابق ص (١٢٢).

(٢) זאב לקויר שםעמ׳ 299

(٣) מתוךויקיפדיה، האנציקלופדיההחופשית.

الأرجون فكانت أكثر تحكماً فى ميولها الإرهابية ، ولكن لم تستمر على ذلك حتى نهاية الحرب ، فما إن زال الخطر الألمانى عن مصر وابتعدت قوات روميل عن حدودها واطمأنت الأرجون على مصير فلسطين حتى انطلقت فى أوائل عام ١٩٤٣ تشن الأعمال الإرهابية مرة أخرى [1] .

العلاقة بين لحى والنازية :

وقد كان التفسير المهم لمنظمة لحى بالنسبة إلى الكارثة النازية للشعب اليهودى والاستنتاجات التى تم التوصل إليها من هذه التجربة المخيفة

تجاه حركة الإحياء القومى والسيادة فى أرض فلسطين كالتالى :

أن لحى جاءت للوجود فى منتصف عام ١٩٣٩-١٩٤٠ كنتيجة لحالة نفسية من الممكن أن نصفها بأنها مثل الرمز الأخروى كنتيجة للأحداث القومية الكبرى ، فى سبتمبر عام ١٩٣٩ كانت نقطة تحول كبرى فى التاريخ التى انبثقت منها فترة مسيحانية جديدة[*] ، والأحداث لم تفسر على أنها كارثة مخيفة هددت بتدمير الطوائف اليهودية ، ولكن فسر على أنه حدث مفيد ، والذى فى نهايته ستظهر الدولة اليهودية الكبرى على ضفتى الأردن .

مصير شعب إسرائيل لم يتم تفسيره الآن كمصير شعب لاحول له ولاقوة يحتاج إلى رعاية الأمم ، ولكن سيتم تفسيره كمصير شعب على وشك أن يقيم لنفسه مملكته الخاصة [2] .

لذلك تم تفسير ظهور الكارثة النازية والحكم النازى الألمانى على أنها أحداث إضافية فى السلسلة التاريخية المضادة للسامية ، وليست كحادث شاذ ، وأن

(١) العميد أ.ح . طه محمد المجدوب ، مرجع سابق ص(١٢٨-١٢٩) .

(*) مسيحانية : مبدأ يؤمن بقرب نزول المسيح المخلص .

(٢) נעמיגל-אור ، המחתרתהיהודית : טרוריי־םשלנו ، הוצאתהקיבוץהמאוחד 1990 עמ'

(102)

الحرب العالمية الثانية كانت فرصة تاريخية لإقامة الدولة اليهودية المستقلة فى (أرض إسرائيل) الموعودة .

الرمز الأخروى لم يتبق فى نطاق التعويض الكلامى فقط ، الذى رأت لحى نفسها كحاملة لواء المسيحانية القومية الإيجابية والمثالية ، بيانات المنظمة لم تهدف فقط لإعطاء عزاء لمن هو بالفعل فى حالة ضعف ، الصورة التاريخية المتخيلة تم استخدامها كقوة مولدة لمحاولة ترجمة الرمز الأخروى إلى هدف سياسى [١].

عندما اندلعت المعارك فى أعقاب قرار الأمم المتحدة فى تشرين الثانى ١٩٤٧ لإقامة الدولة اليهودية فى فلسطين عملت ليحى ضد المقاومة العربية المسلحة فنسفت مبنى السرايا فى يافا وغير ذلك .

وعندما أعلن عن قيام إسرائيل فى آيار ١٩٤٨ ، قبلت ليحى سيادة الدولة عليها ، وانضمت إلى قوات الجيش الإسرائيلى ، لكن أعضاء المنظمة فى القدس واصلوا عملهم كمنظمة مستقلة ، وفى ١٧ ايلول ١٩٤٨ تم اغتيال الكونت برنادوت على أيدى عناصر (جبهة الوطن) ويقال أنهم من عناصر ليحى ، وفى أعقاب الاغتيال اعتقل الكثير من عناصر المنظمة وقامت الحكومة الإسرائيلية بحل هذه المنظمة .

وقد اعترفت الحكومة الإسرائيلية بالخدمة فى منظمة ليحى مثل اعترافها بالخدمة فى اتسل والهاجاناه ، وأعطى أعضاؤها رواتب تقاعد ووسام المحاربين من أجل الدولة [٢].

بيتار:

بيتار هى اختصار العبارة العبرية « ברית יוסף תרמפלדור » أى حلف

(١) נעמיגל-אור ، שם עמ' (103)

(٢) أفرايم ومناحم تلمى : معجم المصطلحات الصهيونية ، مرجع سابق ص ٢٤٦.

ترمبلدور ، وهو تنظيم شبابى صهيونى تصحيحى أسسه فى بولندا عام ١٩٢٣ «يوسف ترمبلدور»، وكان هدفه إعداد أعضائه للحياة فى فلسطين بتدريبهم على العمل الزراعى وتعليمهم مع التركيز على العبرية، بالإضافة إلى التدريب العسكرى ، وكان أعضاؤها يتلقون أيديولوجيا واضحة التأثر بالأيديولوجيات الفاشية التى سادت فى أوروبا آنذاك ، فكانوا يتعلمون مثلاً أن أمام الإنسان اختيارين لا ثالث لهما ، إما الغزو أو الموت ، وأن كل الدول التى لها رسالة قامت على السيف وحده، وبشكل عام يمثل التنظيم أفكار « جابوتنسكى » زعيم الصهيونية التنقيحية، ولم يقتصر نشاط بيتار على بولندا بل امتد إلى العديد من الدول، فأسست عام ١٩٣٤ قاعدة للتدريب البحرى فى إيطاليا ، وأخرى للتدريب للطيران فى باريس ، كما أسست فروعاً فى اللد عام ١٩٣٨ ، وجنوب أفريقيا ١٩٣٩، ونيويورك ١٩٤١، وقد ظلت القاعدة الأساسية للتنظيم وهيئته العليا حتى الحرب العالمية الثانية خارج فلسطين، ثم انتقلت بعد ذلك إليها ، حيث كان بعض أتباع « بيتار » قد أسسوا عدة مستوطنات زراعية [١].

البالماح : פלמ " ח פלוגות מחץ : كتائب الكوماندوز

وفى أثناء الحرب العالمية الثانية ساعدت سلطات الانتداب الهاجاناه على إنشاء البالماح (١٩٤١) القوة الضاربة للهجاناه بقيادة «يجال آلون ». وقد تشكلت فى بادئ الأمر من ثلاث كتائب[٢].

البالماح كلمة مكونة من كلمتين عبريتين معناهما « جند العاصفة » ، والبالماح تنظيم عسكرى إرهابى أنشئ عام ١٩٤١ ، وتخصص أفراده فى أعمال القتل والنسف والتخريب والهجوم الصاعق ، وشكلت وحدات البالماح قوة الهاجاناه الضاربة ، نظراً لقدرتها على تنفيذ المهام الهجومية العدوانية وسواها من أعمال

(١) د.عبدالوهاب المسيرى ، مرجع سابق ص٢٠٥.
(٢) د. هيثم الكيلانى ، مرجع سابق ص ١١٧.

القتل والتدمير[1].

ثم قررت القيادة العليا للهاجاناه – بموافقة الهيئة التنفيذية الصهيونية العالمية – أن تقوم بتشكيل قوة ضاربة سرية مستقلة تضم تسع سرايا واسمها البالماح ، لكى تعمل فى صف بريطانيا ودول الحلفاء فى الشام ، وقد جاء هذا القرار متفقا مع قرار الحلفاء بغزو سوريا ولبنان فى أغسطس سنة ١٩٤١ ، ونظراً لأن الحلفاء لم يكن لديهم وقت كاف للاستعداد لهذا الغزو ، فقد طلبوا الاستعانة بأول سريتين من البالماح كمرشدين ومخربين ووحدات متقدمة ، إلى جانب القيام بعمليات تجسس خلف خطوط العدو .

ومنذ ذلك الوقت – حتى انتصار الحلفاء فى العلمين – استمر هذا التعاون غير الرسمى الذى انطوى على الاعتراف بالأمر الواقع ، وإن كان فى الحقيقة مؤقتاً ، بقوات البالماح غير القانونية من قبل السلطات البريطانية ولم يحدث قط أن انضم أعضاء البالماح إلى الجيش البريطانى، وكان هذا بناء على رغبة مشتركة من الجانبين ، ونتيجة لإصرار البالماح على أن تظل مستقلة عن البريطانيين[2].

والبالماح هى أول وحدة عسكرية تضم نخبة عسكرية محترفة متفرغة متخصصة فى العمليات الخاصة التى يقوم بها الفدائيون، والتى تعتمد على الحرب الخاطفة والحركة السريعة وإحراز أكبر النتائج بواسطة أقل عدد ممكن ، ونستطيع أن ندرك أهمية البالماح بالنسبة لمستقبل الجيش الإسرائيلى بعد ذلك ، حينما نعلم أنه فى سنة ١٩٤٨ كان الجيش الإسرائيلى يضم ١٢ ضابط برتبة لواء .... من بينهم ثلاثة جاءوا من البالماح ، وحوالى ٤٥ عقيد كان من بينهم ٢٠ من ضباط البالماح ، ومنذ سنة ١٩٤٨ أصبح ثلاثة من قواد البالماح رؤساء لأركان حرب الجيش ،

(١) المرجع السابق ص ١١٨.

(٢) محمود عوض ، مرجع سابق ص ٩٩.

وهم (موشيه دايان / إسحاق رابين / حاييم بارليف)[1].

التعاون بين (الهاجاناه / الأرجون / شتيرن)

أدت نهاية الحرب العالمية الثانية إلى ضرورة التفرغ لمحاربة البريطانيين بعد أن انتهى التعاون معهم ، وهكذا بدأ التنظيم العسكرى فى فلسطين يواجه البريطانيين .

وكان هدف هذه الأعمال العسكرية هو تقويض مركزهم وإحساسهم بالأمن ، وإقناع بريطانيا انه بدون موافقة اليهود لاتستطيع بريطانيا الاحتفاظ بفلسطين كقاعدة آمنة عاملة فى هذه المنطقة الحيوية، وبذلك تتساهل بالنسبة لمسألة أعداد المهاجرين المسموح لهم بالقدوم إلى فلسطين[2] .

تكتسب طبيعة العلاقة بين المنظمات الإرهابية الثلاث الأساسية (الهاجاناه / اتسل / ليحى) ، قبل أن يتقرر حلها ودمجها فى جيش الدفاع الإسرائيلى مع قيام الدولة أهمية خاصة .

فرغم أن المنظمات الثلاث احتفظت باستقلالها التنظيمى ، فقد تبلور التعاون فيما بينها خلال هذه الفترة ، واتخذت شكلاً مؤسسياً ، حين وقع قادتها مع نهاية الحرب العالمية وباشتراك الوكالة اليهودية اتفاقاً ثلاثياً تضمنت بنوده :

١- تدخل منظمة الهاجاناه الحرب ضد القوات البريطانية ، وهكذا قامت حركة العصيان العبرى .

٢- يجب على حركتى اتسل وليحى عدم تنفيذ خططها القتالية إلا بموافقة حركة العصيان .

٣- تنفذ اتسل وليحى الخطط القتالية التى تكلفان بها من قبل قيادة الحركة .

٤- يجب الا يكون النقاش حول العمليات المقترحة شكلياً ، فيجتمع مندوبو

(١) المرجع السابق ص ١٢٦.

(٢) محمود عوض ، مرجع سابق ص ١٠٠.

المنظمات الثلاثة في جلسات ثابتة أو حسب الحاجة .

٥- بعد أخذ الموافقة المبدئية على العمليات المقترحة يناقش خبراء المنظمات الثلاث تفاصيل هذه العمليات .

٦- ضرورة الحصول على موافقة قيادة حركة العصيان لتنطبق على العمليات التي يجرى تنفيذها ضد الممتلكات مثل الحصول على الأسلحة من أيدى البريطانيين أو الحصول على الأموال .

٧- الاتفاق بين المنظمات الثلاث يرتكز على أمر افعل .

٨- إذا أمرت منظمة الهاجاناه في يوم من الأيام بالتخلى عن الحرب ضد البريطانيين ، تواصل المنظمات اتسل وليحى حربهما [(١)] .

لأول مرة فى تاريخ اليشوف تكونت عام ١٩٤٦ قوة مشتركة من الهاجاناه والأرجون وشتيرن، لشن حرب عصابات ضد البريطانيين، ووزعت الأدوار فيما بينها، فتولت الهاجاناه مهاجمة المنشآت العسكرية والأهداف الحيوية، أما الأرجون فكانت مختصة بأعمال التخريب والنسف والتدمير ، بينما أخذت عصابة شتيرن على عاتقها أعمال القتل والاغتيال ، وأخيراً تحركت الحكومة البريطانية وأمرت بمهاجمة مقر الوكالة اليهودية ومكاتب لجانها المختلفة والقبض على زعمائها فى يونية عام ١٩٤٦ .

وفى يوليو عام ١٩٤٦ ردت عصابة الأرجون على إجراءات القمع البريطانية بنسف الملك داود على من فيه من موظفى الإدارة البريطانية، وحاولت الوكالة اليهودية ومنظمتها العسكرية الهاجاناه التنصل من هذا العمل الإرهابى، غير أن الحكومة البريطانية أعلنت اتهامها لعصابتى الأرجون وشتيرن بالتعاون مع

(١) د.عبدالوهاب المسيرى ، مرجع سابق ص١٨٩ .

الهاجاناه[1] .

وقد قامت القوة المسلحة بالدور الحاسم فى بناء الدولة الإسرائيلية، ولم يكن ذلك وليد الصدفة أو ابن الضرورة بقدر ما كان نتيجة مباشرة من نتائج التخطيط الصهيونى العميق الشامل ، الذى تعود جذوره - ربما - إلى عام ١٨٦٠ حين سعت إلى فلسطين لجنة استكشاف الحقائق لترسم حدود الأرض التى أعطاها الرب لإبرام ونسله .

ويكفى للدلالة على الدور القائد الذى أدته القوة المسلحة طيلة مراحل التأسيس والتوسع أن نشير إلى أنه بينما تمكن الصندوق القومى اليهودى خلال الفترة من إنشائه حتى عام ١٩٤٧ وهى فترة تقرب من الخمسين عام من الحصول على حوالى ٤ ٪ فقط من مساحة الاراضى الفلسطينية فى شكل ممتلكات يهودية ، فإن المنظمات العسكرية الإسرائيلية المختلفة تمكنت خلال الفترة الواقعة بين أبريل ١٩٤٨ وحتى يناير ١٩٤٩ من الاستيلاء خلال عشرة أشهر على مساحة إضافية من مساحة البلاد تصل إلى حوالى ٧٦.٦ ٪ منها[2] .

(١) العميد أ.ح . طه محمد المجدوب ، مرجع سابق ص (١٣١-١٣٢) .

(٢) حسن البدرى ، أحمد فخر ، الفكر العسكرى للعدو وكيف نواجهه ، سلسلة الثقافة العسكرية للشعب ، العدد الرابع ٥ يونيو ١٩٧٠ ص ٢٨ - ٢٩ .

الخاتمة

أوضحت الدراسة أن علاقة اليهود بمصر هى علاقة قديمة تعود إلى فترة نبى الله يعقوب، عندما نزل مصر مع أولاده عند نبى الله يوسف، ثم تعرضهم للاضطهاد على يد فرعون،ثم خروجهم من مصر مع نبى الله موسى ، ثم حادثة التيه فى أرض سيناء بسبب عصيانهم وعبادتهم للعجل ،فمصر تمثل لهم أرض العبودية والاستعباد مثلما جاء فى التوراة (المحرفة) .

فمصر احتلت مكانة مهمة فى الفكر الصهيونى منذ بدايته ربما بسبب ذكرها فى التوراة أكثر من أى بلد آخر ، وفى العصر الحديث أدرك الصهاينة أن مصر هى أهم دولة عربية بما تملك من موارد بشرية واقتصادية، وإنها هى حامية العروبة فى المنطقة ، وأن من يسيطر على مصر سيكون من السهل عليه السيطرة على أراضى فلسطين ، ولذلك فقد أولى الزعماء الصهاينة اهتماما كبيراً بمصر، بدأ منذ زيارة الزعيم الصهيونى موسى مونتفيورى إلى أرض فلسطين عام ١٨٣٨، ثم توجهه إلى محمد على والى مصر ، بطلب من أجل منحه أراضى مصرية من أجل توطين اليهود فيها مقابل نسبة سنوية من الأرباح ، ولكن الحاكم المسلم المخلص رفض هذا العرض، بعد ذلك دخلت الدول الأوروبية فى حلف عسكرى ضد محمد على لصد طموحه العسكرى والاقتصادى وتحجيم قوته وتوسعاته ، وفعلا تمكنوا من ذلك ، وبعد ذلك أخذوا يترقبون الفرص من أجل السيطرة على مصر ، حتى وجدوا الفرصة سانحة فى عهد الخديوى توفيق ، وقام اليهود بتحريض انجلترا بغزو مصر ، وفعلا تم هذا الغزو عام ١٨٨٢ بعد عام واحد من إنشاء جمعية أحباء صهيون عام ١٨٨١، وبعد ذلك أصدر الزعيم الصهيونى هرتسل كتابه « الدولة

اليهودية » عام ١٨٩٦ ، وقام بمحاولات من أجل صدور فرمان عثمانى لمنح اليهود أرض فلسطين ، وأغراه بالأموال من أجل تحقيق هذا الهدف ، ولكن السلطان عبد الحميد المسلم ، رفض هذا الإغراء ، ورفض طلب الزعيم الصهيونى ، ولكن الصهاينة ترقبوا الفرص من أجل خلع السلطان عبد الحميد حتى تم ذلك عام ١٩٠٨ ، وبعد قيام الحرب العالمية الأولى وبعد صدور وعد بلفور البريطانى، حرضوا الولايات المتحدة على الدخول فى الحرب ضد ألمانيا والإمبراطورية العثمانية وحلفائهما ؛مما نتج عنه هزيمة ألمانيا والقضاء على الإمبراطورية الاسلامية العثمانية، وما تمخض عنه من أحداث ونتائج أدت إلى تحسين وضع اليهود فى فلسطين وزيادة قوتهم ، حتى تم لهم فى نهاية الأمر إنشاء دولة يهودية بعد الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٨ .

قصة « الهدف تل أبيب » قصة تحكى مشاركة الجيش المصرى فى حرب فلسطين ، وعنوان القصة يوضح هدف دخول الجيش المصرى إلى هذه الحرب ، وهو الوصول إلى تل أبيب والقضاء على الدولة اليهودية وهى فى مهدها ، والأديب رام أورين كتب هذه القصة عام ٢٠٠٤، أى بعد مرور ٥٦ عاماً على حرب فلسطين، وهو فى هذه القصة يرسل رسالة إلى الكيان الصهيونى يوضح فيها أن مصر هى العدو الأكبر لهم ، وأن مصر هى أكبر دولة تمثل خطراً على وجود الدولة اليهودية ، استهل المؤلف روايته بعرض حوار بين مجموعة من اليهود والجنود البريطانيين ، حيث أشار إلى رغبة اليهود فى رحيل البريطانيين عن البلاد ، فى حين أن الجنود البريطانيين حذروهم من مغبة رحيلهم عن البلاد ، حيث ستدخل الجيوش العربية فى أعقابهم ويقوموا بإلقاءهم فى البحر .

زعم المؤلف وجود روح العزم والتصميم بين اليهود من أجل إقامة الدولة اليهودية وأنهم قالوا أنهم سيحاربون حتى الموت من أجل إقامة الوطن اليهودى .

أظهرت الرؤية أن بن جوريون أولى اهتماما كبيرا بعمليات التجسس على الدول

العربية وعلى الأخص مصر ، وأنه جند اليهود من أجل نقل أسرار الدولة المصرية إلى الجانب اليهودى ، وأن الجالية اليهودية فى مصر كانت تتمتع بحرية كبيرة وتنعم بثروات كبيرة فى ظل التسامح المصرى ، كما أظهر الأديب اهتماماً كبيراً بالملك فاروق وظروف تربيته وحياته وزواجه ثم رحيله فى نهاية المطاف عن مصر بعد ثورة يوليو .

على الرغم من الاهتمام المصرى الكبير بالقضية الفلسطينية قديماً وحديثاً، زعم المؤلف وجود حالة من عدم الاهتمام من الجانب المصرى ، وظهور هذا الأمر فى قلة التبرعات وقلة الأسلحة المخصصة للحرب .

وقد صورالأديب الملك فاروق فى صورة الرجل الشهوانى الذى لاهم له سوى الأكل والشرب والنساء ، بغض النظر تجاه جنسية المرأة التى يحبها أو دينها، وأنه كان على علاقة بعدد كبير من النساء كان من بينهم امرأة يهودية ،كما أظهرته القصة فى صورة حاكم ديكتاتورى اتخذ قرار خوض الحرب بشكل منفرد، على الرغم من معارضة قادة الجيش الذين قالوا أن الجيش ليس مستعدا لدخول الحرب ، وبدون علم رئيس وزرائه النقراشى باشا .

كما أشار المؤلف إلى هدف الملك فاروق من حرب فلسطين، وأوضح أنه كان يريد أن يصبح خليفة للمسلمين ، أى أنه أظهر رغبات توسعية لديه، وأنهكان يريد توسيع رقعة المملكة المصرية .

فى حين أنه يبدو من خلال الرواية أن الملك كان يهتم بأمور الحكم ، وكان يتفقد أحوال الجيش المصرى واستقبل مفتى القدس فى قصره ، كما أنه تنازل عن جزء من أمواله من أجل شراء أسلحة للجيش المصرى استعداداً لحرب فلسطين ، وكان يبدى اهتماماً خاصاً بقضية فلسطين ، كما أن التاريخ يذكر لنا أن أحوال مصر الاقتصادية كانت مزدهرة فى عصره ، وأن مصر لم تكن تعانى من ديون خارجية، بل كانت دائنة لبريطانيا العظمى ، وأيضاً تحدث المؤلف عن أحوال

الطائفة اليهودية فى مصر قبيل الحرب : وأن اليهود كانوا يعيشون فى سلام وأمان ، وكانوا فى بحبوحة من العيش ، وأن روح التسامح والتفاهم كانت سائدة بين أبناء الشعب المصرى بغض النظر عن الديانة .

نتيجة للموقف السلبى الذى اتخذته الديانة اليهودية من الأغيار وتشبيه غير اليهود بالحيوانات ، ظهرت صورة بدو فلسطين والقوات المصرية فى صورة سيئة، حيث أظهرت الرواية البدو فى فلسطين بأنهم خائنين لوطنهم ، وأنهم يساعدون القوات الصهيونية من أجل احتلال البلاد ويقومون بالتجسس لصالحهم ويمدونهم بالمعلومات المهمة حول خطط القوات المصرية ، وأظهرت الرواية النفسية اليهودية المعقدة التى تعتبر القوات المصرية مثل القوات الألمانية النازية الوحشية فى الحرب العالمية الثانية ، لأن كلا القوتين تريدان تدمير الشعب اليهودى .

أوضحت الرواية مدى وعى الشعب المصرى الذى كان يدرك الفرق بين اليهودية والصهيونية ، وأن الصهيونية تختلف اختلافا كبيرا عن الحركة الصهيونية الاستعمارية التى تريد إنشاء الدولة اليهودية و طرد الشعب الفلسطينى بعيدا عن أرضه .

أظهر المؤلف الإخوان المسلمين فى صورة سلبية حيث وصفهم بالجبن والخوف من الموت ، كما أظهر شدة حرصهم على جمع المال بشتى الطرق ، حتى بالطرق الساذجة ، حيث صور جماعة من الإخوان المسلمين تطلب أموالاً من رجل يهودى ، من أجل حرب اليهود فى فلسطين .

أظهرت الرواية عدم اهتمام بن جوريون بالجواسيس المصريين الذين تم اعتقالهم فى مصر ، وعلى الرغم من ارسل يولندا هرمر رسالة من مقر الوكالة اليهودية بالقاهرة ، إلا أن الزعماء الصهاينة لم يهتموا بها ، وتم القبض عليها ودخلت السجن .

أشارت الرواية إلى أن مصر كانت فى البداية لاتريد الدخول فى الحرب ، ولكن الملك فاروق كان يطمح أن يصبح خليفة المسلمين وأنه غار من ملك الأردن، فدخل الحرب من أجل هذا الغرض ، أظهرت الرواية صورة الجندى المصرى فى صورة الجندى المحب للحياة والخائف من الموت ، كما شوهت الرواية صورة الضباط المصريين وذكرت أنهم أحضروا عاهرة من القاهرة لتسلية وقتهم .

أظهر المؤلف سبب هزيمة العرب فى حرب فلسطين، فعلى الرغم من وجود قوات عربية نظامية وأسلحة لم تتمكن القوات العربية من تحقيق الانتصار، بسبب الخلافات فيما بينها وعدم تنسيق الحرب بين الجيوش العربية ، فى الوقت الذى قام فيه العدو بحشد كل قواه ، وجمع التبرعات المالية، وجلب المهاجرين من الخارج الذين دعموا الجيش الاسرائيلى ، بالإضافة إلى جلب العديد من الكوادر العسكرية من ذوى الخبرة الذين قاموا بتدريب الجيش الإسرائيلى وتسليحه ، فاستغل العدو هذا الخلاف بين الدول العربية وتمكن من احتلال أجزاء واسعة من الأراضى أضافتها إلى مساحة الأراضى التى خصصتها الأمم المتحدة لدولة إسرائيل الوليدة .

ادعى الكاتب أن بريطانيا كانت فى صف الدول العربية وبالذات مصر ، وأنها قامت بالتجسس على الطيارين الإسرائيليين من أجل نقل هذه المعلومات إلى الدولة الصديقة مصر ، كما ادعى المؤلف أن المخابرات البريطانية قامت بتجنيد إحدى العاهرات من أجل الحصول على معلومات من أحد الطيارين المتطوعين فى سلاح الجو الإسرائيلى ويدعى اليخس ليهمان.

كما زعم الكاتب أن الولايات المتحدة الأمريكية أصدرت تعليمات بمنع توريد الأسلحة إلى الجهات المشاركة فى الحرب، وبالتالى منعت تزويد اليهود بالأسلحة على الرغم من أنه يظهر من خلال الرواية أن الولايات المتحدة لعبت دورًا جوهرياً فى تزويد إسرائيل بالمعدات والخبراء الفنيين الذين كونوا الجيش

الإسرائيلي.

وأظهرت الروايةأن تهريب الأسلحة كان لها دور هام فى قلب موازين الحرب ، وترجيح كفة الدولة الصهيونية، كما أظهر المؤلف الجانب الصهيونى فى الرواية عندما تحدث عن تفوق العنصر اليهودى على العنصر العربى فى القتال ، عندما أظهر أن عددا قليلا من اليهود استطاع الصمود أمام القوات المصرية فى نيتسانا إلى درجة أدهشت الضابط المصرى عندما اكتشف قلة عدد اليهود الموجودين فى المستوطنة ، كما أظهر أن الطيارين الإسرائيليين كانوا نادراً ما يجدون صعوبة فى مواجهة الطيارين العرب ، وأن طائرتين اسرائيليتين استطاعتا مواجهة ٦ طائرات بريطانية وإسقاط خمسة طائرات منها .

اعترف المؤلف فى بعض أجزاء القصة بالانتصارات التى حققها الجيش المصرى مثل الاستيلاء على مستوطنة نيتسانيم ويد موردخاى ، ولكنه أظهر الجندى المصرى فى صورة الشخص الجبان الذى يحرص على الحياة ويكره الموت .

ركز المؤلف على شخصية محمد نجيب ، وأظهر حرصه على المحافظة على حياة جنوده ، ومخالفته لرأى قائده من أجل الحفاظ على الجنود المصريين ، كما أظهر العيوب التى كانت موجودة فى الأسلحة ، وأظهر فساد كبار الضباط الذين حاولوا تحقيق الثراء عن طريق شراء الأسلحة الفاسدة والغير صالحة للاستخدام، كما أظهر شخصية الرئيس الراحل جمال عبد الناصر عندما كان ضابطا فى الجيش المصرى ، وأظهر شدة حرصه على القيام بانقلاب ضد الملك ، وتغيير نظام الحكم فى مصر ، كما أظهرت الرواية أن عبد الناصر كان على علاقة مع أحد الضباط فى الجيش الإسرائيلي ويدعى يروحام كوهين .

فى حين رسم صور ثانوية لبعض الشخصيات الأخرى مثل الرئيس الراحل أنور السادات ، والمشير عبد الحكيم عامر ، وزكريا محيى الدين .

أظهر المؤلف سبب هزيمة القوات العربية بسبب وجود مطامع ورغبات شخصية ، وعدم تحقيق التنسيق المطلوب بين القوات العربية المتواجدة على عدة جبهات ، كما أظهر المؤلف الدور الذى قامت به الولايات المتحدة فى تقديم التبرعات ، عندما قامت جولدا مائير بجولة من أجل جمع التبرعات لصالح الدولة الصهيونية ، كماقامت بالدور الأكبر فى تهريب السلاح والمعدات إلى إسرائيل ، إلى جانب بعض الدول الغربية مثل دولة التشيك .

على الرغم من أسلوب المؤلف المائل إلى الاعتدال ، إلا أنه تظهر بعض الأفكار المتطرفة فى روايته ، مثل كثرة استخدام كلمة (أرض إسرائيل) ، وميله إلى إظهار الإنسان اليهودى فى صورة العنصر المتفوق على العناصر العربية والبريطانية .

اعترف المؤلف بارتكاب قوات الهاجاناه واتسل لمجازر وحشية ضد السكان العرب ، واستيلائهم على مناطق عربية مختلفة ، ونلاحظ أنه يستخف بمشاعر العرب والمسلمين حيث يتحدث بدون أى خوف عن استيلاء الصهاينة على القرى العربية وقتل الرجال والأطفال والنساء ، دون مراعاة لمشاعر العرب الذين يقرأون حدوث مثل هذه المجازر .

كما اعترف بمحاولات إسرائيل عرقلة عقد صفقات الأسلحة لمصر ، ويعترف بقيام رجال الهجاناه بتفجير طائرات كانت مخصصة لسلاح الجو المصرى :

وعلى الرغم من اعترافه بالبطولات المصرية والتفانى فى الدفاع عن الأرض فى بعض المواقع من القصة ، أظهرت القصة الأطماع الاسرائيلية فى الأراضى المصرية ، واحتلالهم لبعض المواقع فى أرض سيناء عام ١٩٤٨ ، وعلى الرغم من ذلك ظهرت هذه المطامع مرة أخرى فى حرب ١٩٥٦، والقادة المصريون غافلون، حتى حدثت نكسة ١٩٦٧ والقادة المصريون غافلون ، إذن من الواضح أن القادة العرب لايتعلمون من أخطائهم السابقة ، لذلك حدثت النكسة التى

لانزال نعانى منها حتى الآن ، لأنه حسب شروط معاهدة كامب ديفيد ، تظل سيناء منزوعة السلاح ويدخلها الإسرائيليون بسهولة حتى يتجسسوا أوضاع البلاد ، كما ظهر لنا فى دور الجالية اليهودية فى التجسس قبيل حرب فلسطين .

أظهرت الرواية أن الجيش الإسرائيلى كان منظماً تنظيما جيداً بشكل يفوق القوات العربية النظامية ، مما يدل على وجود خبراء متخصصين قاموا بدعم هذا الجيش الوليد وتنظيمه ، كما ظهر لنا من خلال الرواية ، كما يدل على المساعدات الكبيرة التى قدمتها الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة إلى إسرائيل، التى دعمت إسرائيل بالخبراء والأسلحة والمعدات والفنيين والعسكريين، وقد اعترف المؤلف بوجود عدد كبير من الطيارين القادمين من خارج إسرائيل ، قاموا بإنشاء سلاح الجو الإسرائيلى وتدعيمه.

فى نهاية الرواية يستمر المؤلف فى رسم صورة الرجل الشهوانى للملك فاروق ، حيث ذكر أنه لما أعجب بناريمان ، وكنت مخطوبة لموظف فى الأمم المتحدة ، وأوعز فاروق إلى أحد رجاله لكى يعيد هذا الموظف إلى بلاده ، حتى يخلو له الجو مع ناريمان ويتزوجها .

كما رسم له صورة الرجل المرتبك الخائف الذى ترتبك يداه عند التوقيع على وثيقة التنازل على عرش مصر ، فى حين أظهر « محمد نجيب » احترامه للملك وأدى التحية العسكرية ، وعزف النشيد الوطنى لتكريم الملك أثناء توديعه .

نلاحظ بشكل عام يحاول المؤلف الإسرائيلى تشويه صورة مصر بشكل عام والجندى المصرى بشكل خاص بالنسبة للقضية الفلسطينية ، حيث أظهر عدم الاهتمام المصرى من جانب الحكومة المصرية ، وأظهر أن السبب الحقيقى فى الحرب هو النزعة التوسعية لدى الملك فاروق ورغبته فى القضاء على أعدائه الذين يرغبون فى قلب نظام الحكم ، كما شوه المؤلف صورة الجندى المصرى الشجاع ، وزعم أن الجنود المصريون كانوا جبناء يخافون من الموت ويحرصون

على الحياة ، كما أن الحكومة المصرية قامت باعتقال الآلاف من اليهود فى فترة الحرب ، وقامت بالاستيلاء على ممتلكاتهم وأموالهم ولم يسمحوا بأخذ أكثر من ٢٠ جنيه للفرد .

وإذا نظرنا إلى الوراء قليلاً نجد أن اليهود كان لهم نفوذاً قوياً لدى الدول الأوروبية والغربية ، فى الوقت الذى دب فيه الضعف لدى القوة الاسلامية الأخيرة المتمثلة فى الإمبراطورية العثمانية ، وقد تلاقت المصالح الغربية الاستعمارية مع المصالح الصهيونية فى القضاء على القوى العربية والإسلامية ، لذلك نجد أن الدول الغربية سعت بكل قوتها إلى تفتيت القوة العربية الاسلامية، وأن الدول الغربية توحدت فيما بينها من أجل القضاء على القوة الإسلامية وقامت بتقسيم الدول العربية والإسلامية بين بعضهم البعض ، منذ ظهور القوة البرتغالية والأسبانية ، ثم ظهور القوة البريطانية والفرنسية ، وأن الدول الغربية تناست الخلافات والمنازعات التى كانت موجودة فيما بينها فى العصور الوسطى من أجل القضاء على القوة الاسلامية ، وقد ظهر ذلك فى التحالف الغربى ضد قوة مصر الصاعدة تحت قيادة محمد على، ثم قامت بتقسيم الدول العربية بين أكبر قوتين وهما إنجلترا وفرنسا فى اتفاقية سايكس بيكو، ثم نجد قيام الحرب العالمية الأولى ، ورغم انتصار ألمانيا وحلفائها فى بداية هذه الحرب إلا أننا نجد تدخل الولايات المتحدة تحت تأثير اللوبى الصهيونى إلى جانب أنجلترا التى أصدرت وعد بلفور للصهاينة ، ثم نجد انقلاب الموازين وانتصار بريطانيا وحلفائها ضد ألمانيا التى كانت تعادى اليهود ، وتفكيك القوة الاسلامية الكبيرة فى ذلك الوقت وهى الامبراطورية العثمانية وتوزيع ولاياتها بين الدول الغربية، وكذلك الحال فى الحرب العالمية الثانية، ورغم التوقعات بإنتصار إلمانيا وحلفائها ، إلا أن تدخل الولايات المتحدة مرة أخرى فى هذه الحرب يقلب الموازين ويؤدى إلى انتصار بريطانيا مرة أخرى وحلفائها ، ثم يعقب هذه الحرب إلغاء الانتداب البريطانى على

فلسطين وقيام الدولة اليهودية على الأراضي العربية فى فلسطين، ولم يكن من الغريب أن نجد أن الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية من أوائل الدول التى تعترف بإسرائيل فور قيامها ، وليس من الغريب أن نجد الولايات المتحدة تحت تأثير اللوبى الصهيونى تنصاع لرغبات إسرائيل وتدعمها وتساندها فى جميع المحافل الدولية .

ثم قاومت الدول الغربية أى محاولة للوحدة بين الدول العربية، فقاومت الوحدة بين سوريا وفلسطين باعتبارهما يمثلان بلاد الشام، ثم قاومت الوحدة بين مصر و سوريا ، وكذلك المحاولات الصداقة والتوحد بين الدول العربية، فى الوقت الذى سعت فيه الدول الغربية إلى تدعيم إسرائيل وتسليحها وتشجيع الهجرة اليها .

أظهرت الرواية دور التجسس الذى قامت به الطائفة اليهودية فى مصر لصالح المنظمات الصهيونية وإسرائيل، وأن بن جوريون كان يبدى اهتماما خاصا بذلك الدور ، وركز الكاتب على جاسوسة يهودية من أبناء الأسكندرية كانت تدعى «يولندا هرمر » ، وأشار إلى أنها قامت بدور خطير للتجسس على الحكومة المصرية ، وقامت بتهريب وثائق خطيرة إلى الدولة الصهيونية الناشئة، وإنها كانت على صلة وثيقة بمسئولين كبار فى الحكومة المصرية ، وبالقصر الملكى نفسه والملك فاروق ، وكذلك مع عدد من كبار المسئولين البريطانيين فى مصر ، كما أظهرت الرواية أن الجالية اليهودية كانت مؤيدة لقرار الملك فاروق بدخول الحرب وأكدت التزامها وولائها الكامل للدولة المصرية فى وقت الحرب ، لكن الحاخام اليهودى الأكبر أظهر مخاوفه من الأيام القادمة .

أظهرت الدراسة طبيعة الشخصية اليهودية التى تلجأ إلى المكر والاحتيال من أجل تحقيق أهدافها ، فنجد أن بن جوريون كان يهتم اهتمامًا كبيرًا بأعمال التجسس وإرسال الجواسيس إلى الدول المعادية للصهيونية ، وكان ينفق أموالاً

كثيرة فى سبيل إنجاح عمليات التجسس ومعرفة المعلومات عن الدول المشاركة فى الحرب ضد القوات اليهودية الموجودة فى فلسطين ، وهنا يظهر الاهتمام اليهودى بالحفاظ على حياة اليهود فالزعيم الصهيونى بن جوريون يعلم أن المشكلة التى تواجه اليهود هى قلة عددهم ، لذلك نجده يبذل جهودًاكبيرة من أجل الحفاظ على حياة اليهود ، ومن أجل تهجير أكبر عدد ممكن من اليهود إلى فلسطين.

إذا تتبعنا أحداث التاريخ فإننا نجد أن إسرائيل لم تنس الدول التى شاركت ضدها فى حرب ١٩٤٨، فنجد إسرائيل تشارك فى العدوان الثلاثى على مصر ، ثم فى عدوان ١٩٦٧ ضد مصر والأردن وسوريا، وتحتل أجزاء كبيرة من الدول الثلاثة ، وتضرب المفاعل النووى العراقى عام ١٩٨١، ثم تقوم بغزو لبنان ١٩٨٢، ثم تقوم الولايات المتحدة الحليف الاستراتيجى القوى لإسرائيل بغزو العراق عام ٢٠٠٣، وكانت العراق تمثل خطراً على إسرائيل بما تملكه من موارد بشرية وقوة اقتصادية وعسكرية ، بالإضافة إلى أن العراق يمتلك حضارة عريقة فهى مهد الحضارة القديمة فى بلاد الرافدين التى لاينافسها سوى الحضارة المصرية القديمة ، ثم تقوم إسرائيل بغزو لبنان مرة ثانية عام ٢٠٠٦ ، ونجد أن من تبقى من الدول العربية التى تمثل خطراً على إسرائيل أصابها التفكك والدمار بعد ثورات الربيع العربى خلال الأعوام القليلة الماضية ، ماعدا مصر التى حماها الله من التفكك فى ظل هذه الثورات .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية :

١ - أفرايم ومناحم تلمى : معجم المصطلحات الصهيونية ، ترجمة : أحمد بركات العجرمى ، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية ، الطبعة الأولى ١٩٨٨

٢ - د. النعمانى أحمد السيد ، التركيب الاجتماعى للمجتمع الإسرائيلى وأثره على النسق السياسى (١٩٤٨-١٩٧٥) ، مكتبة النهضة الشرق (بدون تاريخ) ص ١٧٣ .

٣- حسن البدرى، أحمد فخر، الفكر العسكرى للعدو وكيف نواجهه ، سلسلة الثقافة العسكرية للشعب ، العدد الرابع ٥ يونيو ١٩٧٠ .

٤ -د.حمدان بدران ، دور منظمة الهجانا فى إنشاء دولة إسرائيل، دار الجليل للنشر – عمان عام ١٩٨٥

٥-صبرى جريس ، تاريخ الصهيونية ، الجزء الثانى (١٩١٨-١٩٣٩) ، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الأبحاث ١٩٨٦

٦- د.عبد الخالق عبد الله جبة :

- الأدب العبرى الحديث ، جامعة المنوفية كلية الآداب ، مطابع دار الحسين ٢٠٠٢ .

- الفكرة الصهيونية فى الادب العبرى الحديث ، كلية الآداب جامعة المنوفية

٢٠٠٨ .

٧- د.عبدالوهاب المسيرى ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، المجلد السابع.

٨- عرفه عبده على ، يهود مصر منذ عصر الفراعنة حتى عام ٢٠٠٠ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ٢٠٠٠ .

٩-العميد أ.ح . طه محمد المجدوب، العسكرية الصهيونية ، المجلد الأول ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، مؤسسة الأهرام القاهرة ١٩٧٢

١٠- د.قاسم عبده قاسم ، اليهود فى مصر منذ الفتح العربى حتى الغزو العثمانى ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع « القاهرة » ، الطبعة الأولى ١٩٨٧ .

١١- د.محسن على شومان ، اليهود فى مصر العثمانية حتى القرن التاسع عشر ، الجزء الثانى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٠ .

١٢- د. محمد عبد المؤمن محمد عبد الغنى ، موسوعة مصر والقضية الفلسطينية (١٩١٧-١٩٥٢) المجلد الأول ، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠١٢ .

١٣- محمد عودة ، كيف سقطت الملكية فى مصر ؟ فاروق بداية ونهاية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٢ .

١٤-محمود عوض ، ممنوع من التداول ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢ .

١٥- محمد عبد الرؤوف سليم ، تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة (١٨٩٧-١٩١٨) ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٤ .

١٦-د. هيثم الكيلانى ، الإرهاب يؤسس دولة نموذج إسرائيل ، دار الشروق .

الطبعة الأولى ١٩٩٧ .

ثانياً : المصادر العبرية

1– רם אורן : המטרה תל אביב ، עורך יוסף שביט ، קשת הוצאה לאור . 2004

2– אנציקלופדיהכלליתכרטאבכרךאחד , משרדהביטחון – ההוצאהלאור , 1990 .

3– האנציקלופדיההעברית ، כרךעשירי ، חברהלהוצאתא נציקלופדיותבע»מ ، ירושלים – תשכ»ט – תלאביב .

4– ויקיפדיה، האנציקלופדיההחופשית .

5 – יעקב כ»ץ ، בין יהודים לגויים ، יחסי היהודים לשכניהם בימי – הביניים ובתחילת הזמן החדש ، מוסד ביאליק 1967 . ירושלים

6– זאבלקויר، תולדותהציונות، תרגומחיימגליקשטיין، הוצאתשוקן ירושלימותלאביב 1974 .

7– נעמיגל–אור ، המחתרתהיהודית : טרוריזםשלנו ، הוצאתהקיבוץהמאוחד 1990 .

ثالثا : المراجع الأنجليزية

1- van M. Wilson ، Decision on Palestine ، HOOVER Institution Press ، Standford University ، Standford ، California 1979.